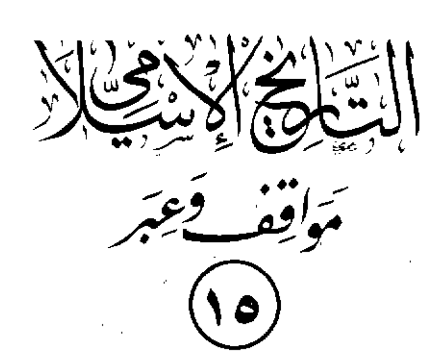


الأمويون والعباسيون والعثمانيون والدويلات المستقلة

الجزء الثالث

دكتور
عبد العزيز بن عبد الله الحميدي
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع
جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الزاهد والخليفة الراشد

عمر بن عبد العزيز

مواقف إصلاحية

- إرهاصات بين يدي خلافته -

لقد تم في فصـول ماضية عـرض مواقف الفتوح الإسـلامية التي انتهـت تقريبا فـي عهد الوليـد بن عبـد الملك ، وسيـتم - بإذن الله تعـالى- في هذه الفـصول عـرض مواقف مـن نوع آخر حـيث تولى الخلافة بعد سليمان بن عبـد الملك الإمام العادل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذي جدد الله تعالـى به لهذه الأمة أمر دينها حيث أرسى قواعد العدل وطبق السياسة الإسلامية .

لقد كان الخلفاء الذين عاصرهم عمـر وكثير من ولاتهم قد كثرت في عهودهم المظالم ، وعمل الولاة بأهوائهم أحـيانًا من غير نظر إلى الأحكام الشرعـية فورث عمـر تلك التركة الثـقيلة ، وأحس من أول ساعـة أنه يجب عليه أن يعدِّل سـياسة الدولـة لتتفق مع شـريعة الله تعالى، ولكن ذلك يصطدم بأهواء أفراد أسرته الحاكمة والمستفيدين من ورائهم ، فلم يخش في الله لومـة لائم، وشمَّـر عن ساعـد الجد في إصلاح الأمة وإحـقاق الحق ورد المظالم ، وكان حكيما ونزيهـا حينما طبق الحق على نفســه أولا وعلى أفراد أسرته الأقربين ثانيا، فـساعده ذلك في تطبـيق الحق على بقـية أفـراد عشـيـرته من بني أميـة وعلى المستفيدين من الوضع السابق .

فراسة صادقة من جده عمر رضي الله عنه :

وقبل أن نتـحدث عن مـواقف عمـر في الإصلاح والعـدل نذكر موقفـا كريما لجدته من أمه وفـراسة صادقة من جده عـمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أخرج أبـو محمد عبد الله بن عبـد الحكم فيما

يرويه عن شيوخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء ، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة فإذا بامرأة تقول لابنة لها : ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت ؟ فقالت الجارية : كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟ فقالت : قد مذق الناس فامذقي فما يُدري أمير المؤمنين، فقالت : إن كان عمر لايعلم فإله عمر يعلم، ماكنت لأفعله وقد نهى عنه، فوقعت مقالتها من عمر، فلما أصبح دعا عاصما ابنه فقال : يابني اذهب إلى كذا وكذا فاسأل عن الجارية - ووصفَها له - فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمر : اذهب يابني فتزوجها ، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم فأتت بعمر بن عبد العزيز (١) .

وهكذا رأينا موقف تلك الفتاة التقية حيث راقبت الله عز وجل الذي يعلم السر وأخفى ، وأدركت أن حفظ الأمانة وأداء حقوق الناس ليس الدافع إليه والوازع من ضده هو الخوف من السلطان في الأرض، لأن السلطان ونوابه قد يغفلون عن مراقبة الناس فتتهيأ

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٢ ، وابن عبد الحكم هو أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم الفقيه المالكي المصري ، من كبار العلماء في مصر، ومن أجلة أصحاب الإمام مالك ، ولما قدم الإمام الشافعي إلى مصر صاحبه وتتلمذ عليه، وقد ذكر شيوخه في هذا الكتاب في المقدمة وهم علماء أجلاء من أمثال الأئمة مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان بن عيينة ، ولكنه لما ساق الأخبار لم يذكر شيوخه من باب الاختصار .

الفرصة لمن التزم بالحـق من أجلهم أن ينتهز فرصة غفلتـهم عنه فيتبع هواه وينطلـق في غش المسلمين وظلمـهم، بـل أدركت أن الدافع إلى الاستقامة على الحق هو خشية الله تعالى ، ومن استقرت هذه الخشية في قلبه فإنها تحول بينه وبين اتِّباع الهوى المنحرف لأن رقابة الله تعالى دائمة ، وعلمه لطيف دقيق لاتخفى عليه خافية .

ولقد كان هذا الفـهم الثاقب والإيمان القوي مثار إعجـاب عمر، ورغبته في أن يزوج ابنه عـاصما من تلك الفتاة الزكيـة رغبة في نجابة الولد، وصلاح المحضن الأول الذي تصاغ فيه تربية الأولاد ، ليكونوا رجال خير وإصلاح .

وكانت فراسة صادقة من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، حيث أنجبت تلك الفتـاة بنتا شرفت بإنجاب إمـام من أعظم أئمة الإسلام في العدل والإصلاح .

وهكذا نجد الصحابة رضي الله عنهم يلتـزمون بالمقياس الإسلامي وهو التقوى ، فيجعلونه مقـياسًا لعظمة الناس وتفوقهم، ويبنون على هذا المقياس آمالا مستقبلية عالية كـما فعل عمر حينما أمر ابنه عاصما بالزواج من تلك الفتاة التقية .

رؤيا صالحة من جده عمر رضي الله عنه :

وعمر بن عبـد العزيز هو الأشجُّ من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رأى فيه الرؤيا الصالحـة ، وقد ذكر هذه الرؤيا ابن عبد الحكم فقال : واستـيقظ عمر من نومه فمسـح النوم عن وجهه وعرك

عينيه وهو يقول : من هذا الذي من ولد عمر يُسـمَّى عمر يسير بسيرة عمر؟ يردِّدها مرات (١) .

ورواه ابن سعد في طبقاته من خـبر نافع عن ابن عمر وعن نافع عن عمـر بن الخطاب أنه كان يقـول : ليت شعـري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا ، ذكره ابن الجوزي ، وذكر من رواية مبارك بن فضالة عن عبد الله بن عمر أنه كان كثيراً مايقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمـر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا (٢) .

مولده ونشأته :

ذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم أنه ولد في المدينة(٣) وذكر محمـد بن سعد أنه ولد سنة ثلاث وستين للهـجرة، وهي السنة التي توفيت فيها أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها (٤).

وذكر ابن عـبد الحكم أنه - وهو غلام صـغير - كان يأتي عـمه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كثيرا، لمكان أمه منه (٥).

ثم ذكر أن أمه لما أرادت اللحاق بزوجها في مصر قال لها عبدالله ابن عمر : خَلِّفي هذا الغلام عندنا- يريد عمر - فإنه أشبهكم بنا أهل

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٢ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٥ ، وانظر البداية والنهاية ٩ / ١٩٦ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٤ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠ .

(٥) يعني لكون أمه ابنة عاصم أخي عبد الله بن عمر .

البيت، فخلفته عنده ولم تخالفه، فلما قدمت على عبد العزيز اعترض ولده فإذا هو لايرى عمر ، فقال لها : وأين عمر ؟فأخبرته خبر عبد الله وما سألها من تخليفه عنده لشبهه بهم ، فسرَّ بذلك عبدالعزيز وكتب إلى أخيه عبد الملك بن مروان يخبره بذلك فكتب عبد الملك أن يجري عليه ألف دينار في كل شهر [1] .

وقد جاء في خبر آخر أن عمر طلب من أبيه عبد العزيز أن يرسله إلى المدينة ليتعلم على علمائها، وذلك فيما أخرجه الحافظ ابن عساكر من خبر العتبي قال : إن أول مااستُبين من عمر بن عبد العزيز وحرصه على العلم ورغبته في الأدب أن أباه ولي مصر وهو [يعني عمر] حديث السن يُشكّ في بلوغه ، فأراد إخراجه معه ، فقال [يعني بعدما خرج] : ياأبة أوَ غير ذلك لعله أن يكون أنفع لي ولك، ترحِّلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها وأتأدب بآدابهم .

فوجهه إلى المدينة فقعد مع مشايخ قريش وتجنب شبابهم، وجاءته ألطاف أبيه من مصر فجعل يقسمها بينهم، فشهره أهل المدينة بعلمه وعقله مع حداثةسنه فحسده فتيان قريش فقعدوا إليه فقالوا : كيف أصبحت يا أبا حفص ؟ فقال : مهلا ، إياي وكلام المَجَعَة، فشُهرت منه بالمدينة حتى كُتب بها إلى أبيه بمصر - والمجعة :القليلة عقولهم، الضعيفة آراؤهم - .

قال: ثم بعث إليه عبد الملك عند وفاة أبيه[2]فخلطه بولده وقدمه

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٤ .

(٢) أي أبي عمر بن عبد العزيز بن مروان .

على كثير منهم، وزوَّجه بابنته فاطمة، وهي التي يقول فيها الشاعر:

بنت الخليفة والخليفة جدها ... أخت الخلائف والخليفة زوجها

فلم تكن امرأة تستحق هذا البيت إلى يومنا هذا غيرها .

قال : وكان الذين يعيبون عمر ممن يحسده لايعيبونه إلا بشيئين: إلا بالإفراط في النعمة والاختيال في المشية، ولو كانوا يجدون ثالثا لجعلوه معهما ، وهو قول الأحنف : الكامل من عُدَّتْ هفواته، ولاتُعَدُّ إلا من قِلَّة (1) .

فيكون على هذا قد بقي في المدينة بطلب من عمه عبد الله بن عمر، ثم سافر إلى أبيه في مصر ، ثم عاد إلى المدينة .

وجاء في رواية أخرى بيان سبب آخر لقناعة أبيه بعودته إلى المدينة ، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن بعض أهل بيته كانوا يؤملون أن يكون هو الحاكم العادل الذي رآه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المنام لتحقق بعض الأمارات فيه ، فلما سقط من الدابة فشُجَّ في وجهه زاد أملهم ذلك فقال أبوه : ماينبغي لمن كان يُرجى لما يرجى له أن يكون تأديبه إلا بالمدينة ، فبعثه إليها (2).

وتربى عمر في أحضان العلماء الأتقياء حتى صار متفوقا في العلم ، ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة ولاه على الحجاز من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين (3).

---

(1) تاريخ دمشق ٤٥/١٣٧ - ١٣٨ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٥/١١٧ .

(2) سير عمر بن عبد العزيز/ ٢٥ .

(3) تاريخ دمشق ٤٥/١٣٩ .

رؤيا صادقة وعزم على الاستقامة والعدل :

ذكر سعيد بن صفوان وفادة رجاء بن حيوة على عمر بن عبدالعزيز قبل خلافته إلى أن قال : وأقام عنده أياما ، فكان كلما أصبح دخل على عمر بعد صلاة الصبح، فيتحدثان لايدخل عليهما أحدٌ حتى يخرج رجاء من عنده ، قال : فبينما رجاء ذات يوم عنده- وقد رأى رؤيا فأصبح وقد حفظها - قال فجعل يحدث نفسه وعمر يحدثه ، فأنكره عمر فقال : ياأبا المقدام إني لأنكر بعض حالك اليوم فما شأنك ! قال : إن الذي ترى وإنكارك إياي لرؤيا رأيتها الليلة، فأنا أعجب وأحدث بها نفسي ؟ فقال عمر : اقصصها رحمك الله فقال: نعم وإن لك فيها نصيبا : رأيت الليلة كأن أبواب السماء فتحت، فبينا أنا أرمقها إذ أقبل ملكان يهويان ، معهما سريرٌ لم أرَ مثله حسنًا ، حتى وضعاه بالمدينة ، ثم صعدا وأنا أنظر إليهما حتى دخلا أبواب السماء ، فلبثا مليًا ، ثم أقبلا ومعهما ثياب بيض لم أرَ مثلها، وشمَمْتُ عَبق مسك لم أشمّ مثله قط، فمهداها على ذلك السرير فدنوت منهما فقلت . ماهذه الثياب ؟ قالا : هذا السندس والاستبرق الذي ذكر في القرآن ، ثم صعدا فلبثا مليّا ، ثم أقبلا معهما برجل أدعج العينين ، ذي وَفْرة شديد سواد الشعر، بعيد ما بين المنكبين، مربوع الجسم، عليه هيبة ووقار، حتى أقعداه على ذلك السرير من فوق تلك الفرُش، فدنوت منهما فقلت: من هذا الرجل؟ فقالا هذا محمد ﷺ ، قال : فهبْتُه هيبةً شديدةً : وتأخرت ناكصًا على عقبي، حتى كنت منه بمكان منظر ومسمع،فبينا أنا كذلك إذ أتى

برجلٍ قد نهزه القتير[1]، ضَرْب الجسم، حسن اللحم، مشدودة يداه إلى عنقه، حتى وُقف بين يديه ، فأقبل رسول الله ﷺ يثني عليه فيما كان من فعاله في الإسلام، ويقول أنت صاحبي في الغار، وأنت أبوبكر الصديق ، والأمر ههنا إلى غيري، ولست أملك لك من الله شيئا، فلم يزل قائمًا بين يديه ، ثم أمر به فأُطلق عنه، وأجلس عند رأس السرير على الأرض، ثم أُتي برجل حسن اللحم، نهزه القتير، مجموعة يداه إلى عنقه، حتى وُقف بين يديه، فأقبل رسول الله ﷺ يثني عليه بفعاله في الإسلام، ويقول: أما إنك الفاروق الذي أعز الله عز وجل به الدين، وأنت صاحب اليهودي. والأمر ههنا إلى غيري، ولست أملك لك من الله شيئا ، فلم يزل قائمًا بين يديه مليّا ، ثم أُطلق عنه وأجلس مع أبي بكر، فما زال كذلك يؤتي بخليفة خليفة حتى أفضى الأمر إليك، فلما سمع عمر ذلك منه ارتاع فاستوى جالسًا ثم قال : ياأبا المقدام فماذا صُنع بي ؟ قال : أُتي بك مجموعةً يداك إلى عنقك ، ثم وُقفت بين يديه طويلاً ثم أُمر بك فأطلق الغُل، ثم أُجلست مع أبي بكر وعمر بن الخطاب فاشتد عجب عمر بن عبدالعزيز لرؤيارجاء بن حيوةَ ثم قال : ياأبا المقدام والله لولا ماأثق به من صحبتك وورعك، وجدك واجتهادك ، ووفائك وصدقك، لأنبأتك أني لا آلي شيئًا من أمر الخلافة أبدًا، ولكني قد سمعت كلامك ورؤياك ، وما أَخلق بي ، سوف أبتلى بأمر هذه الأمة. فوالله لئن ابتُليت بذلك وإنها شرف الدنيا لأَطلبن بها شرف الآخرة[2].

(1) القتير هو الشيب .

(2) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٣٩ - ١٤١ .

– من مواقفه في إمارته على الحجاز –

لما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة ولاه على الحجاز من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين (١) .

استشارته فقهاء المدينة :

قال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه قال: لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة واليًا عليها كتب حاجبُه الناسَ ثم دخلوا فسلموا عليه، فلما صلّى الظهر دعا عشرة نفر من فقهاء البلد : عُرْوة بن الزبير وعبيدالله بن عبد الله بن عُتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعبد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: إني دعوتكم لأمر تُؤجَرون عليه وتكونون فيه أعوانًا على الحقّ، ماأريد أن أقطع أمرًا إلاّ برأيكم أو برأي من حضر منكم فإن رأيتم أحدًا يتعدّى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأُحَرّج بالله على أحد بلغه ذلك إلاّ أبلغني . فجزّوه خيرًا وافترقوا (٢) .

وهذا الخبر يدلنا على قوة إيمان عمر بن عبد العزيز وحبه البالغ لتطبيق الإسلام كاملا، حيث إن علماء الدين هم أخبر الناس

(١) تاريخ دمشق ٤٥/١٣٩ .

(٢) طبقات ابن سعد /٥/ ٣٣٤ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥ / ١٤١ .

بالإسلام، ففي استشارتهم والأخذ بحكمهم أمان من الوقوع في الخطأ والانحراف .

إجلاله سعيد بن المسيب :

قال ابن عبد الحكم : وأرسل عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة رسولا إلى سعيد بن المسيب رحمه الله يسأله عن مسألة، وكان سعيد لايأتي أميرا ولا خليفة ، فأخطأ الرسول فقال له: الأمير يدعوك فأخذ نعليه وقام إليه من وقته، فلما رآه قال له : عزمت عليك ياأبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا فإنا لم نرسله ليدعوك ، ولكنه أخطأ إنما أرسلناه ليسألك ، ولم يَرَ سعيد أنه يسعه التخلف عنه [1] .

وهذا موقف عظيم من عمر بن عبد العزيز رحمه الله في تعظيم علماء الدين ورعاية حقهم، فالعلم يُؤتَى إليه ولايأتي ،والعلماء يُقصدون ، ولايَقصدون غيرهم، لأن العلم لايؤثِّر ولايُعطي نتائجه المطلوبة إلا إذا تواضع له طالبوه ، وأصبح جَوُّه مُفعمًا بالحب والاحترام لحملة العلم .

ولقد كان عمر موفقا حينما اعتذر للعالم الرباني سعيد بن المسيب وأصر على أن يذهب إليه رسوله ليسأله وهو في مجلسه احتراما له والتماسا لبركة العلم إذا أحيط بما يلزم له من ظروف وأسباب .

كما كان سعيد بن المسيب موفقا حينما استجاب لدعوة عمر وهو

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٦ .

الذي لم يستــجب لدعوة أحد قبله ولابعــده. . كان موفقــا لأنه أظهر توقيــر الوالي العادل وتفخيم أمــره ، وفي ذلك مافيــه من عونه على الاستــقامــة على العدل ، ودفع النــاس إلى طاعتــه وتثبيــت أمره في الولاية.

استخلافه وموقف لرجاء بن حيوة :

قال ابن سعد رحمه الله تعالى : أخبرنا علي بن محمد عن جرير ابن حازم عن هزّان بن ســعد قال : حــدثني رجاء بن حيــوة قال: لما ثقل سليمــان بن عبد الملك رآني عمــر في الدار أخرج وأدخلُ وأتردد فدعــاني فقــال لي : يارجاء أذكرك الله والإســلام أن تذكرني لأمــير المؤمنين أو تشــير بي عليــه إن استــشارك، فــو الله ماأقــوى على هذا الأمر، فأنشــدك الله إلا صرفت أمير المؤمنين عني. فــانتهرته وقلتُ: إنَّك لحــريص على الخلافــة لتطمع أن أشــير عليــه بك . فاســتحــيى ودخلتُ، فقال لي سليمان : يارجاء من ترى لهذا الأمر وإلى من ترى أن أعهد ؟ قلت : ياأمير المؤمنين اتق الله فإنّك قادم على الله وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فــيه. قال : فمن ترى ؟ فــقلت: عمر بن عبــد العزيز . قال : كــيف أصنع بعهد أمــير المؤمنين عــبد الملك إلى الوليد وإليَّ في ابنَي عــاتكة أيهمــا بقي؟ قلت: تجعلهمــا من بعده . قال: أصبتَ ووفقتَ ، جئني بصــحيفة . فأتيته بصحــيفة فكتب عهد عمر ويزيد من بــعده وختمهــا ، ثم دعوتُ رجالاً فدخلوا عليــه فقال لهم : إني قد عــهدتُ عهدي في هذه الــصحيفــة ودفعتُهــا إلى رجاء وأمرتُه أمري وهو في الصحيفة ، اشهدوا واختموا الصحيفة. فختموا

عليها وخرجوا فلم يلبث سليمـان أن مات فكففتُ النساء عن الصياح وخرجتُ إلى الناس فـقالوا : يارجاء كيف أمـير المؤمنين ؟ قلت: لم يكن منذ اشتـكى أسكنَ منه الساعةَ . قـالوا : لله الحمـد ! فقلت: ألستم تعلمون أن هذا عهد أمير المؤمنين وتشهدون عليه؟ قالوا: بلى ، قلت : افترضون به ؟ قال هشام : إن كان فيه رجل من ولد عبدالملك وإلاّ فلا . قلت: فإنْ فيه رجل من ولد عبد الملك ؟ قال : فنعم إذاً. قال فدخلتُ فمكثتُ ساعةً ثم قلتُ للنساء اصرخن، وخرجتُ فقرأتُ الكتاب والناس مجتمعون وعمر في ناحية الرواق .

وقال : أخـبرنا عليّ بن محمـد عن يعقوب بن داود الثـقفي عن أشياخ من ثقيف قال: قُرئ عهد عمر بعد وفاة سليمان بالخلافة وعمر ناحيـةً وهو بدابق . فقـام رجل من ثقيـف يقال له سالـم من أخوال عمر. فأخذ بضـبعه فأقامه فقال عمـر : أما و الله ما الله أردتّ بهذا ولن تصيب بها مني دنيا (١) .

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٩ - ٣٤٠، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ١٥٧ .

تقديره ولد قتادة بن النعمان :

قال الواقدي فيما يرويه عن شيوخه : وأُصيبت يومئذ[1] عين قَتادة بن النُّعمان حتى وقعت على وَجْنَته . قال قتادة بن النعمان : فجئت رسول الله ﷺ فقلت : أي رسول الله ، إنَّ تحتي امرأةً شابة جميلة أحبّها وتُحبني وأنا أخشى أن تقذَر مكان عيني . فأخذها رسول الله ﷺ فردّها فأبصرت وعادت كما كانت ، فلم تضرب عليه ساعةً من ليل ولانهار ، وكان يقول بعد أن أسنَّ : هي والله أقوى عينَيّ! وكانت أحسنَهما [2] .

وقال الحافظ ابن حجر : أخرج الدارقطني وابن شاهين من طريق عبد الرحمن بن يحيى العذري عن مالك عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه أنه أصيبت عينه يوم أحد فوقعت على وجنته فردها النبي ﷺ فكانت أصح عينيه .

قال : وأخرجه الدارقطني والبيهقي في الدلائل من طريق عياض ابن عبد الله بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري وذكر نحوه [3] .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن ولد قتادة بن النعمان وفد على عمر

---

(١) يعني يوم معركة أحد .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٢٤٢ .

وأخرجه ابن هشام مختصرا - سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣ - .

(٣) الإصابة ٣/ ٢١٧ ، رقم ٧٠٧٨ .

ابن عبد العزيز فقال له : من أنت ؟ فقال مرتجلا :

أنا ابن الذي سالت على الخدِّ عينه
فـرُدَّت بكفِّ المصطفى أحسن الـرَّدِّ

فعادت كما كـــانت لأول أمـرهـا
فياحُسْنَها عـينًا ويـاحُسْنَ مــــارَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك :

تـلك المـكـارم لاقَـعْبان مـــن لبن
شِـيْبَـا بمــاء فـعـادا بَـعْـدُ أبـــوالا

ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه (١) .

وولد قتادة هذا لم يُذكر اسـمه في هذه الروايات ، لكن جاء في رواية ذكرها الحـافظ ابن حجر : قال عـاصم : فحدثت به عـمر بن عبدالعزيز ، فذكر البيت الذي تمثل به عمر (٢) ، وهذا يعني أن عاصم ابن عمـر بن قتـادة المؤرخ المشهور هو صـاحب القصـة ، ويكون قد انتسب إلى جده .

ففي هذا الخـبر موقف لأميـر المؤمنين عمر بن العزيز رحـمه الله تعالى في إكرام ولد قتادة بن النعمان لما وفد عليه حينما عرف نفسه بما حدث لأبيـه رضي الله عنه في هذا الخبـر على يد رسول الله ﷺ ،

(١) البداية والنهاية ٤/ ٣٥ ، وانظر عيون الأثر ٢/ ١٤، وسيـرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي /١٩٦ .

(٢) الإصابة ٣/ ٢١٧ ، رقم ٧٠٧٨ .

وهذا يدل على تفوق عمر بن عبد العزيز في المجال الأخلاقي، وذلك بتقدير أهل الفضل والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين، فإن ماحدث لقتادة رضي الله عـنه من اقتلاع عينه بتلك الصورة شـاهد على إيغاله في القتـال وتعرضه للمـهالك، كمـا أنه شرف له أن تمثلت فـيه تلك المعجزة النبوية .

ولقد كان ولده بارعًـا حينما صور هذا المشهـد بذينك البيتين من الشعر اللذين ارتجلهما في الرد على أميـر المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما سأله عن اسمه ، وكان عمر أيضا بارعًا في جوابه واستشهاده ببيت الشعر الذي استشهد به .

تقديره زياد مولى ابن عياش :

إن من مـواقف أميـر المؤمنين عمـر بن عبـد العزيز في التـواضع وتقدير العلمـاء ماجاء في رواية ابن عـبد الحكم أنه قال: وقـدم عليه زياد مولى ابن عياش وأصحاب له ، فأتى الباب وبه جماعة من الناس فأذن له دونهم ، فـدخل عليه فنسي أن يسلم عليه بالخـلافة، ثم ذكر فقـال : السلام عليك ياأمـير المؤمنين ، فـقال له عـمر : والأُولى لم تضرني ، ثم نزل عـمر عن موضع كان عليـه إلى الأرض وقال: إني أُعْظِم أن أكون في موضع أعلو فيـه على زياد، فلما قضى زياد مايريد خرج ، فأمر عـمر خازن بيت المال أن يفتحه لزياد ومـن معه يأخذون منه حاجتهم ، فنظر إليه خازن بيت المال فاقتحمَتْه عينه أن يكون يُفتح لمثله بيت المال ويسلَّطُ عليه - وهو به غير عارف - ففعل الخازن ماأمر به ، فدخل زياد فـأخذ لنفسـه ولأصحابـه بضعا وثمـانين درهما، أو

بضعا وتسعين درهما ، فلما رأى ذلك الخازن قال: أمير المؤمنين أعلم بمن يسلط على بيت المال [1] .

ففي هذا الخبر صور من تواضع عمر بن عبد العزيز رحمه الله وتقديره للعلماء الربانيين، فهو أولاً لم يبال بلقب الخلافة وهو أعلى لقب عند المسلمين ، والمناصب لها فتنة يقع في حبائلها من اغتروا بالجاه والمنزلة الدنيوية ، أما أقوياء الإيمان فإن شخصيتهم لاتتغير بعد المنصب بل يظلون على ماهم عليه من التواضع ، وربما زادوا تواضعا في مقابلة احترام الناس لهم .

ثم هو ثانيًا نزل عن مكانه حتى لايعلو ذلك العالم الرباني زياد ابن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وكون ذلك العالم من الموالي لايُنزل من قدره عند عمر فإن العبرة بالعلم والتقوى لابشرف النسب .

وموقف كريم لذلك العالم الرباني حيث لم يأخذ من بيت المال إلا ذلك القدر الزهيد مع أنه قد مُكِّن منه ، وهذا مثال رفيع من أمثلة الزهد والورع .

وحينما تكون النفوس كبيرة والعقول راجحة فإنها تعفُّ عن متاع الدنيا الذي يتنافس عليه الصغار ، وتطمح ببصرها نحو نعيم الآخرة الخالد الذي يتنافس فيه الكبار .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٥٣ ، وأخرجه الإمام أحمد وذكر نحوه - الزهد/ ٢٩٩ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٦١ .

إكرامه من ينتسبون إلى علي رضي الله عنه :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني مـن خبر عيسى بن عبد الله بن محمـد بن عمر بن علي بن أبي طالب. قال : حـدثني يزيد بن عمر بن مـورق قال: كنت بالشـام وعمـر بن عـبد العـزيز يعطي الناس، فتـقدمت إليـه فقـال لي : ممن أنت ؟ قلت من قريـش، قال من أي قريش؟ قلت مـن بني هاشم . قال من أي بني هاشم ؟ قـال فسكت فقال من أي بني هاشم ؟ قلت مولى علي . قال من علي : فسكت، قـال: فوضع يده علـى صدري وقـال: وأنا والله مـولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ثم قال: حـدثني عدة أنهم سمعوا النبي ﷺ يقول : « من كنت مـولاه فعلي مولاه » ثم قـال: يامزاحم كم تعطي أمثاله ؟ قـال : مائة أو مائتي درهم، قال أعطه خـمسين ديناراً، وقال ابن أبي داود : سـتين ديناراً لولايتـه علي بن أبي طالب ، ثم قـال: الحق ببلدك فسيأتيك مثل مايأتي نظراءك [1] .

وهذا موقف يذكر لأمير المؤمنين عمـر بن عبد العزيز حيث حفظ حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عـنه فأكرم وفادة ذلك الرجل وفضله على غيره في العطية لكونه مولى لعلي، وفي هذا الخبر تصوير للإرهاب الذي بثـه بنو أمية في قلوب الناس فيمـا يتعلق بعلي ابن أبي طالب رضي الله عـنه وذريته ، حـيث لم يجـرأ ذلك المولى على ذكر انتسابه إليه في بادئ الأمر .

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٦٤ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٢ .

– نماذج من جرأته في الحق وحزمه وحكمته –

إنكاره على الوليد بن عبد الملك في الحكم بالهوى :

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم : ودخل عمر بن عبدالعزيز على الوليد بن عبد الملك فقال : ياأمير المؤمنين إن عندي نصيحة فإذا خلا لك عقلك واجتمع فهمك فسلني عنها، قال: مايمنعك منها الآن ؟ قال : أنت أعلم إذا اجتمع لك ماأقول، فإنك أحق أن تفهم .

قال : فمكث أياما ثم قال : ياغلام من بالباب ؟ فقيل له ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز فقال: أدخله ، فدخل عليه فقال: نصيحتك ياأبا حفص فقال عمر : إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم، وإن عمالك يقتلون ويكتبون : إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا، وأنت المسؤول عنه ، والمأخوذ به . فاكتب إليهم أن لايقتل أحدٌ منهم أحدًا حتى يكتب إليك بذنبه ثم يشهد عليه، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك قال: بارك الله فيك ياأبا حفص ومنع فقدك. عليَّ بكتاب فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم فلم يَحْرَجْ من ذلك إلا الحجاج ، فإنه أمضَّه ، وشقَّ عليه وأقلقه . وظن أنه لم يكتب إلى أحد غيره، فبحث عن ذلك فقال : من أين دُهينا ؟ أو من أشار على أمير المؤمنين بهذا، فأُخبر أن عمر بن عبد العزيز هو الذي فعل ذلك فقال : هيهات إن كان عمر فلا نقض لأمره .

قال : ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابي حروري جاف من بكر بن وائل، ثم قال له الحجاج : ماتقول في معاوية ؟ فنال منه. قال له:

ماتقول في يزيد ؟ فسبَّه . قال : فما تقول في عبد الملك، فظلَّمه قال: فما تقول في الوليد ؟ فقال : أجورهُم حين ولاَّك وهو يعلم عداءك وظلمك .

قال : فسكت عنه الحجاج وافترصها منه ثم بعث به إلى الوليد وكتب إليه : أنا أحوط لديني ، وأرعى لما استرعيتني وأحفظ له من أن أقتل أحداً لم يستوجب ذلك، وقد بعثت إليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأي فشأنك وإياه. فدخل الحروري على الوليد وعنده أشراف أهل الشام وعمر فيهم، فقال له الوليد : ماتقول فيَّ؟ قال: ظالم جائرٌ جبار . قال : ماتقول في عبد الملك؟ قال جبار عات قال: فما تقول في معاوية ؟ قال : ظالم . قال الوليد لابن الريّان : اضرب عنقه فضرب عنقه .

قال : ثم قام فدخل منزله وخرج الناس من عنده فقال: ياغلام اردد عليَّ عمر، فرده عليه فقال: ياأبا حفص ماتقول بهذا ؟ أصبنا فيه أم أخطأنا؟ فقال عمر ماأصبت بقتله، ولغيرُ ذلك كان أرشد وأصوب، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل أو تدركه منيته ، فقال الوليد: شتمني وشتم عبد الملك وهو حروري أفتستحلُّ ذلك؟ قال: لعمري ما استحلَّه ،لو كنت سجنته إن بدا لك أو تعفو عنه، فقام الوليد مُغضباً، فقال ابن الريان لعمر: يغفر الله لك ياأبا حفص، لقد راددت أمير المؤمنين حتى ظننت أن سيأمرني بضرب عنقك. فقال عمر: ولو أمرك كنت تفعل ؟ قال: إي لعمري قال عمر : اذهب إليك[1].

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣٤ -١٣٦ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ١٥٢ .

فهذا موقف جليل من عمر بن عبد العزيز في الصدع بالحق أمام الوليد بن عبد الملك الذي كان شديد البطش وفي حال من الغضب الشديد، ولكنه كان بين أمرين : أن يتعرض لسخط الوليد وعذابه إن جهر بالحق، أو أن يتعرض لسخط الله جل وعلا وعذابه إن جهر بالباطل، فآثر طلب رضوان الله سبحانه واجتناب سخطه وعذابه فكفاه شر عباده .

مشورته على سليمان بن عبد الملك في الحكم :

قال أبو محمد ابن عبد الحكم : وشاور سليمان بن عبد الملك عمر بن العزيز في رجل سب سليمان فقال: ماترى فيه؟ فقال من حوله: اكتب بضرب عنقه - وعمر بن عبد العزيز ساكت - فقال: مالك لاتتكلم ياعمر ؟! فقال: أما إذا سألتني فلا أعلم سبَّةً أحلت دم مسلم إلا سبة نبي ، قال: فقاموا وقام فقال سليمان: لله بلادك ياعمر لو قرشي طُبختَ في مرقته لأنضجَتها (١) .

ولقد حدث في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أن رجلا من الخوارج شتمه ، كما ذكر ذلك ابن عبد الحكم قال: وحكَّم رجل في مسجد رسول الله ﷺ (٢) - وأبو بكر بن محمد في صلاته- فقطع عليهم الصلاة وشهر السيف. فكتب أبو بكر إلى عمر. فأُتي بكتاب عمر فقرئ عليه فشتم عمر والكتاب ومن جاء به . فهمَّ أبو

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز/ ١٣١-١٣٢ ، والمقصود بالمرقة اللحم، والمراد وصفه بالقوة والحزم .

(٢) يعني قال : لاحكم إلا الله .

بكر بضــرب عنقه ثم راجع عــمر وأخــبره أنه شتــمه وأنه همَّ بقــتله . فكتب إليه عمر : لو قتلته لقــتلتك به، فإنه لايُقتل أحدٌ بشتم أحد إلا أن يشتم النبي ﷺ ، فإذا أتاك كتــابي هذا فاحبس عن المسلمين شره، وادُعهُ إلى التوبة في كل هلال، فإذا تاب فـخلِّ سبيله . فلم يزل في الحبس حتى هلك عمر فضرب يزيد بن عبد الملك عنقه .

وهكذا كــان علم عمــر بن عبــد العزيز وورعــه عاصــمين له من الظلم، فــالورع وحده لايكفي في الــعصــمة بدون العلم بالشــرع لأن المسلم بدون العلم قــد يقع في المخــالفات عــن جهل، والعلم وحــده لايكفي لأن المسلم قد يعلم الحكم ولكنه لايطبقـه اتباعا للهوى، وقد تميز عمر بن عبد العزيز في معاملة الخوارج بالعدل والحكمة .

إنكاره على سليمان بن عبد الملك في الإنفاق :

قال أبو محمد ابن عبد الحكم: وقدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأعطى بهــا مالا عظيــما، فقــال لعمر بن عــبد العــزيز : كيف رأيت مافعلنا ياأبا حــفص ؟ قال: رأيتك زدت أهل الغنى غنى وتركت أهل الفقر بفقرهم [1].

فهــذا تقويم جــيد من عــمر بن عــبد العزيز لــعمل سليــمان بن عبدالملك ، فقد كان سليمان - لجهله بدقائق أحكام الشريعة في مجال الإنفــاق - يظن أنه بإنفاقــه ذلك المال الكثيــر على الرعــية قد عــمل صالحا، فــأفاده عمر بن عــبد العزيز بأنه قد أخطأ حــينما صرف ذلك المال لغير مستحقيه وحرم منه أهله .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣١ .

إنكاره على سليمان بن عبد الملك في تحكيمه كتاب أبيه :

ذكر ابن عبد الحكم رحمه الله في روايته عن شيوخه قال : وكلَّم عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في ميراث بعض بنات عبدالعزيز من بني عبد الملك ، فقال له سليمان بن عبد الملك : إن عبد الملك كتب في ذلك كتابا منعهن ذلك، فتركه يسيرا ثم راجعه، فظن سليمان أنه اتهمه فيما ذكر من رأي عبد الملك في ذلك الأمر فقال سليمان لغلامه : إئتني بكتاب عبد الملك ، فقال له عمر: أبالمصحف دعوتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال أيوب بن سليمان : ليوشكن أحدكم أن يتكلم الكلام تضرب فيه عنقه ، فقال له عمر : إذا أفضى الأمر إليك فالذي دخل على المسلمين أعظم مما تذكر ، فزجر سليمان أيوب ، فقال عمر : إن كان جهل فما حلُمْنا عنه ؟[1] .

فهذا موقف من مو اقف الجرأة في قول الحق التي يُحْمد لعمر حيث اعتبر سليمانُ بن عبد الملك كتابة أبيه شرعًا لايمكن تغييره، فنبَّهه عمر إلى أن الكتاب الذي لايُنقض ولايغيَّر هو كتاب الله تعالى وحده.

وهكذا يصل الطغيان بضحاياه إلى تعظيم شأن الآباء والأجداد الذين ورَّثوا ذلك المجد الزائل لأبنائهم إلى الحد الذي يَعتبرون فيه قضاءهم شرعا نافذا من غير نظر في موافقته لحكم الإسلام أو مخالفته .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٣١ وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٢٩ .

وموقف يذكر لسليمان حيث وبَّخ ولده الذي هدد عمر أن قال كلمة الحق ، وهذا يدل على مايتصف به سليمان من سرعة الرجوع إلى الحق إذا تبين له ، كما أن من فضائله جعل عمر بن عبد العزيز مستشاراً له ومن خاصته الأقربين ، ثم عقد الخلافه له من بعده .

عزله ولاة السوء :

إن من أهم المواقف الجريئة التي قام بها أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إقدامه على عزل ولاة السوء الذين اشتهروا بالظلم، وكان أول عمل قام به عزل أسامة بن زيد التنوخي ويزيد بن أبي مسلم ، قال ابن عبد الحكم في ذلك : وكتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي ، وكان على خراج مصر ، وأمر به أن يحبس في كل جند سنة، ويقيد ويحل عن القيد عند كل صلاة، ثم يرد إلى القيد، وكان غاشما ظلوما معتديا في العقوبات بغير ماأنزل الله عز وجل يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به ، ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها القطائع [١] ويطرحهم للتماسيح ، فحُبس بمصر سنة ، ثم نقل إلى أرض فلسطين فحبس بها سنة ، ثم مات عمر رحمه الله وولي يزيد ابن عبد الملك فردَّ أسامة على مصر .

قال : وكتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن أفريقية وكان عامل سوء، يُظهر التألُّه والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جلَّ أو صغر من السيرة بالجور والمخالفة للحق، وكان في هذا يُكثر الذكر والتسبيح، ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذَّبون وهو يقول : سبحان الله

(١) لعل المراد الأيدي المقطوعه .

والحمـد لله ، شُدَّ ياغلام موضع كـذا وكذا لبعض مـواضع العذاب، وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكـبر شدَّ ياغلام مـوضع كذا وكذا، فكانت حالته تلك شر الحالات [1] .

وهكذا كـان أول عـمل قـام به عـمـر هو عـزل هـذين الواليين الظالمين، كما جاء في رواية ابن عبد الحكم أنه كتب كتابَيْ عزلهما بعد دفن سليمان بن عـبد الملك وقبل رجوع عمـر إلى بيته ، مما يدل على شدة اهتمامه بإقرار العدل ورفع الظلم .

فهذان الواليـان قد نسيا عـبوديتهمـا لله تعالى ، فلم يصاحبـهما الشعور بأنهمـا ومن فوقهما في المسئولية منفـذون لشريعة الله تعالى، مستسلمون لأوامره ، بل كان الشعور الذي يسيطر عليهما هو محاولة إرضاء طمـوحهمـا نحو الطغيـان والتجـبر على الرعيـة، وإرضاء من فوقـهمـا من المسـئولين لاعـتقـادهما بأن إذلال الناس يقـربهمـا من المسئولين.

وهذا الشعـور الضاغط الذي يلازم الطغاة ويهيـمن على تفكيرهم ينسيـهم أي تفكير نحـو إصلاح الرعيـة والإحسان إليـهم لأن همهم منصـرف إلى مدى البراعـة في إتقان مـجال النفـاق والمداهنة لمن هم فوقهم، وتحصيل رضاهم بأي ثمن ، وإن كان يترتب على ذلك سخط الله تعالى عليهم ، وكراهية الناس لهم .

وفي الخبر الأخـير مثل من التضليل بالتظاهر بالتـدين حيث يُكثر ذلك الوالي من التسـبيح والتهليل والتكبيـر ، في الوقت الذي يتسلَّى

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٣٧ - ٣٨ .

فيه برؤية المعذبين ، ويُصدر أوامره بالتشديد في تعذيبهم ، وهذا جهل منه وضلال ، ففي الوقت الذي يقول فيه لا إله إلا الله ، ينطق عمله الظالم بتعظيم غير الله تعالى ، لأن الله جل وعلا لايرضى بالظلم، وإنما ينطوي فكر هذا الوالي الظالم على إرضاء شهوة الجبروت والطغيان في نفسه أو نفوس من يعمل لكسب رضاهم .

وإذا كان يقول: الله أكبر، فكيف لم يجعل الله تعالى نُصْبَ عينيه وهو يعذب الناس ؟ فهل كان الله عز وجل أكبر في فكره حقا، أم كان الأكبر هُمْ من يعظمهم من دون الله تعالى ؟

وهذا الاتجاه له نتائجه الخطيرة على عقيدة المسلمين وسلوكهم، ولهذا كان غضب الإمام العادل عمر بن عبد العزيز، فإنه لم يكن بمعزل عن واقع الأمة قبل الخلافة ، فلما تولى أمر المسلمين سارع إلى عزل الولاة الظَّلمة الذين يعرقلون سير المجتمع نحو الصلاح .

قوته في الرجوع إلى الحق :

ذكر الحافظ ابن عساكر من خبر يحيى بن سعيد وربيعة بن أبي عبدالرحمن قالا : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما من طينة أهون علي فكّا ، ولا من كتاب أيسر علي ردّا من كتاب قضيت به ثم أبصرت أن الحق في غيره فنسخته [1] .

فهذا يدل على تغليبه نداء العقل السليم على نداء العواطف، وذلك مبعثه قوة ملاحظة الهدف الإسلامي الأعلى وهو ابتغاء رضوان الله تعالى والدار الآخرة، فإذا كان الإيمان بهذا الهدف قويا فإنه يتكون

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥/ ١٩٤ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٦١ .

لدى صاحبـه عزوف عن اتباع هوى النفس وقوة في الشخصـية تبعث على عدم المـبالاة بانتقـادات الناس ولافيـما قـد يتعرض لـه الجاه من اهتزاز لدى بعض الناس .

ومن ذلك ما أخرجه مـحمد بن سعد من خبـر حسن بن القاسم الأزرقي : أنه كان عند عمر بن عبد العزيز ونفر من قريش يختصمون إليه فـقضى بيـنهم ، فقـال المقضي عليـه : أصلحك الله إن لي بينة غائبة، فقال عمر : إني لا أؤخر القضاء بعد أن رأيت الحق لصاحبه، ولكن انطلق أنت فإن أتيـتني ببينة وحق هو أحق من حقـهم فأنا أول من رد قضاءه على نفسه [1] .

تلذذه بتنفيذ الحق :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبـر أبي بكر بن عمرو بن حزم قال قال لي عمر بن عـبد العزيز : ماوجدت في إمارتي هـذه شيئا ألذ من حق وافق هواي [2] .

وهكذا يعلن العظماء عن مواقع ملذاتهم . . إنهم لايتلذذون بمتاع الدنيا الزائل مهما لمع بريقه وقويت جـاذبيته ، ولكنهم يعشقون المعاني السامـية والمثل العـالية التي من أبرزها تنـفيذ الحق مع انشـراح النفس له . . إنها مـتعة روحـية عاليـة لايتذوقـها إلا من صفـا فكره وسمت مطالبه .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٦ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٢٠٧ .

بيانه مهمة الحاكم :

من مواقفه رحمه الله في بيان مهمة الحاكم قوله في إحدى خطبه: أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبي ، وليس بعد الكتاب الذي أنزل إليكم كتاب ، فما أحل الله تعالى على لسان نبيه ﷺ فهو حلال إلى يوم القيامة ، وماحرم الله على لسان نبيه ﷺ فهو حرام إلى يوم القيامة ألا إني لست بقاض ، وإنما أنا منفِّذ لله، ولست بمبتدع ولكني متبع ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله عز وجل، لست بخير منكم ، ألا وإني أثقلكم حملا ، يا أيها الناس إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم [1] .

فقد بين رحمه الله أن مهمة الحاكم أنه منفذ لشريعة الله تعالى في الأرض ، وذلك في أمور سياسة الأمة الداخلية والخارجية وأمور الجهاد لحماية الأمة ولتبليغ الإسلام ، ثم في تنفيذ أحكام الإسلام التي يحكم بها القضاة كإقامة الحدود ورد المظالم ، ثم في الإشراف والرقابة على سائر أمور الأمة .

وفي تحديد مهمة أمير المؤمنين بكونه منفذا لشريعة الله تعالى بيان للخط السياسي الذي يجب أن يسير عليه ، فهو ليس مشرعا مع الله جل وعلا ، ولايجوز له أن يتأخر في تنفيذ شريعة الله تعالى .

ثم بين أنه - من ناحية المصدر الذي يتلقى منه - متَّبع للكتاب

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤١ - ٤٢، وانظر تاريخ دمشق٤٥/ ١٧١ .

والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين وليس بمبتدع شيئًا لم يُسبق إليه، فإذا استنكر بعض الناس وجوه الإصلاح التي يقوم بها فليس ذلك لأنها أمور مبتدعة وإنما ذلك لكون بعض السنن أُميتَتْ ، وأحيي الناس بدلاً منها البدع ، فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا عند بعض الناس.

ثم بين أن طاعة السلطان ليست مطلقة وإنما هي مقيدة بطاعة الله سبحانه ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإذا أمر الحاكم بأمر يتعارض مع شريعة الإسلام فلايجوز تنفيذ أمره بل يجب تنبيهه ليرجع إلى الحق ، فينقذ نفسه وينقذ أمته من مخالفة أمر الله تعالى .

ثم بين أنه لاتلازم بين المسئولية والخيرية ، فليس كون الإنسان مسئولا يُخوِّله أن يكون خيرا ممن هم تحت مسئوليته، وإنما كلما عظمت المسئولية كانت التكاليف أشق وأثقل، فمن كان مسئولا عن أسرته فقط ليس كمن هو مسئول عن إدارة أو إمارة ، وصاحب الولاية العظمى هو أثقل المسلمين حملا، لأن كل مسئول يأتي يوم القيامة فيناقَش الحساب عن رعيته التي استرعاه الله إياها، كما قال النبي ﷺ « مامن وال على عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، فكَّه عدله أو أوبقه جوره » أخرجه الإمام أحمد (١) .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز بهذا الكلام دقيق الفهم لحقيقة الولاية حيث فهم أنها مَغْرم وليست بمغنم ، وأنها لاتزيد صاحبها شرفا ولارفعة ، وإنما هي ابتلاء بعمل ثقيل متواصل، إن أداه صاحبه على ما يُرضي الله تعالى كان عملا صالحا وأصبح نعمة على صاحبه،

---

(١) الفتح الرباني ٢٣/ ١٤ - ورجاله رجال الصحيح .

ودخل في زمرة من قال عنهم رسول اللـه ﷺ « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله . . وذكر منهم الإمام العادل »[1] ، وإن عمل فيه بما يسخط الله تعالى كان عملا سيئًا وكان نقمة على صاحبه ودخل في زمرة من قال فيـهم رسول الله ﷺ « اللهم من ولَي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه » [2] .

ثم ختم خطبـته ببيان أن أفضــل العبادة فعل الواجبـات واجتناب المحرمات ، وذلك مقتبس من قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا « وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه»[3] وذلك يشمل فعل الواجبات واجتناب المحرمات .

وهذه الجملة تدل على عمق فهم عمر لشمول العبادة حيث جعل منها ترك المحرمات ، وعلى فقهه حيث قدم ذلك على فعل النوافل .

---

(١) صـحـيح البـخاري رقـم ١٤٢٣ الزكاة (٣/ ٢٩٢) ، صـحـيح مـسلم ، زكـاة رقم ١٠٣١(ص٧١٥) .

(٢) صحيح مسلم رقم ١٨٢٨ ، الإمارة (ص ١٤٥٨) .

(٣) صحيح البخاري ، الرقاق ، رقم ٦٥٠٢ (١١/ ٣٤٠) .

من أخباره في العدل والاهتمام بالمسئولية

رغبته في التأسي بجده عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أخرج الإمام أحمد بن حنبل من خبر جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر [١] : أما بعد فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من هذا الأمر عن غير مشورة ولاطلب له ولكن كان ماقدر الله عز وجل فأسأل الله الذي ابتلاني بما ابتلاني أن يعينني عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إلي بكتب عمر ابن الخطاب وقضائه وسيرته في أهل العهد وأهل الذمة فإني متبع أثره وسائر بسيرته إن أعانني الله على ذلك والسلام، فكتب إليه سالم : جاءني كتابك تذكر أن الله عز وجل ابتلاك بما ابتلاك به من هذا الأمر من غير طلب ولامشورة كان منك ولكن ماكان قدر الله أن يبتليك، فأسأل الله الذي ابتلاك بما ابتلاك به أن يعينك عليه فإنك لست في زمان عمر وليس عندك رجال عمر فإن نويت الحق وأردته أعانك الله عليه وأتاح لك عمالا وأتاك بهم من حيث لاتحتسب فإن عون الله على قدر النية فمن تمت نيته في الخير تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر من العون بقدر ما قصر منه والسلام [٢] .

فهذا طموح من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما أراد التأسي بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أحكام أهل الذمة،

---

(١) جاء في كتاب الزهد « سالم بن عمر وصوابه ماأثبت لأن سالما هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(٢) الزهد / ٣٠١ - ٣٠٢ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم/ ١٢٢ .

حيث إنه في عهد قد تقررت هذه الأحكام فيه .

وماجاء في جواب سالم بن عبد الله بن عمر لايعتبر تيئيسا لعمر ابن عبد العزيز ، وإنما هو تذكير له بما يتطلبه ذلك التأسي من التكامل، حيث إن تطبيق الأحكام الشرعية لايؤدي مقاصده إلا إذا كان الولاة الذين سيتولون التنفيذ على مستوى هذه الأحكام فهما وقناعة ومقدرة على التنفيذ ، وقد أشار سالم إلى مايمحو هذا التيئيس ويفتح باب الأمل ، وذلك بصلاح نية المسئول الأعلى وتوجهه الصادق نحو الإصلاح ، فإن صلاح النية في ذلك يترتب عليه عون الله تعالى وتوفيقه إلى اختيار هؤلاء الولاة المتقين الذين يكونون عونا لأمير المؤمنين على معرفة الحق وتنفيذه .

تذكيره بالحساب الأخروي :

نقل الحافظ ابن كثير عن الشعبي قال: حج سليمان بن عبد الملك، فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لايحصي عددهم إلا الله ، ولايسع رزقهم غيره!! فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم خصماؤك عند الله، فبكى سليمان بكاء شديدًا ، ثم قال: بالله أستعين [1] .

فهذا التذكر السريع من عمر بن عبد العزيز لمشاهد يوم القيامة يدل على عمق يقينه ، حيث قارن سريعا بين مارآه من المشهد الدنيوي وماينتظر من الحساب الأخروي ، فذكَّر أمير المؤمنين سليمان بمسؤليته عن جميع المسلمين .

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ١٨٧ .

وعظه سليمان بن عبد الملك في رد المظالم :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر مكي بن إبراهيم قال: كنا عند عبد العزيز بن أبي رواد في المسجد فارتفعت سحابة فجاءت برعد وبرق وصواعق، ففزع القوم فتفرقنا، فلما سكنت عدنا، فقال عبدالعزيز: خرج سليمان بن عبد الملك يوما إلى بعض البوادي فأصابهم نحو من هذا ففزع سليمان ونادى ياعمر ياعمر وكانوا- يعني بني أمية- إذا أصابتهم شدة فزعوا إلى عمر بن عبد العزيز، فإذا عمر ينادي ها أنا ذا. قال: ألا ترى؟ قال: ياأمير المؤمنين إنما هذا صوت نعمة فكيف لو سمعت صوت عذاب؟ فقال: خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها، فقال عمر: أو خير من ذلك ياأمير المؤمنين، قال وماهو؟ قال قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، قال فجلس سليمان فرد المظالم [1].

وهكذا كان سلوك عمر بن عبد العزيز في التذكر والاعتبار عبرة لمن حوله، فقد كان لتذكيره سليمان بن عبد الملك بعذاب الله تعالى أثر في خشيته وإنابته، وقد كان من أثر ذلك أن وصل عمر إلى تذكيره بالعدل ورد الحقوق إلى أصحابها .

إتخاذه رقباء على نفسه ليستقيم على الحق :

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر عمرو بن مهاجر قال قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني، ثم قل : ياعمر ماتصنع ؟![2] .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٣٣ .

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٤٦ .

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر أبي حازم قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز قال : انظروا رجلين من أفضل من تجدون، فجيء برجلين ، فكان إذا جلس مجلس الإمارة ألقى لهما وسادة قُبالَه فقال لهما: إنه مجلس شرَة وفتنة فلا يكن لكما عمل إلا النظر إلي، فإذا رأيتما مني شيئا لايوافق الحق فخوفاني وذكراني بالله عز وجل [١].

فهذا مثل من تصميمه على الحكم بالحق، وهو لكونه يعرف ضعف بني آدم ، وأن الإنسان يسير في هذه الحياة بين أعداء لدودين: نفسه الأمارة بالسوء التي تزين له اتباع الهوى ، والشيطان الرجيم الذي يوسوس له ويخادعه ويقلل في عينه مسالك الانحراف، ويضخم في عينه مهابة الناس، وشياطين الإنس الذين مايزالون يفتلونه في الذروة والغارب ليسقطوا على مواقع الضعف فيه فينفذوا منها إلى السيطرة عليه وتسخيره لباطلهم ، فهو لكونه يعرف ذلك كله لم يعتمد على مايرى من قوة إيمانه وعزمه الأكيد على تنفيذ الحق ودحر الباطل، بل جعل على نفسه رقباء من أهل التقوى بعيدا عن ساحة المعركة التي يخوضها هو ليدرك ما قد يفوته أو يغلب عليه من مناحي الانحراف عن الطريق المستقيم .

وفي تعبيره عن الطريقة التي أرشد إليها ذلك الأخ في الرواية الأولى في تنبيهه إلى الحق مثل من تواضعه الكبير، وتجرده من حظ النفس، واعتباره تنفيذ الحق أعلى من مراعاة الجاه والمنزلة الاجتماعية.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز /١٤٦ - ١٤٧ .

ماقام به من رد المظالم :

قال ابن عبد الحكم - في بيان ماقام بـه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافـة - : واحتجب عن الناس ثلاثا لايدخل عليه أحد ، ووجوه بني مـروان وبني أمية وأشراف الجنود والـعرب والقواد ببـابه ينظرون مـا يخرج به عليـهم منه ، فـجلس للناس بعـد ثلاث وحملهم على شريعـة من الحق فعرفوها ، فرد المظالم وأحـيا الكتاب والسنة وسار بالعدل ، ورفض الدنـيا وزهد فيها ، وتجرد لإحـياء أمر الله عز وجل، فلم يزل على ذلك حتى قبضه الله عز وجل ، فرحمه الله (١) .

وهكذا رسم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز سياسته التي سيسير عليهـا ، حيث أحـصى المظالم فردها إلى أصحـابها، وكـان قويا في فرض الحق ، فلم يخش المعـارضين مع كثرتـهم وتحزبهم، ولم يخش أحدًا من الظلمـة ، لأنه كان يخش الله تعالى وحده ، حـيث أصبح قلبه مملوءًا بالإيمان بالـله جل وعلا وحبه وخـشيتـه ، ولم يكن لمراكز القوى المحيطة بـه أي أثر في صده عن تنفيذ الحق، لأن قلبـه قد تجرد للإيمان بالله تعالى وحده فلم يستـطع الشيطان أن يغريه بالدنيا ولا أن يخيفه بأصحاب النفوذ ولا من وراءهم من طلاب الدنيا .

بدؤه بنفسه وأهل بيته :

ومن عدالته أنه بدأ بنفسه وأهل بيته ، وفي ذلك يقول أبو بكر بن أبي سبرة : لمارد عمر بن عبد العزيز المظالم قال: إنه لينبغي أن لا أبدأ

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٠ .

بأول من نفسي ، فنظر إلى مافي يديه من أرض أو متاع فخرج منه، حتى نظر إلى فص خاتم فقال : هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب، فخرج منه [1] .

ومن ذلك ماجاء في قول عبد المجيد بن سهيل: رأيت عمر بن عبد العزيز بدأ بأهل بيته فرد ماكان بأيديهم من المظالم ثم فعل بالناس بعد [2] .

ولقد سهل على الناس وصول حقوقهم إليهم ، وفي ذلك يقول أبو الزناد : وكان عمر يرد المظالم على أهلها بغير البينة القاطعة، كان يكتفي بأيسر من ذلك ، إذا عرف وجها من مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما كان يعرف من غشم الولاة [3] .

من كتاباته في رد المظالم :

ومن كتاباته إلى الولاة في رد المظالم مارواه عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز بالعراق في رد المظالم إلى أهلها، فرددناها حتى أنفدنا ما في بيت مال العراق، وحتى حمل إلينا عمر المال من الشام [4] .

وكذلك ماجاء في خبر أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : والي المدينة قال : كتب إلي عمر بن عبد العزيز : أن استبرئ

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١ .

(٢) المرجع السابق ٥/ ٣٤١ .

(٣) المرجع السابق ٥/ ٣٤٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٢ .

الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فرده عليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم .

وجاء في هذا الكتاب - كما ذكر موسى بن عبيدة - وإياك والجلوس في بيتك ، اخرج للناس فآسِ بينهم في المجلس والمنظر، ولايكن أحد من الناس آثر عندك من أحد، ولاتقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين ، فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء ، بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم ، وإذا أشكل عليك شيء فاكتب إلي فيه (١).

وهذا من كمال عدله ومساواته بين المسلمين ، وذلك يدل على قوة إيمانه ورجاحة عقله .

ولقد كان رد المظالم عملا كبيراً استغرق خلافة عمر بن عبدالعزيز كلها كما جاء في خبر سليمان بن موسى قال: ما زال عمر بن عبدالعزيز يرد المظالم منذ يوم استخلف إلى يوم مات (٢) .

حرصه على الإسراع في رد المظالم :

ولقد كان حريصا على الإسراع برد المظالم إبراء للذمة وخوفا من حلول الأجل قبل إكمال ذلك ، ومن أخباره في ذلك ماأخرجه محمد بن سعد من خبر أيوب بن موسى قال :كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة عامله على اليمن : أما بعد فإني أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني ولاتعرف بُعْدَ مسافة مابيني وبينك ،

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) المرجع السابق ٥/ ٣٤١ .

ولاتعـرف أحداث الموت، حـتى لو كتـبت إليك أن اردد على مـسلم مظلمـة شاة لكتـبت : أرددها عفـراء أو سوداء ، فـانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولاتراجعني [1] .

وهكذا يبين أميـر المؤمنين عمر بن عـبد العزيز لواليـه على اليمن عروة بن محـمد بن عطية السعدي أهمـية الإسراع في رد المظالم وأن لايضيع الوقت بالكتـابات الاستفـسارية عن أمور واضـحة، وفي هذا لفت نظر إلى أن من أسـباب نجـاح الوالي أن يتصـرف باجتـهاده في الأمور التي لاغموض فيـها ولا لبس، من باب كسب الوقت والسرعة في الإصلاح .

مثل من صرامته ومالقي من عشيرته :

أخرج الحـافظ أبو نعيم الأصـبهـاني من خبـر إسماعـيل بن أبي حكيم قـال: أتى عمـر بن عبـد العزيز كـتاب من بعض بنـي مروان فأغـضبـه ثم قال : إن لله في بني مـروان ذبحا، وايم الله لـئن كان الذبح على يدي . . فلما بلغـهم ذلك كفوا، وكانوا يعلمون صـرامته وأنه إن وقع في أمر مضى فيه [2] .

وقـوله « إن لله في بني مـروان ذبحـا » لعله أخـذه من سنة الله تعالى الجارية في الانتقـام من الظالمين، وأن الله سبحانه يمهلهم بعض الوقت ولايهملهم، فإذا أراد الانتقام منهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨١ .

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٨١ .

مساواته بين عشيرته وسائر المسلمين :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الإمام الأوزاعي قال: لما قطع عمر بن عبد العزيز على أهل بيته ماكان يجري عليهم من أرزاق الخاصة وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم تكلم في ذلك عنبسة بن سعيد فقال : ياأمير المؤمنين إن لنا قرابة ، قال : لن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد، فلا يمنعه من أخذه حقه إلا بُعْد مكانه، والله إني لأرى أن الأمور لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائقة من عذاب الله [1] .

وهذا مثل من كمال عدله حيث تنزه عن محاباة عشيرته ، وفي إخباره عن نزوله عذاب الله تعالى تصوير لسنة من سنن الله جل وعلا، وذلك أنه كلما تمحضت الأرض للشر كانت مهددة بنزول عذاب من عند الله تعالى ، ولكنه سبحانه يدرأ عنها العذاب استجابة لدعاء الصالحين، ولذلك فإن المؤمن الحق يستأنس بكثرة الصالحين، ويستوحش من كثرة الفاسقين والمفسدين في الأرض .

وذكر الحافظ أبو نعيم من خبر عمر بن مقدم قال: قال ابن سليمان بن عبد الملك لمزاحم : إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر، قال فاستأذنت له فقال : أدخله، فأدخلته على عمر فقال ابن سليمان: ياأمير المؤمنين علام ترد قطيعتي ؟ قال: معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام . قال فهذا كتابي وأخرج كتابا من كمه، فقرأه عمر فقال:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز /٩٥ .

لمن كانت هذه الأرض ؟ قال للفاسق ابن الحجاج . قال عمر : فهو أولى بماله ، قال : فإنها من بيت مال المسلمين، قال فالمسلمون أولى بها قال : ياأمير المؤمنين رد علي كتابي، قال : لو لم تأتني به لم أسألكه ، فأما إذ جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل، قال: فبكى ابن سليمان ، قال مزاحم : فقلت : ياأمير المؤمنين ابن سليمان اللائط الحب [1] اللازق بالقلب تصنع به هذا ؟ قال: ويحك يامزاحم إنها نفسي أحاول عنها، وإني لأجد له من اللوط ماأجد لولدي [2] .

وهكذا كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في تجاذب نفسي بين مقام العدل بعدم تخصيص أفراد عشيرته بشيء دون أفراد الأمة وبين مقام الرحمة بمن يحبهم من أفراد عشيرته ممن يشعرون بأنهم قد تضرروا بحكمه ، ولكن ليس هناك مجال للموازنة بين الأمرين لوضوح وجوب العدل وعدم الالتفات إلى عاطفة النفس لأن عاقبة ترك الواجب خضوعا للعاطفة هي الهلاك في الآخرة ، ولايمكن عقد مقارنة بين الدنيا والآخرة .

خبر روح بن الوليد وخصمائه :

قال أبو محمد ابن عبد الحكم : وكان للوليد بن عبد الملك ابنٌ يقال له روحٌ وكان نشأ في البادية فكأنه أعرابي ، فأتى ناسٌ من المسلمين إلى عمر بن عبد العزيز يخاصمون روْحًا في حوانيت بحمص - وكانت لهم أقطعه إياها أبوه الوليد بن عبد الملك - فقال له

(١) أي الشديد الحب من لاط يلوط لوطا .

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٨١ - ٢٨٢ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي/ ٩٨ .

عمر: اردد عليهم حوانيتهم. قال له رَوْحٌ: هذا معي بسجل الوليد. قال: وما يغني عنك سجلّ الوليد والحوانيت حوانيتهم قد قامت لهم البينة عليها؟ خَلِّ لهم حوانيتهم. فقام روحٌ والحمصي منصرفَين فتوعَّد روح الحمصي فرجع الحمصي إلى عمر فقال: هو والله متوعِّدني ياأمير المؤمنين فقال عمر لكعب بن حامد -وهو على حرسه-: اخرج إلى روح ياكعب فإن سلَّم إليه حوانيته فذلك وإن لم يفعل فائتني برأسه. فخرج بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد، فذكر له الذي أمر عمر فخلع فؤاده، وخرج إليه كعب وقد سلَّ من السيف شبرًا فقال له: قم فخلِّ له حوانيته قال: نعم نعم فخلَّى له حوانيته (١).

إنصافه الرجل الحمصي من العباس بن الوليد :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمر سليمان صعد إلى المنبر فقال « إني قد خلعت مافي أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك » فنزل فدخل فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخالها - أو قال إدخال ثمنها - بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ مقيلا ، فقال ابنه عبد الملك تقيل ولاترد المظالم ؟ قال أي بني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم ، قال من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ فخرج ولم يَقِلْ ، فأمر مناديه أن ينادي : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها ، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص أبيض

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٦٠ - ٦١ .

الرأس واللحية ، فقال ياأمير المؤمنين أسألك كتاب الله، قال وماذاك؟ قال :العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي-والعباس جالس- فقال له:ياعباس ماتقول ؟قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لي بها سجلا، فقال ماتقول ياذمي ؟ قال ياأمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل ، فقال عمر كتاب أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، اردد عليه ياعباس ضيعته، فرد عليه، فجعل لايدع شيئا مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة [1] .

فهذان مثلان من صرامة عمر بن عبد العزيز وحزمه في تطبيق الأحكام الشرعية ، فهو لين رحيم فيما يتعلق بنفسه ولكنه قوي شديد فيما يتعلق بأحكام الله تعالى .

وفي هذين الخبرين مثل من انقلاب المفاهيم عند أهل الدنيا ، فالحق عند هذين الرجلين المعتديين هو ماقرره أبوهما الوليد وإن كان ظالما معتديا من غير نظر فيما ينجيهما من المسئولية أمام الله تعالى يوم القيامة ، وماأعظم خسارة هؤلاء الذين يعتدون على أموال الناس ولايردعهم من ذلك إلا قوة السلطان !! فإنهم قد خسروا دنياهم لانتزاعها منهم بالقوة وخسروا آخرتهم لأنهم ليس لهم نية في إنصاف المظلومين ورد حقوقهم إليهم .

نزعه إقطاع أحد الرجال :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر إبراهيم بن هشام بن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٨٦ .

يحيى الغساني : حدثني أبي عن جدي قال : كنت عند هشام بن عبد الملك جالسا ، فأتاه رجل فقال ياأمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها، فقال له هشام أعد مقالتك فقال : ياأمير المؤمنين إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة فأقرها الوليد وسليمان، حتى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها ، فقال والله إن فيك لعجبا، إنك تذكر من أقطع جدك قطيعة ومن أقرها فلا تترحم عليهم وتذكر من نزعها فتترحم عليه، وإنا قد أمضينا ماصنع عمر رحمه الله (١).

في هذا الخبر موقفان أحدهما لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حيث رد ذلك الإقطاع الذي أعطيه ذلك الرجل بغير حق إلى بيت مال المسلمين .

والثاني موقف لأمير المؤمنين هشام بن عبد الملك رحمه الله تعالى، حيث حكم بالحق ولم تأخذه العصبية لأبيه عبد الملك وأخويه الوليد وسليمان فأقرحكم عمر بن عبد العزيز، وقد تعجَّب من ذلك الرجل المتظلم حيث ترحَّم على عمر بن عبد العزيز الذي نزع منه القطيعة ولم يترحَّم على عبد الملك الذي أقطع جده تلك القطيعة ولا على الوليد وسليمان اللَّذَين أقراها ، وهذا يعني أن هناك إحساسا لدى أفراد الأمة بعدالة عمر بن عبد العزيز وصلاحه حتى بالنسبة لمن تضرروا منه في دنياهم .

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٤٥ .

مثل من حكمته وموقف لابنه عبد الملك :

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر جويرية بن أسماء . قال: قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : مايمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر ؟ فو الله ماكنت أبالي أن تغلى بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر ، فقال عمر : إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي ، وإن عجلت علي منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادهت الناس بالتي تقول أن يلجئوني إلى السيف، ولاخير في خير لايجيء إلا بالسيف (١) .

وأخرج الحافظ أبو نعيم من طريقين : أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على عمر فقال : ياأمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فأخْلِني - وعنده مسلمة بن عبد الملك - فقال له عمر: أسرٌّ دون عمك ؟ فقال نعم ، فقام مسلمة وخرج، وجلس بين يديه فقال له: ياأمير المؤمنين ماأنت قائل لربك غدا إذا سألك فقال رأيت بدعة فلم تمتها ، أو سنة لم تحيها ؟ فقال : له يابني أشيء حملتكه الرعية إلي، أم رأي رأيته من قبل نفسك ؟ قال: لا والله ولكن رأي رأيته من قبل نفسي ، وعرفت أنك مسئول فماأنت قائل ؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرا، فو الله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير يابني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ماأريد مكابرتهم على انتزاع مافي أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقا تكثر فيه الدماء والله لزوال الدنيا أهون على من أن

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨١ .

يهراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى أن لايأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة، حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين [1].

وهكذا كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حكيما يوازن بين المصالح والمفاسد ، فلا يتجه إلى تغيير منكر يترتب عليه منكر أكبر منه، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فبقاء الناس على ماهم فيه من بعض الظلم أولى من سفك دماء المسلمين إذا كان رد المظالم بسرعة سيترتب عليه ذلك، ولكن الحكمة تقتضي التمهل في ذلك وسياسة الناس بالتدرج حتى ترجع الحقوق إلى أصحابها ويرتدع الظالمون دون حدوث فتنة دموية .

ولقد كان ابنه عبد الملك شديد التحمس لرد المظالم دفعة واحدة فهو شاب قوي الإيمان ، لكنه لم يكن في مستوى أبيه من الحكمة والفقه في تطبيق الأحكام الشرعية .

حواره مع هشام بن عبد الملك وسعيد بن خالد :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر بشر بن عبد الله بن عمر عن بعض آل عمر أن هشام بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز : ياأمير المؤمنين إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ماأكلمك به ، إنهم يقولون استأنف العمل برأيك فيما تحت يديك، وخلِّ بين من سبقك وبين ماولوا ممن كانوا يلون أمره بما عليهم ولهم فقال له عمر : أرأيت لو أُتيتُ بسجلّين أحدهما من معاوية والآخر

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨١ - ٢٨٣ .

من عبد الملك بأمـر واحد فبأي السجلين كنت آخـذ؟ قال بالأقدم ولا أعدل به شيئًا ، قال عمر : فـإني وجدت كتاب الله الأقدم فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي في مالي وفيما سبقني .

فقـال له سعيد بن خـالد بن عمرو بن عـثمان : ياأمـير المؤمنين امض لرأيك فيما وليت بالحق والعدل، وخل عـمن سبقك وعما ولي خيره وشـره، فإنك مكتف بذلك . فقال له عـمر : أنشدك الله الذي إليه تعود أرأيت لو أن رجلا هلك وترك بنين صغارا وكبارا فعز الأكابر الأصاغر بقـوتهم فأكلوا أموالهم ، فأدرك الأصاغـر فجاءوك بهم وبما صنعوا في أمـوالهم ماكنت صانعـا ؟ قال: كنت أرد عليهم حقـوقهم حتى يستوفوها . قال: فإني قد وجدت كثيراً ممن قبلي من الولاة عزوا الناس بقوتهم وسلطانهم . وعـزهم بها أتباعـهم . فلما وليت أتوني بذلك، فلـم يسـعني إلا الـرد على الضـعـيف من القـوي، وعلى المستضعف من الشريف. فقال : وفقك الله ياأمير المؤمنين [1].

فهـذان جوابان جليـلان من أميـر المؤمنين عمـر بن عبد الـعزيز استطاع بهما أن يسكت هشام بن عبد الملك وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان اللذين حاوراه فيـما قام به من رد المظالم، فقد سكت هشام ووافق سعيد بن خالد ودعا لعـمر بن عبد العزيز، وهذا دليل على أن أولئك القوم الذين ورثوا الظلم يدركون أن مـاتقدم به الولاة السابقون كان ظلـما، ويريدون من عـمر بن عبـد العزيز أن يتـرك الناس على مظالمهم فإنه ليس مسئولا عن ظلم من سبقه وأن يهتم فقط بتنزيه نفسه

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٢ .

عن مباشـرة الظلم ، ولكنه أفهمهم بأنه لو أقر ظلم من سـبقوه يكون شريكا لهم في ظلمهم .

خطبته أمام الغرباء :

من مواقـفه في العدل قوله في خطبـة خاطب بها الغربـاء فقال : ياأيهـا الناس الحقوا ببـلادكم فإني أنسـاكم عندي وأذكركم بـبلادكم ، وإني قد استعملت عليكم رجـالا لا أقول هم خياركم ، ولكنهم خير ممن هم شر منهـم ، ألا فمن ظلمه إمـامه مظلمـة فلا إذن له عليّ ، ومن لا فلا أرينَّه ، ألا وإنـي منعت نفسي وأهل بيـتي هذا المال ، فإن ضننت به عنكـم إني إذًا لضنين ، والله لولا أن أُنْعِشَ سُنَّة أو أَسِـيـرَ بحقّ ما أحببت أن أعيش فيكم فواقا (١) .

وقـول عمـر بن عـبـد العزيز للـغرباء : « فـإني أنسـاكم عندي وأذكركم ببـلادكم » دليل على ضبطـه لأمور رعيـته ، وذلك بتـولية الولاة الأكفاء الذين يتفـقدون أحوال الرعية ويرفعون حـوائجهم لأمير المؤمنين مع متابعته لهم .

وقد بقي الغرباء في عاصمة الدولة ظنًّا منهم أنَّ الولاة سينسونهم كما نسيهم الولاة السابقـون ، وقد بين لهم عمر أنه لم يأل جهدا في اختيار الولاة الأكفاء الذين على يدهم يتم صلاح الرعية .

ثم ذكر أن بابه مفتوح لـسماع شكوى المظلومين الذين لم يستطع الولاة أن يرفعوا عنهم الظلم ، أو وقع الظلم عليهم من الولاة أنفسهم .

---

(١) سيرة عمـر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٢ ، والفـواق قدر حلب الناقة ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٤٤ ، ٥٨ ، وتاريخ دمشق٤٥/ ٢٠٠ .

أما من ليس له مظلمــة وليس لديه مشورة أو إصــلاح يهمُّ الأمة فليس من المصلحة أن يتردد على المسئول ، لأن في ذلك إضاعة وقت عليه و على المسـئول ، وذلك يترتب عليــه إضاعة مـصلحة المسلمين العامــة ، إضافة إلى أن المسلم مـسئول عن كل دقيــقة تمر عليه بغـير فائدة، ومن ذلك مراجــعة المراجعين في قضايا يعــلمون سلفا أنهم لن يحصلوا فــيها على شيء فـإن ذلك لافائدة فيــه بل فيه ضرر إضــاعة الوقت عليهم وعلى المسئولين .

ثم يتــحدث عن المال الذي هو عـصب الحيــاة، والذي من أجله يقتتل المتنافسون على الدنيا ، فــيُطَمئن الرعية إلى أنه ليس من المعقول أن يحرم منه نفسه وعشيرته ثم يحبسه عن الأمة .

إن الذي كان يحرم بعض الأمة من مال الدولة قبل عهد عمر كون المسئولين على مختلف مستوياتهم ومن حولهم من المستفيدين منهم قد تمتعوا بنصيب كبير من ذلك المال إلى حــد الإسراف والتبذير، فحينما جعل أمير المؤمنين عــمر نفسه وعشيرته كأي فرد مــن أفراد الرعية فإن بقية المسئولين سـيسيرون على سنته ، وبالتالي سيتوفر مــال كثير يعود على المحتاجين من الأمــة ، وقد حصل ذلك فعلا حــيث كان الأغنياء يدورون بصدقاتهم في عهــد عمر يبحثون عن الفــقراء فلا يجدونهم، قد أغنى عمر الناس ، كما جاءت الرواية بذلك .

ثم بين أنه ليس حريصا على البقــاء في الحكم إلا لهدفين: إحياء السُّنن بعدما أُميتت ، والحكم بالحق بعدمــا عم الباطل كثيراً من أرجاء الأرض ، وهكــذا يفهم عمر الــولاية عــلى أنها عمل صالح يتقرب به

إلى الله عز وجل ، ومَنْ فهم هذا الفهم فإنه بعيد منه أن يظلم أو أن ينحرف عن طريق الحق ، لأنه لو فعل ذلك لحصل له نقيض قصده، حيث سيكسب بالولاية أعمالا سيئة ، فيخسر في الوقت الذي يكون هدفه أن يربح ويفلح .

رده منحة عنبسة بن سعيد :

من مواقفه الجريئة رحمه الله عدله في توزيع مال المسلمين ورفضه تخصيص أفراد عشيرته بشيء من ذلك، ومن أخبار ذلك ماذكره ابن عبد الحكم في أخباره عن شيوخه قال: ولما ولي عمر بن عبد العزيز رد المظالم والقطائع، وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر لعنبسة بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم فلم يبق إلا قبضها فتوفي سليمان قبل أن يقبضها وكان عنبسة صديقا لعمر بن عبد العزيز ، فغدا عنبسة يريد كلام عمر فيما أمر له به سليمان ، فوجد بني أمية حضورا بباب عمر يريدون الإذن عليه ليكلموه في أمورهم ، فلما رأوا عنبسة قالوا: ننظر مايصنع به قبل أن نكلمه . فقالوا له : أَعْلِمْ أمير المؤمنين مكاننا ،وأعلمنا مايصنع بك في أمورك ، فدخل عنبسة على عمر فقال له: ياأمير المؤمنين إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ، ولم يبق إلا قبضها، فتوفي على ذلك، وأمير المؤمنين أولى باستتمام الصنيعة عندي، ومابيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان ، قال له عمر : كم ذلك؟ قال : عشرون ألف دينار ، قال عمر : عشرون ألف دينار تُغني أربعة آلاف بيت من المسلمين ، وأدفعها إلى رجل واحد ! والله مالي إلى ذلك

من سبيل ، قال : فرميت بالكتاب الذي فيه الصك، فقال لي عمر : لا عليك أن يكون معك فلعله أن يأتيك من هو أجرأ على هذا المال مني فيأمر لك بها .

قال : عنبسة : فأخذته تبركا برأيه ، وقلت له : ياأمير المؤمنين فما بال جبل الورس ؟ وكان جبل الورس قطيعة لعمر بن عبد العزيز، فقال عمر : ذكّرتني الطعن وكنت ناسيا ، ياغلام هلم ذلك القفص فأُتي بقفص من جريد فيه قطائع بني عبد العزيز فقال: ياغلام اقرأ علي، فكلما قرأ قطيعة قال : شقّها ، حتى لم يبق في القفص شيء إلا شقه ، قال عنبسة : فخرجت إلى بني أمية وهم وقوف بالباب فأعلمتهم ماكان من ذلك فقالوا : ليس بعد هذا شيء ، ارجع إليه فاسأله أن يأذن لنا أن نلحق بالبلدان ، فرجعت إليه فقلت: ياأمير المؤمنين إن قومك بالباب يسألونك أن تجري عليهم ماكان من قبلك يُجرى عليهم، فقال عمر: والله ماهذا المال لي ومالي إلى ذلك من سبيل، قلت: يا أمير المؤمنين: فيسألونك أن تأذن لهم يضربون في البلدان ، قال: ماشاؤوا ذلك لهم ، وقد أذنت لهم ، قال قلت: وأنا أيضًا ، قال: وأنت أيضًا قد أذنت لك، ولكن أرى لك أن تقيم فإنك رجل كثير النقد وأنا أبيع تركة سليمان فلعلك أن تشتري منها مايكون لك في ربحه عوض مما فاتك ، قال: فأقمت تبركا برأيه فابتَعت من تركة سليمان بمائة ألف فخرجت بها إلى العراق فبعتها بمِئَتَيْ ألف ، وحبست الصك فلما توفي عمر وولي يزيد ابن عبد الملك أتيته بكتاب سليمان فانفذ لي ماكان فيه (١) .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم /٥٨ .

في هذا الخبر بيان جرأة الولاة قبل عمر بن عبد العزيز وبعده على أموال المسلمين، فكان الولاة يختصون عشائرهم وكبار أهل الدنيا الذين يخشون منهم بكثير من هذا المال ، ومن ذلك ماأمر به سليمان لعنبسة بن سعيد ولكن عمر رد تلك المنحة وبين أنها تكفي لأربعة آلاف بيت من المسلمين ، فكيف يعطيها لرجل واحد ؟

إن إعطاء القلة من ذوي النفوذ تلك العطايا الكبيرة على حساب بقاء أفراد الأمة في حاجة ومسغبة يعتبر ظلما وإجحافًا كبيرا ، وهذا هو أهم الأمور التي نذر عمر نفسه للقضاء عليها .

لقد كان يدور في الأوساط السياسية آنذاك بأنه لايصلح لسياسة الأمة إلا من كان نهابا وهابا ، حيث يقوم بنهب أموال الأمة العامة ليستميل بها بعض الأكابر الذين يقومون بحماية الدولة وفرض سيطرتها ولكن عمر بن عبد العزيز نجح في سياسته الإسلامية نجاحا كبيراً ، وقد كان عفيفا وهابا ، كان عفيفا عن أموال الأمة العامة، وهابا للمال للمحتاجين من الأمة ومن يقومون بأمرها بالقصد والاعتدال، ومع أنه قد منع الأقوياء وأصحاب النفوذ من الخصوصيات التي كانت تمنح لهم فإنهم لم يستطيعوا أن يصنعوا شيئًا ضد دولته مع حرصهم على ذلك ، لأن دولته أصبحت محمية من جميع أفراد الأمة الذين رجعت لهم حقوقهم ، وتحسنت أحوالهم المعيشية .

وحينما ذكَّره عنبسة بن سعيد بجبل الورس وهو أحد الإقطاعات التي آلت إليه من ولاة العهد السابق تمثل بالمثل المشهور :« ذكَّرتني الطعن وكنت ناسيا » فدعا من فوره بأوراق الإقطاعات التي تخص بني عبد العزيز بن مروان فشقها جميعها .

وهو بهذا يبين للمستفيدين من الوضع السابق أنه أول من يطبق السياسة الإسلامية على نفسه وأسرته .

ولهذا يئس بنو قومه من عودتهم إلى ماكانوا عليه من خصوصيات مالية ، واستأذنوه في السفر ليعملوا في التجارة كما يعمل غيرهم من أبناء الأمة .

إنصافه أحد الرعية من عامله عروة :

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم : واستعمل عمر بن عبد العزيز عروة بن عياض بن عدي على مكة، فخرج عمر من مكة، وخرج معه من خرج يشيعه حتى نزل بمَرٍّ [1] ومعه عروة، فجاء رجل فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، ظُلمت ولا استطيع أن أتكلم ، فقال عمر : ويحه أُخذَتْ عليه يمين ثم قال: إن كنت صادقًا فتكلم فقال: أصلحك الله ، هذا - وأشار إلى عروة - سامني بمالٍ لي وأعطاني به ستة آلاف درهم، فأبيت أن أَبيعه فاستعداه عليَّ غريمٌ لي فحبسني فلم يخرجني حتى بعته مالي بثلاثة آلاف درهم، واستحلفني بالطلاق إن خاصمته أبدًا ، فنظر عمر إلى عروة ثم نكت بالخيزران بين عينيه في سجدته وقال هذه غرتني منك ثم قال للرجل: اذهب فقد رددت عليك مالك ولاحنث عليك [2].

وهكذا ابتلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ببعض الولاة الذين انخدع بمظهرهم الديني، فكانت سرائرهم تختلف عن علانيتهم، فهذا

---

(١) يعني مَرَّ الظهران وهو مكان قرب مكة .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣٤ .

الوالي الذي ولاه عمر على مكة كان يظن أنه من العابدين، ومن كانوا كذلك فلا يتوقع منهم أن يرتكبوا شيئا من ظلم العباد، ولكنه وقع في الظلم المذكور في الخبر وأحاط ظلمه بما يكفل له عدم وصول خبره إلى أمير المؤمنين ، ولكن ذلك المظلوم وصل إليه وقدم له شكواه فأنصفه، ولم يكن أمير المؤمنين بحاجة إلي استفتاء العلماء في موضوع الطلاق المذكور لأنه كان من أبرز علماء عصره، فلذلك أفتاه في الحال بعدم وقوع الطلاق عليه لأنه مكره، ولايقع الطلاق مع الإكراه .

إنصافه أهل سمرقند :

أخرج الإمام ابن جرير الطبري من خبر طفيل بن مرداس قال: كتب عمر إلى سليمان بن أبي السَّريّ : أن اعمل خانات في بلادك فمن مربك من المسلمين فاقْرُوهم يوما وليلة ، وتعهدوا دوابهم، فمن كانت به علة فاقْرُوه يومين وليلتين ، فإن كان منقطعا به فقوُّوه بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأْذَن لنا فليَفِدْ منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا ، فإن كان لنا حق أُعطيناه، فإنَّ بنا إلى ذلك حاجة، فأذِن لهم ، فوجهوا منهم قوما فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سليمان بن السري: إن أهل سمرقند قد شكوا إليَّ ظلمًا أصابهم ، وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن

قضى لهم فأخْرجْهم [1] إلى معسكرهم كمـا كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فـأجلس لهم سليمان جُـمَيْعَ بن حاضـر القاضي الناجي، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحا جديدا أو ظفراً عنوة، فقال أهل السُّغد[2]: بل نرضى بما كان ولا نجدِّد حربا ، وتراضوا بذلك، فـقال أهل الرأي : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم ، وأمِنونا وأمنّاهم ، فإن حكم لنا عدْنا إلى الحرب ولاندري لمن يكون الظفر ، وإن لم يكـن لنا كنا اجتلبنا عداوة في المنازعة ، فتركوا الأمر على ماكان ورضوا ولم ينازعوا [3] .

فهذا مـثل من عدل عمر بن عبـد العزيز واهتمامـه بأمور الأمة، وإننا لنلاحظ في هذا الخبر عدة أمور :

أولها : أن الناس يُقبلون على التظلُّم والشكوى والمطالبة بالحقوق حينما يكون الحكام عادلين ، لأنهم يعلمون أن دعواهم ستؤخذ مأخذ الجدّ وسيُنظر فيـها بعدل، فهؤلاء المتظلمون قد سكتـوا على ماهم فيه من الشعور بالظلم طيلة ولاية الوليد وسليـمان ، فلما رأوا عدل عمر ابن عبد العزيز رفعوا قضيتهم .

ثانيها : أن أمـير المؤمنين عمر بن عبـد العزيز لم يهمل قضـيتهم وإنما أحالهـا إلى القضاء الشـرعي ، وهذا مثل من الخضـوع للإسلام

---

(١) يعني المسلمين الغزاة .

(٢) السغد قوم يسكنون بعض بلاد ماوراء النهر .

(٣) تاريخ الطبري ٦/٥٦٧ - ٥٦٨ .

والتجرد من هوى النفس ، وكان باستطاعته أن يعمل كما يعمل كثير من المسئولين ،من إرسال خطابات الوعيد والتهديد، والبحث عن رؤوس القوم وإجراء العقوبات المناسبة عليهم،ولكنه قد نذر نفسه لرفع المظالم وإقرار العدالة،وذلك لايكون إلا بحكم الشرع والتحاكم إليه.

ثالثها : أن أولئك القوم قد أسقط في أيديهم لما اطلعوا على كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ورأى أهل الرأي منهم أنهم خاسرون في كلا الحالين، سواء حكم لهم أو عليهم ، وأن مصلحتهم في بقائهم على ماهم عليه ، وبهذا زال تظلمهم وشعروا بعدالة الحكم الإسلامي .

كتابه إلى عمر بن الوليد :

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله تعالى : وقال سليمان بن داود الخولاني : إن عمر بن عبد العزيز كان يقول: ياليتني قد عملت فيكم بكتاب الله، وعملتم به، فكلما عملت فيكم بسنةٍ وقع مني عضو ، حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي .

ولما أقبل عمر على ردِّ المظالم وقطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاق أحراسهم، ورد ضياعهم إلى الخراج، وأبطل قطائعهم فأفقرهم ضجّوا من ذلك فاجتمعوا إليه فقالوا : إنك قد أخليت بيت مال المسلمين، وأفقرت بني أبيك فيما تردّ من هذه المظالم، وهذا أمرٌ قد وليه غيرك قبلك ، فدعهم وماكان منهم ، واشتغل أنت وشأنك واعمل بما رأيت . قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا: نعم . قال: ولكن لاأرى ذلك ، والله لَوَدِدت أن لاتبقى في الأرض مَظْلَمة إلا رددتها،

على أن لا أرد مظلمة إلا سقط لها عضوٌ من أعضائي أجد ألمه، ثم يعود كما كان حيًا ، فإذا لم يبق مظلمة إلا رددتها سالت نفسي عندها. قال : فخرجوا من عنده فدخلوا على بعض ولد الوليد- وكان كبيرهم وشيخهم [1] - فسألوه أن يكتب إلى عمر يوبّخه لعلّه أن يردَّه عن مساءتهم فكتب إليه .

أما بعد فإنك أزريَت بمن كان قبلك من الخلفاء ، وسرت بغير سيرتهم وسميتَها المظالم تنقصًا لهم ، وعيبًا لأعمالهم ، وشنآنًا لمن كان بعدهم من أولادهم . ولم يكن ذلك لك ، فقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، وعملت بغير الحق في قرابتك، وعَمَدْتَ إلى أموال قريش ومواريثهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيت مالك ظلمًا وجورًا وعدوانًا فاتَّق الله يابن عبد العزيز وراقبه فإنك قد شططت ، لم تطمئن على منبرك ، حتى خصصت ذوي قرابتك بالقطيعة والظلم، فو الله الذي خصَّ محمدًا ﷺ بما خصه به من الكرامة ، لقد ازددت من الله بعدًا في ولايتك هذه التي تزعم أنها بلاءٌ عليك وهي كذلك. فاقتصد في بعض ميلك وتحاملك . اللهم فاسأل سليمان بن عبدالملك عما صنع بأمة محمد ﷺ حين استخلفك عليهم .

قال فكتب عمر بن عبد العزيز إليه ، من عمر أمير المؤمنين إلى فلان بن الوليد . سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأما بعد فإن أول أمرك يافلان أن أمك بنانة أمة السكوني كانت تدخل دور حمص وتطوف حوانيتها والله

---

(١) هو عمر بن الوليد بن عبد الملك كما جاء في رواية ابن الجوزي .

أعلم بها فـاشتراها دينار بن دينار من فيء المسـلمين فأهداها إلى أبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس الجـنين ثم نشأت فكنت جبارًا شقيًا كتبت إليَّ تُظلِّمني وزعمت أن حُـرمتك وأهل بيتك في مال المسلمين الذي فـيه حق القـرابة والضعـيف والمسكين وابن السبـيل، وإنما أنت كأحد منهم لك مالهم وعليك مـاعليهم ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله الذي استـعملك صبـيًا سفـيهًا تحكم في دمـاء المسلمين وأموالهم برأيك لم تحضره نية ، ولـم يكن يحمله عليه إلا حب الولد ولم يكن ذلك له ، ولاحق له فـيـه ، فويـلك وويل أبيك مـاأكثـر طلابكمـا وخصماءكما يوم القيامة ! وكيف النجاة لمن كثر خصماؤه ؟ وإنَّ أظلم مني وأترك لعهد الله من جعل لفلانـة البربرية سهمًا في فيء المسلمين وصدقاتهم .أهاجرتْ ثكلتك أمك أم بايعتْ بيعـة الرضوان فتستوجبَ سهـام المقاتلين ؟وإنَّ أظلم مني وأترك لعهـد الله من استعـمل قرَّة بن شريك أعرابيّـا جلفا جافيًا على مصـر ،وأذن له في المعازف والبرابط والخمر ، وإن أظلم مني وأترك لعـهد الله من ولىَّ يزيد بن أبي مسلم على جميع المغرب يجبي المال الحرام ويسفك الدم الحرام .رويدك فإنه لو قد التقت علينا حَلْقَتا البطان ، وطالت بي حياةٌ ،وردَّ الله الحق إلى أهله تفرغت لك ولأهل بيـتك، فأقمـتكم على المحجة البيـضاء فطال ماأخذتم بُنَيَّات الطريق، وتركتم الحق وراءكم ، ومما وراءَ هذا ماأرجو أن يكون خير رأي أُبُتُّه بيع رقبتك فإن لكل مسلم فيك سهمًا في كتاب الله ، والسلام على من اتبع الهدى ، ولاينال سلام الله الظالمين (١) .

(١) سيـرة عمر بن عبـد العزيز لابن عبـد الحكم / ١٤٧ - ١٥١ ، وانظر سيرة عـمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي / ٩٣ .

في هذا الخبر مثل من قوة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في تنفيذ الحق، وأنه لايخشى في الله لومة لائم .

وفيه مقارنة واضحة بين أعماله التي أنجزها في العدل وإنصاف عامة المسلمين من كبرائهم ، وبين أعمال بعض من سبقه من الولاة في ظلم العامة ومداهنة الكبراء .

وفيه مثل من تدنِّي مستوى إلفهم وعمى البصيرة عند من استمرأ الجبروت والطغيان ، حيث قلَب ابن الوليد الحقائق، فجعل العدل ظلما واعتبر الظلم عدلا ، لأن العدل في نظره أن يأخذ هو وأمثاله حريتهم الكاملة في التصرف بأموال العامة ، واعتبر تطبيق العدالة عليهم نوعا من قطيعة الرحم ، ولو أدرك وعقل لعرف أن أعظم صلة الرحم أن يمنع الإنسان أقاربه من المعاصي ، وأن يدلهم على طاعة الله تعالى .

وهذا الخلط في المفاهيم والموازين ناتج من غلبة النظر إلى الدنيا على النظر إلى الآخرة ، وحينما تكون الآخرة حاكمة على الدنيا يصفو الفكر ويستقيم السلوك .

ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز شديداً في رده على هذا الرجل لأنه في نظر عمر قد بلغ من الجفاء والتجبر حدا لايجدي معه خطاب العقل ونداء الحس الإيماني .

جوابه لعنسبة حينما سأله :

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم : قال عمر بن عبدالعزيز لعنبسة بن سعيد – وسأله حاجة – ياعنبسة إن كان مالك الذي أصبح

عندك حلالا فهو كافيك، وإن كان حـرامًا فلا تزيدنَّ إليه حرامًا ، ألا تخبـرني أَمحتـاج أنت ؟ قال: لا ، قال : أَفـعليك دين؟ قال: لا ، قال: أَتأْمرني أن أَعْـمِدَ إلى مال الله فأعطيكَهُ من غير حـاجة بك إليه وأَدعَ فقراء المسلمين ؟ لو كنت غارمًا أديت غُرمك ، أو محتاجًا أمرت لك بما يصلحك ، فـعليك بمالك الذي عندك فـكُله واتَّق الله، وانظر أولاً من أين جمعتـه ، وانظر لنفسك قبل أن ينظر إليك من ليس لك عنده هَوادةٌ ولامراجعة (١) .

في هذا الحـوار الذي جـرى بين أمـير المؤمنـين عمـر بن العـزيز وعنبسـة بن سعيد يتـبين لنا دقة عمـر في التحري في اكتـساب المال، بحيث لايكون من طريق حرام أو مشتبه فيه .

كما يظهر لنا مثل من عـدالته في توزيع المال العام، حيث بين أن عنبسة ليس بأحق بهذا المال من فقراء المسلمين .

وهذا مثل من أمثـلة كثيرة وضح فيـها عمر حرمـة مال المسلمين العام، وأن الأخذ منه بغير حق كالأخذ من أموال الناس الخاصة، وقد كان كثير من الناس يعتقدون بأن ولاة الأمر لهم حرية التصرف بأموال المسلمين كـمـا يؤدي إليه نـظرهم ، وأن ذلك المال يصـير حـلالا لمن أعطي له بمجرد صرفـه من ولي الأمر ، فبين لهم عمر بأقـوال وأفعال كثيـرة أن هذا المال لايجوز صرفه إلا لمـستحقيـه ، وأنه إذا صُرف في غير وجهه فإنه يجب على من صُرف له أن يرده لبيت مال المسلمين.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٥٤ - ١٥٥ .

مثلان من حكمته وحزمه :

لما ولي الخلافة قال له ابنه عبد الملك : إني لأراك ياأبتاه قد أخرت أمورًا كثيرة كنت أحسبك لو وليت ساعة من النهار عجلتها، ولوددت أنك قد فعلت ذلك ولو فارت بي وبك القدور ، قال له عمر: أي بني إنك على حُسْن قَسْم الله لك، وفيك بعض رأي أهل الحداثة ، والله ما استطيع أن أخرج لهم شيئًا من الدين إلا ومعه طرف من الدنيا، أستلين به قلوبهم ، خوفا أن ينخرق عليَّ منهم مالاطاقة لي به (١) .

وهكذا لم يأخذ عمر برأي ابنه عبد الملك الذي لايزال حديث السن لايقدِّر عواقب الأمور، بالرغم من كون رأيه حق، ولكن ليس كل حق ينفَّذ حال معرفة أنه حق من غير نظر في عواقب التغيير، فربما أدى ذلك في بعض الصور إلى منكر أكبر من المنكر الذي يروم إزالته المصلحون، ولكن يبقى في ذهن المصلح وفي عزمه إزالة جميع المنكرات، وإنما يسلك في سبيل ذلك طريق الحكمة ، ولذلك كان عمر يستلين قلوب أهل الدنيا بشيء من المال ليتوصل بذلك إلى مايريده من الإصلاح حتى لاينخرق عليه من أمورهم ما لايستطيع مقاومته إلا بالقوة، وهو لايريد إراقة الدماء ، لأن شأن الأموال أهون بكثير من شأن الدماء .

ولكن حينما يكون لابد من القوة فإن من الحزم استعمالها، ومن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٠ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٤٣ ، ٨٧ .

أمثلة ذلك ماذكره ابن عبد الحكم قال: وكان للوليد بن عبد الملك ابن يقال له « رَوح » وكـان نشأ في البادية فكأنه أعـرابي، فأتى ناس من المسلمين إلى عمر بن عبد العزيز يخاصمون رَوحًا في حوانيت بحمص وكانت لهم أقطعَـهُ إياها أبوه الوليد بن عبـد الملك ، فقال له عـمر : اردد عليهم حوانيتهم ، قـال له روح : هذا معي بسجل الوليد، قال: ومايغني عنك سجل الوليـد والحوانيت حوانيتهم قـد قامت لهم البينة عليها ؟ خَلِّ لهم حوانيتهم ، فقـام روح والحمصي منصرفين ، فتوعد روح الحمصي ، فرجع الحمصي إلى عمـر فقال : هو والله متوعدني ياأمير المؤمنين ، فقال عمـر لكعب بن حامد - وهو على حرسه - : اخرج إلى روح ياكـعب فإن سلَّم إليه حـوانيته فـذلك، وإن لم يفعل فأت بـرأسه ، فـخرج بعض من سـمع ذلك ممن يعنيه أمـر روح بن الوليد فـذكر له الذي أمر عمر فـخلع فؤاده ، وخرج إليـه كعب وقد سل من السيف شبـرًا فقال له : قم فخلِّ له حوانيـته، قال نعم نعم، فخلَّى له حوانيته (١) .

وهكذا ظهر حزم عمر حينما استهان روح بن الوليد بحكم الشرع وأمر السلطان ، فكان لابد من تهديده بالقوة ليذعن لحكم الحق، وهذا المثل يدلنا على أن استسلام الجبابرة لأوامره وسكوتهم على سياسته لم يكن عن قناعة ، وإنما كان خوفا من سلطانه .

إنصافه رجلا من عدي بن أرطأة :

رُوي عن ابن عـياش قال : خـرج عمـر ذات يوم من منزله على

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٠ .

بغلة له شهباء ، وعليه قميص له وملاءة ممشَّقه، إذ جاء رجل على راحلة له فأناخها ، فسأل عن عمر ، فقيل له: خرج علينا وهو راجع الآن ، قال : فأقبل عمر ومعه رجل يسايره ، فقيل للرجل: هذا عمر أمير المؤمنين ، فقام إليه فشكى إليه عديَّ بن أرطأةَ في أرض له[1]، فقال عمر : أما والله ماغرَّنا منه إلا بعمامته السوداء ، أما إني قد كتبت إليه - فضلَّ عن وصيتي - : إنه من أتاك ببينة على حق هو له فسلِّمه إليه ، ثم قد عنَّاك إلي ، فأمر عمر بردِّ أرضه إليه ، ثم قال له: كم أنفقت في مجيئك إلي ؟ فقال : ياأمير المؤمنين تسألني عن نفقتي وأنت قد رددت عليَّ أرضي وهي خير من مائة ألف ! قال عمر: إنما رددت عليك حقك ، فأخبرني كم أنفقت ؟ قال: ماأدري، قال : احزره، قال ستين درهما، فأمر له بها من بيت المال، فلما ولَّى صاح به عمر ، فرجع فقال له : خذ هذه خمسة دراهم من مالي فكل بها لحما حتى ترجع إلى أهلك إن شاء الله [2] .

فهذا مثل على اهتمام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز برد الحقوق إلى أهلها ، وهو من أمثلة كثيرة ، مر علينا بعضها، ولكن الذي يلفت النظر في هذا الخبر هو ماقام به عمر من تعويض ذلك الرجل عما أنفقه في سفره ، حيث إنه كان من حقه أن يُقْضَى له في بلده من غير سفر .

وفي هذا لفت نظر إلى أمر مهم وهو أن من حق كل إنسان أن

---

(١) وكان عاملا لعمر على الكوفة .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم /١٤٦

يأخذ حقه دون أن يكلَّف بالإنفاق من ماله في سبيل ذلك .

وهذا التعويض من فقه عـمر حيث رأى أن إلجَاءَ ذلك الرجل إلى السفر من أجل رفع قضـيته يعتبر من تقصـير المسئول في بلده، وليس من تقصـير ذلك الرجل، ولذلك فإنه ليس من العـدل أن يُحمَّل تلك التكاليف .

خبره مع فرتونة مولاة ذي أصبح :

ومن الأمثلة الجـيدة على شعور أميـر المؤمنين عمر بن عبـدالعزيز بالمسئـولية واهتمـامه بأمور الأمـة دقيقـها وجليلهـا ماجاء في سـياق الروايات التي رواها ابن عبد الحكم عن شيوخه قال : وكان بَريد عمر بن عبد العزيز لايعطيه أحد من الناس إذا خرج كتابا إلا حمله، فخرج بريد من مصر فدَفَعَتْ إليه فرتـونة السوداء مولاة ذي أصبح كتابا تذكر فيه أن لها حائطا قصيراً ، وأنه يُقتحم عليها فيُسرقُ دجاجها فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبـد الله أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح ، بلغني كتـابك وماذكرت من قصر حائطك وأنه يُدخل عليك فيه فيُسرق دجاجك ، فقد كتبت كتابا إلى أيوب بن شرحبيل – وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها – آمره أن يبني لك ذلك حتى يحصِّنه لك مما تخافين إن شاء الله ، والسلام .

وكتب إلى أيوب بن شـرحبيل « من عـبد الله عمر أمـير المؤمنين إلى ابن شرحبيل ، أما بعد : فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت تذكر قصر حـائطها ، وأنه يُسرق منه دجاجـها، وتسأل تحصـينه لها ، فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصِّنه لها .

فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها ، وإذا هي سوداء مسكينة ، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها وحصَّنه لها [1].

فهذا الكتاب الذي رُفِع من تلك المرأة المسكينة المغمورة ، إنما هو أثر من آثار العدل الذي شمل البلاد الإسلامية في عهد عمر بن عبدالعزيز ، فما كانت هذه المرأة المسكينة لترفع حاجتها إلى أمير المؤمنين لو كانت تتوقع أن كتابها سيكون طيّ الإهمال والنسيان ، ولكن لما استقر في ضميرها أن أمير المؤمنين يهتم بكل أمر من أمور الرعية كبيرها وصغيرها ، وأن كبار الأمور لاتشغله عن صغارها وجدت من نفسها نشاطا وهمة في الكتابة إليه بأمرها .

وما أن وصل كتابها حتى كتب أمير المؤمنين في جواب ذلك كتابا إليها يخبرها بما أمر به الوالي في مصر من قضاء حاجتها، وكتابًا إلى ذلك الوالي ليذهب بنفسه لقضاء حاجتها .

إنه لم يكتف بكتابه للوالي لخوفه من أن يتأخر في ذلك أو يعتريه النسيان ، بل كتب كتابًا آخر لصاحبة الحاجة لتراجع الوالي فيما إذا لم يسارع إلى قضاء حاجتها .

إن هذا الاهتمام من أمير المؤمنين يعتبر مثلا عاليا في الشعور بالمسئولية ، ويعتبر مصداقا للرؤيا التي رآها فيه جده أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، من أنه يسير بسيرته ، فإن من صفات عمر بن الخطاب أنه كان في منتهى العدل والشعور بالمسئولية، وأنه لم تكن كبار الأمور تشغله عن صغارها .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٦ .

إنصافه رجلا اشتكى من أحد أقاربه :

قال ابن عبد الحكم رحمه الله تعالى : وأتاه رجل فقال: ياأمير المؤمنين مَظْلمةٌ دخلتْ عليّ ، قال عمر : ومن يك ؟ قال: فلا والله مااستطاع أن يقول : فلان ، لبعض أهله ، مرتين أو ثلاثا ، فقال: فلان بن فلان عمد إلى مال لي بكذا وكذا فأخذه فقال: ياغلام ائتني بدواة وقرطاس فكتب إلى عامله : إن فلانا ذكر لي كذا وكذا فإن كان الذي ذكر لي على ماذكر فلا تراجعني فيه واردده عليه، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: إن هذا لهو البلاء المبين [1].

فهذا مثل من حزمه رحمه الله في تطبيق العدالة حتى مع أقاربه حيث أمر عامله بأن يرد الحق على صاحبه وإن كان المدَّعَى عليه من أقاربه .

وفي هذا الخبر مثل من الذل الذي تتربَّى عليه النفوس في حال تسلُّط الجبروت والطغيان ، حيث تلعثم صاحب الحق في رفع قضيته مع أنه أمام حاكم عادل ، ولكن الخلفيات السابقة لحكم الظلم والتسلط جعلته يتردد ويتتعتع ، ولو لم يكن على رأس الحكم حاكم عادل لما فكر أساسًا في رفع قضيته لأنه - والحال هذه - يخشى أن يناله أذى فيما إذا رفع قضيته ضد أحد أقارب الحاكم .

تسويته بين الناس في مجلس الحكم :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الحكم بن عمر الرعيني قال: شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم أهل دير إسحاق عند عمر بن

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٣ .

عبـد العزيز بالناعـورة ، فقال عـمر لمسلمة : لاتجلـس على الوسائد وخصماؤك بين يدي ، ولكن وكل بخصـومتك من شئت وإلا فجاث القوم بين يدي ، فوكل مولًى له بخصومته فقضى عليه بالناعورة [١] .

فهذا موقف جليل من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعـالى في إقرار قـواعد العدل فـي مجالـس الحكم ، وقد كـان أحد الخصـمين ابن عمه الـقائد الكبيـر مسلمة بن عـبد الملك، ومع رفـعة منزلته وكونه ممن يـحبهم عمر بن عـبد العزيز ويقدرهم كثـيرا فإنه لم يحابه في الحكم، بل ألزمه بأن يسوي نفسه مع خصومه ثم حكم عليه لصالح خصومه .

أمره بوضع الضرائب :

ومن أمثلة عدله مـاجاء في كتابه الذي بعثه إلى عـروة بن محمد عامله على اليمن وجاء فيه : أما بعد فقد جاء كتابك تذكر أن من كان قبلك من العمـال قد وضعوا على أهل اليـمن صدقاتهم وظائف، إن افتـقروا لم يُنقصـوا ، وإن استغنوا زِيدَ عليـهم، وتُؤامِرني في ذلك، ولعمري إن هذا لَلْجور حقَّ الجور، فـإذا جاءك كتابي هذا فخذهم بما ترى عليهم من الحق، ثم اقسم ذلك على فقرائهم، وأَقْعِد على طريق الحاج قـوما ترضاهم ، وترضى دينهـم وأماناتهم يقوُّونَ الضـعيف ، ويغنون الفقير ، فـو الله لو لم يأتني من قِبَلكَ إلا كفٌّ لرأيته من الله قسما عظيما والسلَام [٢] .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٥٩ ، والناعورة موضع بين حلب وبالس فيه قصر لمسلمة بن عبد الملك ، بينه وبين حلب ثمانية أميال .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٥ .

ففي هذا الكتاب دلالة على أن بعض الولاة السابقين قد حولوا الزكاة إلى ضريبة تؤخذ من المسلمين بقدر محدد، يثبت على حاله عند فقرهم ، ويزيد عند غناهم ، وفي هذا مخالفة واضحة لشريعة الإسلام ، حيث إن الزكاة لها مقادير وأحكام حُددت في الشريعة، ورُوعي فيها حال دافعها من الفقر والغنى ، كما روعي فيها أنها ليست ضريبة تُجبَى لتدخل في مال المسلمين العام ، وإنما تؤخذ من أغنياء كل بلد لتُدفع إلى فقرائهم ، كما جاء في حديث معاذ لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، وفيه « فأَعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم » (1) .

ولهذه المخالفات التي ذكرها والي اليمن نجد أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يغضب من ذلك الوضع ، ويصفه بأنه الجور حق الجور، ثم يوجه ذلك العامل إلى أن يأخذ من الناس الحق الشرعي في زكاة أموالهم ، وأن يردها على فقرائهم .

كما يأمره فوق ذلك بأن يجعل على طريق الحجاج رجالا أمناء يقومون بخدمة الحجاج ، وتموينهم بما يكفي ضعفاءهم ومحتاجيهم.

وبهذا صار عطاء دولته لأمته أكثر من جبايته، فسعدت الأمة به، وزال الفقر عن فقرائها في مدة وجيزة ، وفاض المال عند الولاة حتى أصبحوا يستشيرون أمير المؤمنين في صرف هذا المال الفائض .

ومن أمثلة ذلك ماكتب به عمر بن عبد العزيز إلى زيد بن عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب - وكان على الكوفة - يقول: كتبت

---

(1) صحيح البخاري ، الزكاة ، رقم ١٣٩٥ (٣/ ٢٦١) .

تذكر أنه قد اجتمعت عندك أموال بعد أعطية الجند ، فأعط منهم من كان عليه دين في غير فساد، أو تزوج فلم يقدر على نقد . والسلام.

ثم كتب إليه زيد : إنه قد بقي عندنا بعد ذلك ، فكتب إليه عمر: أن قوِّ أهل الذمة ، فإنا لانريدهم لسنة ولالسنتين [1] .

وفي هذا الخبر نظرة رحمة ومواساة لصنفين من الناس في غاية الحاجة والاضطرار ، وهما المَدينون ، فما أشد احتياجهم، وماأبلغ همهم ! والذين عزموا على الزواج وليس لديهم مايكفي لتكاليفه، فما أعظم فرحتهم ، وماأبلغ سعادتهم حينما يُقَدَّم لهم مايسد حاجتهم!

وأخيراً لفتة مهمة من أمير المؤمنين عمر حينما أوصى عامله بالاهتمام بتقوية أهل الذمة وإصلاح بلادهم ، فإنهم يعتبرون مصدراً مهما من مصادر بيت مال المسلمين ، فوصيته هذه نظرة مستقبلية جيدة لتقوية هذا المصدر .

فلله در أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ماأسمى تفكيره ، وما أبعد نظره !!

مكافأته من رفع إليه مظلمة :

نجد من كمال عدل عمر رحمه الله أنه لم يكتف بردِّ المظالم التي يعلمها بل تقدم إلى المسلمين وأعلن لهم في المواسم ليرفعوا إليه ماعلموا من ذلك وأعطى الجوائز لمن تقدم بشيء من ذلك كما جاء في رواية لابن عبد الحكم قال : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المواسم : أما بعد فأيما رجل قدم علينا في رد مظلمة أو أمر يصلح الله

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٨ .

به خاصا أو عاما من أمر الدين فله مابين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار، بقدر ما يُرى من الحسبة وبعد الشقة ، رحم الله امرءًا لم يتكاءَدْهُ بُعْدُ سفر ، لعل الله يُحيي به حقا ، أو يميت به باطلا، أو يفتح به من ورائه خيرا، ولولا أن أطيل عليكم وأطنب فيَشغلكم ذلك عن مناسككم لسُمْتُ أمورًا من الحق أظهرها الله، وأمورًا من الباطل أماتها الله ، وكان الله هو المتوحد لكم في ذلك ، لاتجدون غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي لكنت كغيري . والسلام (١) .

فهذا مثل على شدة اهتمام عمر رحمه الله بإقامة العدل ورد المظالم ، وهذا القرار الذي أصدره عمر قلَّ أن يوجد له نظير في التاريخ، فقد توقع أنه لاتزال توجد بعض المظالم، وأن العارفين بها يشق عليهم إبلاغها لما يترتب على ذلك من تكاليف مالية فأعطى مكافأة لكل من يسعى في رد مظلمة أو نصح للأمة .

ثم لفتة إلى التوحيد في نهاية هذا الكتاب ، حيث ذكّر عمر المسلمين بأن ما حصل من الإصلاح على يديه، والنعمة التي سعدت بها الأمة إنما هي من الله تعالى، ومن فضله وكرمه، وأنه لو وكله إلى نفسه لم يستطع القيام بذلك .

اهتمامه بفداء الأسرى والقضاء عن الغارمين :

من ذلك أنه كتب إلى الأسارى بالقسطنطينية : أما بعد : فإنكم تعدُّون أنفسكم أسارى ، معاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئًا بين رعيتي إلا خصصت أهليكم بأوفر

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٣٧ .

نصيب وأطيبه ، وإني قد بعثت إليكم خمسة دنانير خمسة دنانير ، ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم ، وقد بعثت إليكم فلان ابن فلان يفادي صغيركم وكبيركم ، ذكركم وأنثاكم، حرَّكم ومملوككم بما سئل به ، فأبشروا ثم أبشروا . والسلام عليكم.

وكتب أيضًا إلى عماله : أن اقضوا عن الغارمين ، فكُتب إليه: إنا نجد الرجل له المسكن والخادم ، وله الفرس ، وله الأثاث في بيته، فكتب عمر : لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي رأسه، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، ومع ذلك فهو غارم فاقضوا عنه ماعليه من الدين [1].

ففي الكتاب الأول يواسي عمر بن عبد العزيز أسرى المسلمين لدى الروم ، حيث شبههم بالمرابطين الذين حبسوا أنفسهم في سبيل الله تعالى ، فهم بهذا ينالون أجر المرابطين .

وإلى جانب هذه المواساة المعنوية فإنه قد واساهم بالمال الذي أمدهم به، وبما أخبرهم به من كفالة أُسَرِهم في حال غيبتهم، كما أنه وعدهم جميعا بمفاداتهم لفكِّ أَسْرِهم .

وهذه معاملة كريمة يستحقها هؤلاء الأسرى الذين خرجوا بأنفسهم لحماية الإسلام ونصره .

وفي الخبر الثاني يأمر أمير المؤمنين عمر بقضاء الديون عن الغارمين وإن كانوا يملكون المسكن والأثاث والخادم والفرس، وهو

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٣ - ١٦٤ .

مظهر عظيم من مظاهر الرحمة والمواساة ، والاهتمام بشئون الرعية.

وهكذا يتصرف الأئمة العادلون بأموال الأمة، حيث يُغنون به فقيرها، ويجبرون به كسيرها، ويفكّون به أسيرها، ويقضون به عن معسرها ، ويسدّون به خلَّة معوزها .

خبره مع الأسير الأعمى :

ومن الأمثلة الرائعة لرحمة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ماأخرجه ابن عبد الحكم قال: وأرسل عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الروم رسولا، فأتاه وخرج من عنده يدور، فمر بموضع فسمع فيه رجلا يقرأ القرآن ويطحن، فأتاه فسلم عليه فلم يرد عليه السلام- مرتين أو ثلاثا - ثم سلم عليه ، فقال له : وأنَّى بالسلام في هذا البلد! فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم ، فقال له : ماشأنك؟ فقال : إني أسرت من موضع كذا وكذا ، فأُتِي بي إلى صاحب الروم ، فعرض عَليَّ النصرانية فأبيت، فقال لي : إن لم تفعل سمَلْتُ عينيك، فاخترت ديني على بصري، فسَمَل عينيَّ وصيَّرني إلى هذا الموضع ، يرسل إلي كل يوم بحنطة أطحنها وبخبزة آكلها .

فسار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز فأخبره خبر الرجل قال: فما فرغت من الخبر حتى رأيت دموع عمر قد بلَّت مابين يديه .

ثم أمر فكتب إلى صاحب الروم : أما بعد فقد بلغني خبر فلان ابن فلان فوصف له صفته ، وأنا أُقسم بالله لئن لم ترسله إلي لأبعثن إليك من الجنود جنودًا يكون أولها عندك وآخرها عندي .

فلما رجع إليه الرسول قال : ماأسرع مارجعت ! فدفع إليه كتاب عمر بن عبد العزيز ، فلما قرأه قال : ماكنا لنحمل الرجل الصالح على هذا ، بل نبعث إليه به .

قال : فأقمت انتظر متى يخرج به ، فأتيته ذات يوم فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره أعرف في وجهه الكآبة، فقال: تدري لما فعلت هذا؟ فقلت : لا - وقد أنكرت مارأيت - فقال : إنه قد أتاني من بعض أطرافي أن الرجل الصالح قد مات ، فلذلك فعلت مافعلت، ثم قال : إن الرجل الصالح إذا كان بين القوم السُّوء لم يُتْركْ بينهم إلا قليلا حتى يخرج من بين أظهرهم .

فقلت له : أتأذن لي أن أنصرف - وأيست من بعثه الرجل معي- فقال: ماكنا لنجيبه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته، فأرسل معه الرجل (١) .

هذا وإن في هذا الخبر ثلاثة أمور مهمة :

أ - موقف هذا الرجل المسلم الذي فضَّل البقاء على دينه، وتحمَّل سمل عينيه بالحديد المحمي بالنار حتى فقد بصره، وهنا يقف المتأمل مندهشا من هذا المشهد المثير ، الذي يدل على قوة الإيمان بالإسلام والقناعة به، حيث فضل هذا الرجل دينه على صحته وحياته، لأنه يعتبر هذا الدين هو حياته الحقيقية ، ويعتبر أن مفارقة الإسلام موت لايدانيه موت .

ولاشك أنه كان لهذا الموقف العالي وأمثاله الأثر البالغ في الدعوة

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم /١٦٨ .

إلى الإسلام، لأن العقل السليم يدل على أن المبدأ الذي يفضله صاحبه على حياته لايمكن أن يكون عاديا كمبـادئ البشر المعروفه، لأن المبادئ تُستخدم عـادة لرفع قيمة الإنسان في هذه الحيـاة، فلايمكن أن يضحّي الإنسان بحياته من أجلها، وهو إنما يستخـدمها للحياة، فلابد أن المبدأ الذي يبذل صاحـبه حياته من أجله وراءه دافع أقوى من مسـتقبل هذه الحياة ، ولايمكن أن يوجد ذلك إلا في الإسـلام الذي كرم الله تعالى فيه الشهداء والذين أوذوا في سبـيل هذا الدين، ورفعهم درجات عليا في الجنة .

هذا الرجل المسلم المغمـور الذي لم يذكر اسمـه مثَّل هذا الموقف الكبير! فكم في هذه الأمة الإسلامـية من المغمورين الذين يزن إيمانهم الجبال الراسيات !

وإذا كان هذا في المـغمورين فكيف الحـال بالمشاهيـر الذين لمعت أسماؤهم في مجال التضحية والفداء ؟!

ب - وفي هذا الخبر مثـل من رحمة عمر بن عبد العـزيز البالغة وإشفاقـه على المسلمين حيث بكى ذلك البكاء الشديد مـن خبر ذلك الأسير.

ومثل من اهتـمامه الـعظيم بأمور المسلمين حيـث كتب إلى ملك الروم يهدده ذلك التهديد القوي إن لم يُفرِجْ عن ذلك الأسير .

جـ - كما أن في هذا الخبـر بيانًا لأثر العدل في الحكم حتى على الأعداء المحاربين، فـحينما جاء كـتاب عمر الذي بلغ حـدا عاليا في التهـديد لملك الروم ماكـان من هذا الملك إلا أن قال : ماكنـا لنحمل الرجل الصالح على هذا .

وحينما بلغــه موت عمر تأثر بذلك وظهــرت الكآبة على وجهه، وذلك لأنه حتى الأعــداء ينعمــون بعدل الأمراء من أعــدائهم، لأنهم يأمنون خيــانتهم وظلمهم لهــم ولأتباع دينهم الذين يعيــشون في بلاد هؤلاء الأمراء .

وقد بلغ بملك الروم التأثر بعدل عمر إلى حد أنه وفى بما وعد به حتى بعد موته وقال : ماكنا لنجيــبه إلى ماأمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته .

اهتمامه بأمور الرعية :

قال أبو محــمد عبد الله بن عــبد الحكم : وخرج عمــر بن عبد العزيز يومًا في ولايته الخلافة بالشــام فركب هو ومزاحم - وكان كثيراً مايركب فيلقى الركبان يتجسس الأخبار عن القرى- فلقيهما راكبٌ من أهل المدينة ، وسألاه عن الناس وماوراءه وهو الأمــر الذي خرجا من أجله. فقال لهما : إن شئتما جمعــت لكما خبري، وإن شئتما بعضته تبعيــضًا . فقالا : بل اجــمعه فقــال : إني تركت المدينة و الظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور، والغني موفــور ، والعائل مجبور. فسُرَّ بذلك عمر وقال ، والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس [١].

مثل من اختياره الولاة :

قال الإمام أبو جعفر الطبري : ثم إن عمر لما أراد استعمال عاملٍ على خراسان . قال فيما ذكر عليّ بــن محمد بن خارجة بن مصعب

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣١ .

الضبعيّ وعـبد الله بن المبارك وغيـرهما: ابغوني رجلا صـدوقًا أسأله عن خُراسان، فقيل له : أبو مجْلز لاحق بن حميد. فكتب فيه، فقدم عليه - وكان رجـلا لاتأخذه العين[1] فدخل أبو مجْلـز على عمر في جفة الناس [2] ، فلم يُثبِـتْه [3] عمـرُ ، وخرج مع الناس فـسأل عنه فقيل: دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: ياأبا مجلز ، لم أعرفك، قال : فهلا أنكرتني إذ لم تعـرفني ! قال : أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال: يكافئ الأكفاء ، ويعادي الأعداء ، وهو أمير يفعل مـايشاء ، ويُقدم إن وجد من يساعده. قـال: عبد الرحمن بن نعيم ، قـال: ضعيف ليّن يـحب العافيـة، وتأتي له، قال: الذي يحبّ العافية وتأتي له أحبّ إلي ، فولاه الصّلاة والحرب، وولّى عبد الرحمن القشيريّ ، ثم أحد بني الأعـور بن قشير الخراج، وكتب إلى أهل خـراسان : إني اسـتعـملتُ عبـد الرحمن على حـربكم وعبـد الرحمن بن عـبد الله على خـراجكم عن غير مـعرفة مني بهـما ولا اختيار ، إلا ماأخبرتُ عنهما ، فـإن كانا على ماتحبون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله، ولاحول ولاقوة إلا بالله .

قال عليّ : وحدّثنا أبو السريّ الأزديّ ، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم :

أما بعدُ ، فكن عـبدًا ناصحًا لله في عـباده ، ولايأخذك في الله

---

(١) يعني أن جسمه لايلفت النظر .

(٢) جفة الناس : جماعتهم .

(٣) لم يثبته : لم يعرفه حق المعرفة .

لومـة لائم، فإنّ الله أوْلى بك من الناس، وحـقه عليك أعظـم، فلا تولِّين شـيئًـا من أمر المسلمين إلا المعـروف بالنصيـحة لهم والـتوفـير عليهم، وأداء الأمانة فـيما استُرعيَ ، وإياك أن يكون مـيلك ميلاً إلى غير الحق، فـإن الله لاتَخفى عليه خافيـة، ولاتذهبن عن الله مذهبًا، فإنه لاملجأ من الله إلا إليه [1] .

مثل من احتياطه في اختيار الولاة :

ذكر الشيخ أبو حفص عمر بـن محمد الخضر الملاء : أن بلال بن أبي بردة دخل على عمر بن عـبد العزيز وعليه قميص قـد شمّره فوق كعبيه وعليه عمامة له حزقانية قد سَدَلَها بين كتفيه وقد أثر السجود في وجهه . قال: فـاستنطقه عمر فوجده رجلاً سـديد العقل . فقال له: قم يابلال ارجع إلى منزلك . ثم دعـا عمـر بن عبد العـزيز مزاحـمًا فقال: يامزاحم ! اختبر لي هذا الرجل - يعني بلالاً - فليس لي غناء عنه إن كان له ورع . فلما خرج مزاحم أرسل إلى بلال فجاء فقال له مزاحم : يابلال . قال: ماتشاء أصلحك الله. فقال مزاحم: أنا والله أحب الخير لنفسي فماذا لي إن رمـيت بك على أحد العراقين؟ فقال: إذا كـان ذلك فلك علي ثلاثون ألفًـا ، والله أنقـدك إياها السـاعـة، وأربعـون ألفًـا إذا قـدمت البـلد. ثم قـال: الأمـر أمـرك لايخـالف ولايعصى. فـقال مـزاحم : ارجع إلى منزلك. قال: وخـرج مزاحم حتى دخل على أمير المؤمنين عمـر وقال له : عدو الله لص. وأخبره الخبـر. فقال عمـر : والله إن كاد ليغرني بسـجدته وعمامـته. والله

---

(١) تاريخ الطبري ٦/٥٦١ - ٥٦٢ .

لايمسين في عسكري. انخسوا به . ثم كتب : من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة سلام عليك . أما بعد، فإياك وبلالاً بلال السوء ، وعيينة بن أسماء ، وحوشب بن يزيد، فإنهم من بقايا السوء فلا تستعينَنَّ بهم على شيء من عملك والسلام عليك (١).

ففي هذا الخبر ظهر لنا تطبيق أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لعلمه، حيث كان يعلم أن الشرطين الأساسيين للولاية هما اتصاف الوالي بالكفاءة والأمانة ، وقد عرف اتصاف هذا الرجل بالكفاءة من منطقه ومجالسته إياه، ثم كلف مولاه مزاحما باختباره لمعرفة أمانته، لكنه لم ينجح في الاختبار فكان ماكان من استبعاده والتحذير منه .

وهذا الاهتمام الشديد من عمر بن عبد العزيز يدل على حرصه الكبير في التحري في اختيار الولاة ، لأن ذلك يضمن له بنسبة كبيرة أن تسير الأمور في البلاد الإسلامية على مايريد من العدل والإصلاح.

حرصه على تولية الأكفاء :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر الإمام الأوزاعي قال: أراد عمر بن عبد العزيز أن يستعمل رجلا على عمل فأبى، فقال له عمر: عزمت عليك لتفعلن ، فقال الرجل وأنا أعزم على نفسي أن لاأفعل ، فقال عمر أتعصيني ؟ فقال : ياأمير المؤمنين إن الله تعالى يقول ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن**

(١) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٤٦ ، وأخرجه ابن سعد مختصر ٥١/ ٣٩٥.

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢] . أفمعصية كان ذلك منهن ؟ فأعفاه عمر [(١)].

مثل من نباهة عمر وفطنته :

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم : وولى عمر بن عبدالعزيز الوليد بن هشام المُعَيْطي على جند قِنَّسرين - والفُراتُ بن مسلم على خراجها - فتباغيا، حتى بلغ الأمر بالوليد أن هيأ أربعة نفر من كهول قنسرين يشهدون على فرات أنه يدع الصلاة، ويُفطر شهر رمضان مقيمًا صحيحًا ، ولايغتسل من الجنابة، ويأتي أهله وهي طامث. فقدموا على عمر بن عبد العزيز فشهدوا بهذه الشهادة، وهم مختضبون بالحناء ، فقال عمر هذا رمقتموه في صلاته فلم يُصَلِّها، إما تركها متعمدًا وإما ساهيًا، ورأيتموه يفطر في ظهر رمضان ولاترون به سقمًا ، ماعلمكم أنه لايغتسل من الجنابة وغشيانه أهله؟ والله ماهذا مما يشتم به ولاسيما فرات في مثل عفافه وأمانته، ياغلام انطلق بهؤلاء المشيخة السوء إلى صاحب الشُّرَط ، فمُرْه فليضرب كل واحد منهم عشرين سوطًا على مَفرق رأسه، وليرفق في ضربه لمكان أسنانهم، وبحَسْبهم من الفضيحة ماهم صائرون إليه، إن لم يتغمد الله ماكان منهم بعفوه، ثم استوثق منهم بالكفلاء حتى يكون فرات هو الآخذ بحقه منهم ، أو العافي عنهم، والعفوُ أقرب للتقوى وأقرب إلى الله عز وجل. ثم أصلح بين الوليد وفرات .

قال : ولما قدم قابل ، وقدم الوليد و معه رؤوس أنباط قنَّسرين

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣١٢.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الفرات أن اقدم فقدم، وإنه لقاعد خلف سرير عمر إذ دخل الأنباط، فقال لهم عمر : ماذا أعددتم لأميركم في نزله لمسيـره إليَّ قالوا: وهل قدم ياأمـير المؤمنين ؟ قال: مـاعلمتم به؟ قالوا : لا والله ياأمير المؤمنين ، فأقبل عمر بوجهه على الوليد فقال: ياوليد إن رجلاً ملك قنَّسرين وأرضها خرج يسير في سلطانه وأرضه، حتى انتـهى إليَّ لايعلم به أحـد، ولاينفّر أحدًا ولايروعـه، لخليقٌ أن يكون متـواضعًـا عفيـفًا ، قال الـوليد: أجل والله ياأميـر المؤمنين إنه لعـفيف وإني له لظالم ، وأسـتغـفر الله وأتوب إلـيه. فـقال عـمر: ماأحسن الاعـتراف ، وأبين فضله على الإصرار، وردَّهمـا عمر على عملهما فكتب إليه الوليد - وكان مرائيًا - خديعة منه لعمر، وتزينًا بما هو ليس عليه : إني قدَّرت نفـقتي لشهر فوجدتهـا كذا وكذا درهمًا، ورزقي يزيد على ماأحـتاج إليه، فإن رأى أميـر المؤمنين أن يَحطَّ فضل ذلك ، فقال عـمر :أراد الوليد أن يتـزيَّن عندنا بما لاأظنه عليه، ولو كنت عازلاً أحدًا على ظنٍّ لعزلته، ثم أمر بحطِّ رزقه إلى الذي سأله، ثم أمر بالكتاب إلى يزيد بن عبد الملك وهو ولي عهده، إن الوليد بن هشـام كتـب إليَّ كتـابًا أكـثر ظـني أنه تزين بما ليس هو عليـه، ولو أمضيت شـيئًا على ظني ماعـمل لي أبدًا ، ولكني آخذ بالظاهر وعند الله علم الغيـوب، فأنا أقسم عليك إن حدث بي حـادث وأفضى هذا الأمر إليك، فسألك أن تردّ إليه رزقه، وذكر أني نقصته فلا يظفر منك بهذا أبدًا فإنما خادع به الله والله خادعه ،فلمـا مات عمر، واستُخلف يزيد كتب إليه الوليد : إن عمر نقصني وظلمني، فغضب يزيد وبعث

إليه فعزله وأغرمه كل رزق جرى عليه في ولاية عمر ويزيد كلها، فلم يل له عملاً حتى هلك [1].

في هذا الخبر مثل من الحسد المذموم ومايترتب عليه من الكيد للزملاء في العمل ، وهذا ينتج عادة من تضخم شرف الدنيا في النفس وتضاؤل شرف الآخرة فيها، فيعمل الحاسد على تقويض مركز من ينافسونه على شرف الدنيا، ويرتكب من أجل ذلك موبقات منها الكذب والتزوير ، ولو أن هذا الحاسد استعمل عقله السليم فأعطى الدنيا حجمها الملائم لها لَتواضَع بدلاً من أن يتكبر، ولأراح عقله من التفكير الطويل في ملاحقة شرف الدنيا والكيد للمنافسين ،ولَعَفَّ لسانه عن قول الكذب والزور، ولعاش قرير العين سعيد النفس بما قسم الله له من مال الدنيا وشرفها، ولَطلب بفكره وعمله شرف الآخرة الذي لايترتب عليه حسد مذموم ولاكبر وبطر ولاإشغال للفكر بتدبير المكائد والمؤمرات .

ولما كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز خبيرًا بأدواء النفوس وتجاوزاتها فإنه قد أدرك على الفور أن وراء الأكمة ماوراءها، وأن مجيء أولئك الشيوخ وتصريحهم بما أدلوا به من قدح مشين بأميرهم فرات بن مسلم ماهو إلا حلقة من حلقات مؤامرة مدبرة لإيغار صدره عليه وعزله عن منصبه، فهداه الله تعالى إلى استعمال فكره السليم في نقض تلك الدعاوي، ووضع أصحابها في قفص الاتهام حتى تتضح الرؤية ويتبين الحق، ولقد كان واثقا من كذب تلك الدعاوى

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٥١ - ١٥٣ .

حيث أمر بإجراء العقوبة على أصحابها ، ثم لم يكن بحاجة إلى إكمال التحقيق في القضية لأن الأمر من الوضوح بحيث حمل صاحب المؤامرة على الاعتراف بخطئه والحكم على نفسه بالظلم لزميله في العمل والثناء عليه بما يستحقه من صفات الكمال، ثم لما كان هذا الاعتراف بالخطأ برزت أخلاق عمر بن عبد العزيز المتمثلة بالعفو والرحمة وتقدير المواقف الإيمانية .

وحينما طلب منه الوليد بن هشام المعيطي أن ينقص من راتبه أدرك خداعه في اختلاف سريرته مع علانيته، حيث أظهر العفة والزهد ليصل إلى كسب الثقة وعلو المنزلة عند عمر بن عبد العزيز الذي يعظم هذا الاتجاه، ولكن أمير المؤمنين أدرك ذلك فحقق له مطلبه، وفي الوقت نفسه فوَّت عليه الفرصة في نيل مقاصده، ولقد كان أمير المؤمنين عظيم الورع حينما لم يحكم عليه بمجرد ظنه، وإنما قاده هذا الظن إلى عمل الاحتياطات اللازمة لتفادي ماقد يكون من ذلك الوالي من جنوح في المستقبل .

فما أعظم عمر بن عبد العزيز في فطنته وفراسته وحزمه !!

وماأعظمه في رحمته وعفوه وورعه !!

موقفه في رفع الظلم عن زيد بن حسن :

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم : وكتب الوليد بن عبد الملك إلى زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب، يسأله أن يبايع لعبد العزيز بن الوليد، ويخلع سليمان بن عبد الملك ، ففَرِق زيدٌ من الوليد فأجابه، فلما استُخلف سليمان وجد كتاب زيد إلى الوليد بذلك

فكتب إلى أبي بكر بن حـزم - وهو أمير المدينـة - ادع زيد بن حسن فأقرئه هذا الكتاب فإن عرفه فاكتب إلي بذلك، وإن نكل فقدِّمه فأظهر يمينه على منبر رسول الله ﷺ : ماكتب هذا الكتاب ولاأمر ، فأرسل إليـه أبو بكر بن حزم فـأقرأه الكتـاب ، فـقال: أنظرني مـابيني وبين العشـاء أستـخيـر الله . قال: فـأرسل زيد بن حسن إلى القـاسم بن محمـد، وسالم بن عبد الله يستـشيرهما. قال: فـأقاما معهمـا ربيعة فـذكر لهـمـا ذلك، وقـال: إني لم أكن آمَنُ الوليـد على دمي لو لم أجبـه، فقد كتـبت هذا الكتاب، أفترون أن أحلف؟ فـقالوا: لاتحلف ولاتبـارز الله عـز وجل عند منبـر رسول الله ﷺ ، فـإنا نرجـو أن يُنجيك الله بالصدق، فأقرَّ بالكتاب ولم يحلف. فكتب بذلك أبو بكر بن حزم إلى سليـمان ، فكتب سليـمان إلي أبي بكر أن يضـربه مائة سوط، ويُدرعه عباءة، ويُمشيه حافيًا، فتشكى سليمان. فقال عمر بن عبد العزيز للرسول: لاتخرج حتى نكـلم أمير المؤمنين فيما كتب إلى زيد بن حسن ، لعلي أستطيب نفسه فيترك هذا الكتاب. قال: فحبس الرسول والكتـاب، ومرض سليـمان فقـال عمر: لاتـخرج فإن أمـير المؤمنين مريض ، إلى أن رُمي في جنازة سليمـان، وأفضى الأمر إلى عمر بن عبد العزيز فدعا بالكتاب فخرقه [1].

وهكذا نجى اللـه تعـالى زيد بن حـسن من بأس سـليـمـان بن عبدالملك وبطشه بذلك السلوك الحكيم من عـمر بن عبد العزيز، وإنه لعجيب من أولئك الأمراء أن يحرجوا كبراء الأمة وفضلاءها بإدخالهم في تجاوزاتهم السيـاسية وجعلهم معرضين لنقـمة الحاكم الحالي إن لم

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١١٩ - ١٢٠ .

يوافقوا على تحقيق مراده أو نقمة الحاكم القادم إن وافقوا على ذلك، فكان زيد بن حسن قد فضل درء الشر الحاضر على أمل أن لايكون الشر المستقبل، ولكنه وقع وكاد أن يتعرض للتعذيب المذكور لولا أن انقذه الله تعالى بما فعله عمر بن عبد العزيز .

شكوى عمته باسْم بني أمية :

أخرج محمد بن سعد من خبر عبيد الله بن محمد التيمي قال: سمعتُ أبي وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز لما ولي منع قرابته ماكان يجري عليهم وأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم، قال فشكوه إلى عمّته أم عمر، قال فدخلتْ عليه فقالت: إنّ قرابتك يشكونك ويزعمون ويذكرون أنك أخذت منهم خير غيرك، قال: مامنعتُهم حقّا أو شيئًا كان لهم ولاأخذت منهم حقّا أو شيئا كان لهم. فقالت : إني رأيتُهم يتكلمون وإني أخاف أن يهيجوا عليك يومًا عصيبًا . فقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني اللهُ شرّه. قال فدعا بدينار وجَنْب ومجمرة فألقى ذلك الدينار في النار وجعل ينفخ على الدينار حتى إذا احمر تناوله بشيء فألقاه على الجنب فنشّ وقتّر فقال: أيْ عمة أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا ؟ قال فقامت فخرجت على قرابته فقالت : تزوجون إلى عمر فإذا نزعوا الشبه جزعتم ، اصبروا له (١) .

ففي هذا الخبر بيان زهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بهذه الحياة الدنيا وعدم مبالاته بما يجري عليه فيها من مصائب، فإن الشيء

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٧٣ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٩٦ .

الوحيد الذي يهتم له هو ماسيكون عليه مآله بعد الموت، فكل تهديد يوجه إليه في هذه الحياة الدنيا فإنه لايثير خوفه ولايحسب له حسابا، وهذا فيه تيئيس لمن سيعملون ضده لأنه لايجذبه طمع ولايخيفه فزع، ومن أجل أن يكون تصور أهوال الآخرة أبلغ فإنه قام بتمثيل مصغر لعذاب النار أمام عمته لتتأثر بذلك الموقف ولتنقل الصورة إلى بني أمية لعلهم يتذكرون ويعتبرون .

تأديبه لمن سخَّر أهل الذمة :

أخرج محمد بن سعد من خبر سهل بن شعيب أن ربيعة الشعوذي حدثهم قال : ركبتُ البريد إلى عمر بن عبد العزيز فانقطع في بعض أرض الشام فركبت السُّخْرة [1] حتى أتيته وهو بخناصرة فقال: مافعل جناح المسلمين ؟ قال قلت : وماجناح المسلمين ياأمير المؤمنين ؟ قال : البريد. قال قلت : انقطع في أرض أو مكان كذا وكذا. قال : فعلى أيّ شيء أتيتنا ؟ قال قلت: على السخرة تسخرتُ دوابّ النبط. قال : تسخّرون في سلطاني ؟ قال فأمر بي فضربتُ أربعين سوطًا ، رحمه الله [2].

فهذا من أبلغ أمثلة العدل، حيث يأمر أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز بضرب أحد عماله لكونه سخَّر أهل الذمة لحمله على دوابهم، فهو يرى أن ذلك ظلم لهم ، فماأسمى أحكام الإسلام التي يصل بها أهل الذمة من الكفار إلى حقوقهم الكاملة ويتمتعون بها

---

(١) يعني سخر من مر بهم من أهل الذمة ليحملوه على دوابهم .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٧٤ .

بالعدل والأمن !! ولكن هذه الأحكام تحتاج إلى حكام عـادلين لتتمثل في واقع الحياة فيشاهدها الناس أجمعون ، ويكون لها الأثر الكبير في تعظيم الإسلام والانجذاب إليه .

مثل من بركة الحكم بالعدل :

أخـرج الحافـظ أبو نعيم مـن خبـر إبراهيم بن هشـام بن يحـيى الغساني حـدثني أبي عن جدي. قال : لما ولاني عمر بن عـبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكبر البلاد سرقا ونقبا، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد وأسأله : آخذ من الناس بالمظنة وأضربهم على التهمة أو آخذهـم بالبينة ومـاجرت عليـه عادة الناس ؟ فكتب إلـي أن آخذ الناس بالبـينة ومـاجرت عـليه السنـة ، فإن لم يصلحـهم الحق فـلا أصلحهم الله . قـال يحيى : ففـعلت ذلك فمـا خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا ونقبا (١).

فهذا مثال على أن البركة والسعادة والأمن تتوفر في تطبيق شريعة الإسلام ، فـإن عصـاة المسلمين وإن جرت منهم جنوحـات إجرامـية فإنهم مؤمنون باللـه تعالى واليوم الآخر، فإذا شـعروا بأنهم يُحكَمون بالدين وأن الحاكم صادق ومخلص في تطبـيق الإسلام فإنهم يرتدعون بأقل الروادع ، ويصبح مـن يلومهم على إجرامـهم يتكلم باسم الدين فيرعوي مـن في قلبه بقية من جذوة الإيمان ويقظة الضمـير، ولايصر على الإجـرام إلا من قـسـت قلوبهم وغلظت طبـاعـهم ، وهؤلاء لايرتدعون إلا بـتطبيق الحدود الشـرعيـة، ولكن عددهم في المجـتمع

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٧١ .

الإسلامي محدود ، فالقضاء على الجرائم - والحال هذه - متيسر للحاكم العادل الذي يطبق الحق على كل المسلمين، ومن هذا المنطلق نجح هذا الحاكم في إقرار الأمن والقضاء على الجرائم .

أما إذا كان الحاكم يأخذ الناس بالظن ولايتقيد بأحكام الشريعة فإن من عندهم ميل للجرائم يغالبون الحاكم بالتحدي، ولاينشط المتقون للإنكار على المجرمين لأن القضية تكون بينهم وبين سلطان متجبر، فيكون موقف المتقين ضعيفا حينما يقاومون أصحاب الجرائم لأن موقفهم قد اقترن بموقف الحاكم المتسلط .

إنصافه الأعراب من بعض بني أمية :

أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد من خبر سليمان بن موسى أنه بلغه أن قوما من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبد العزيز قوما من بني مروان في أرض كانت الأعراب أحيوها، فأخذها الوليد بن عبد الملك فأعطاها بعض أهله ، فقال عمر بن عبد العزيز : قال رسول الله ﷺ : « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله من أحيى أرضا ميتة فهي له» ، فردها على الأعراب [1].

فهذا مثل من عدل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، حيث أنصف الأباعد عنه من المقربين إليه، وفي الخبر دلالة على أهمية العلم الشرعي للحاكم وأثر ذلك في سلوك الطريق المستقيم والسلامة من الزلل .

---

(١) الزهد للإمام أحمد بن حنبل / ٢٩٠/ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٨٥ .

وصيته عماله بالتقوى والعدل :

قال ابن عبد الحكم : وكتب عمر بن عبد العزيز : من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى العمال[1] ، أما بعد : فإن هذا الأمر الذي ولاني الله لو كنت إنما أصبحت ورغبتي فيه مطعم أو ملبس أو مركب أو اتخاذ أزواج أو اعتقاد أموال لكنت قد بلغ الله بي من ذلك قبل ماولاني من أفضل مابلغ بعباده ، ولكني أصبحت له خائفا، أعلم أنه فيه أمرًا عظيما وحسابا شديدًا ومسألة غليظة [2] عند مجاهدة الخصوم بين يدي الله إلا ماعافى الله ورحم ودفع ، وإني آمرك فيما وليتك من عملي وأفضيت إليك من أمري بتقوى الله ، وأداء الأمانة واتباع ماأمر الله به واجتناب مانهى الله عنه ، وقلة الالتفات إلى شيء خالف ذلك ، ليكون الذي آمرك به في سيرتك والنظر في نفسك وفي عملك وماتفضي به إلى ربك وماتعمل به فيما بينك وبين الرعية قبلَك، وأنت تعلم علما يقينا أنه ليس نجاة ولاحرز إلا أن تنزل بذلك المنزل من طاعة الله ، ودع أن ترصد شيئًا ليوم ترجوه أو تخافه سوى ماترجوه غدًا من الله تعالى وتخاف منه، فإنك قد رأيت عبرًا في نفسك وعبرًا مامثلُها وُعظ مثلُنا، وكفى ومثلُها أصابك إلى حظك من الله ، والسلام [3] .

---

(١) في تاريخ الطبري أن هذا الخطاب موجه إلى يزيد بن المهلب .

(٢) في كتاب ابن عبد الحكم «لطيفة» واثبت مافي تاريخ الطبري لأنه أنسب لسياق الكلام.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٩٢ ، تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٦-٥٦٧ .

فهذا الخطاب يبين عظمة شعور أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالمسئولية ، حيث فهم وبين أن الولاية مغرم لامغنم ، فهي جدٌّ وعمل وهمٌّ متواصل ، وإنما يدفع إلى فهم حقيقتها ، والنجاة من مزالقها شعور صاحبها بالوقوف بين يدي الله تعالى للحساب، وأن يُعدَّ لكل قضية جوابا ، فإذا لم يستطع إعداد الجواب في الدنيا فإنه أعجز عنه في الآخرة ، وإنما يكون إعداد الجواب بتنقية السيرة وتطهير السريرة، وبذل الجهد في الإصلاح ، فإن العامل لايُلام بعد بذل الجهد على ماكان منه من تقصير أو خطإٍ لايعلمه، أما إذا كان هدف العامل اكتساب مجد الدنيا ومتاعها وتجنب خسارتها فإنه قد حكم على نفسه بالهلاك ، وضيع باختياره سبيل النجاة ، فلا يلومنَّ إلا نفسه المفرِّطة، ولا يتَنَقصَنَّ إلا فكره المنحرف .

ومن ذلك ماذكره أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله تعالى قال : وكتب عمر بن عبد العزيز : من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى أمير الأجناد : أما بعد فإنه من بلي بالسلطان تحضره مكاره كثيرة وبلايا عظام ، إن غابت عنه يوما فهي حَرِيَّة أن تحضره في اليوم الآخَر ، وإنه ليس أحد بأشغل عن نفسه ولا أكثر تعرضًا لزيغ من ولي السلطان ، إلا ماعافى الله ورحم ، فاتق الله ماستطعت ، واذكر منزلك الذي أنت به والذي حُمِّلت ، وقاتل هواك كما تقاتل عدوك ، واصبر نفسك عما كرهت ابتغاء ماعَند الله من حسن ثوابه الذي وَعد به المتقين فيما بعد الموت ، والذي وعدكم على التقوى والصبر من النجاة في عاجل الأمر وآجله، فإذا حضرك الخصم الجاهل الخَرِق ممن قدر الله أن يوليك أمره وأن تبتلى به فرأيت منه

سـوء رِعَة وسـوء سيـرة في الحق الذي عليـه والحظ الذي له فسـدِّده ماستطعت وبصِّره ، وارفق به وعلِّمه، فإن اهتدى وأبصر وعلم كانت نعـمة من الله وفـضـلا ، وإن هو لم يبصـر ولم يعلم كـانت حجـة اتخذت بهـا عليه ، فـإن رأيت أنه أتى ذنبا اسـتحق فيـه عقـوبة فلا تعاقبه بـغضب من نفسك عليه ، ولكن عاقبـهُ وأنت تتحرى الحق في قدر ذنبـه بالغًا مابلغ ، وإن لم يبلغ ذلك إلا قـدر جَلدة واحدة تجلده إياها، وإن كان ذنبه فوق ذلك، ورأيت عليه من العقوبة في ذلكَّ قَتْلاً فما دونه فأرجعه إلى السجن ، ولايسرعنّ بك إلى عقوبته حضور من يحضـرُك ، فإنه لعمري ربما عـاقب الإمام لمحضر جلسـائه، ولتأْديب أهل بلده ولتغامزهم به، وما من إمام له جلساء إلاَّ سيكون ذلك فيهم وما من قوم يسمعون بقضاء إمام إلا سيختلفون فيه على أهوائهم، إلا من رحم الله ، فـإن من رحم الله لايختلفـون في قـضاء، فإنـه قال ﴿ **وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ (١) .

وإذا استجـهلت فتثبت ، وإذا نظر إليك من حـولك ماأنت فاعل بسفيه من رعيَّتك إن سفـه أو أخطأ خطيئة فاعمد في ذلك للذي ترى أنه أَبَرٌّ وأتقى وخيرٌ لك غدًا فـيما بعد الموت، ولايطربك نظرهم إليك ولاحديثهم عنك فإنهم لايبقى في أنفسهم حديثٌ أحبُّوه أو كرهوه إلاَّ قليلاً إلا أَبْدَوْهُ . فـاغتنم كل يومٍ أخـرجك الله فيه سـالمًا، وكل ليلة مضت عليك وأنت فيـها كذلك وأكثر من دعاء الله بالعـافية لنفسكَ، ولمن ولاَّك الله أمره ، فـإن لك في صلاحهم مـاليس لأحد منهم وإن عليك في فساد الرجل الواحد فما فوق ذلك ماليس على أحد منهم .

(١) سورة هود الآية ١١٨ - ١١٩ .

ولاتبتغ منهم جزاء خيرٍ أحسنته إليهم ، ولابتسديد سددتهم ، ولاتطلب بعمل صالح عملته فيهم جزاءً ولاثوابًا و لامدحةً ولاحظوة، وليكن ذلك لمن لايعطي الخير ولايصرف السوء غيره، ثم تعاهد صاحب بابك وصاحب حرسك وعاملك المقيم عندك والذين تبعث ، فلا يعملون في شيء مما تحت يدك بغشم ولابظلم، وأكثر المسألة عنهم، فمن كان منهم محسنا نفعه ذلك ، ومن كان مسيئًا استبدلت به من هو خير منه .

نسأل الله ربنا برحمته وقدرته على خلقه أن يغفر لنا ذنوبنا وأن ييسر لنا أمورنا ، وأن يشرح لنا صدورنا بالبر والتقوى ، والعمل فيما يحب ويرضى ، وأن يعصمنا من المكاره كلها ، وأن يجعلنا من الذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، ومن المتقين الذين لهم العاقبة، والسلام عليكم ورحمة الله [١] .

ففي هذا الكتاب بيان خطورة الولاية وأنها مزلة قدم، ولايسلم من زلاتها إلا من رحمه الله تعالى، فالولاية إما عمل صالح عظيم الدرجات لمن عف وعدل واستقام، وإما عمل سيء يؤدي إلى الهلاك لمن رتع وجار وانحرف، ولولا أنها في بعض صورها عمل صالح لما أقدم عليها من يخشى الله ويتقيه .

وإذا تقلد الإنسان ولاية برز هوى نفسه الأمارة بالسوء لكثرة المغريات ، فإذا لم يتصور الإنسان نفسه التي بين جنبيه عدواً له في بعض الأحيان فإنه سالك سبيل الهلاك ، لأنه لن يعمل على كبح

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٨١ - ٨٣ .

جماح النفس وتقويمها، وقد تكره النفس الاستقامة على منهج الإسلام الكامل فلابد من إكراهها على سلوك هذا السبيل ، وسيتحول الأمر بعد شيء من المعاناة - تقصر أو تطول - إلى منهل عذب وسبيل رحب، تهواه النفس المطمئنة وتنافس عليه .

والمسئول يبتلى بمعاملة الناس على مختلف أذواقهم ومشاربهم، وقد تتحول هذه المعاملة إلى معاناة ومكابدة، فلا يغتر المسئول بكونه أقدر على أفراد رعيته منهم عليه فيعاملهم بشيء من العنف والقسوة وإن ساءت معه أخلاقهم وغلظت معه طباعهم، بل عليه أن يبذل جهده في تعليم الجاهل الأدب وحسن المعاملة ، فإن التعليم من الأعلى له دوره المؤثر ، حيث إنه يملك هيبة المسئولية ، فإذا تحول عما ينتظر منه عادة من محاولة فرض السيطرة إلى محاولة تعليم الناس وتهذيب أخلاقهم فإن النفوس تُكْبِر ذلك فيه وتقبل على توجيهه .

وإذا أخطأ أحد أفراد الرعية خطأ يستحق عليه العقوبة فمن واجب الوالي أن يتأنى في إجراء العقوبة ، وأن لايحكم عليه وهو غضبان، فإن مع الغضب شيطانا ، والقوة الغضبية أميل إلى الجور والعسف، ولذلك أمر النبي ﷺ من غضب بالوضوء أو بالقعود إن كان قائمًا ليزول غضبه قبل أن يتصرف ، وليندحر شيطانه .

وإن من فضائل بعض الأنظمة الإدارية المعاصرة أن المسئول لايجري العقوبة وحده ، وإنما يحيل الأمر إلى لجنة مختصة بدراسة القضايا وتحديد العقوبات المناسبة ، فإن هذا النظام يبعد حالة التصرف مع الغضب تماما ، ويتيح الفرصة لدراسة الأمور بتؤدة وروية ومشورة

بين عدد مـن الأفراد ، فهـو أدنى إلى التثبت والعدالة ، وأبـعد من المجازفة والجور .

وإن مما يحمل المسئول أحيانًا على القسوة والحيف محاولة الإبقاء على هيبة السلطة والظهور أمام جلسائه ومن تحت إدارته بمظهر القوة، وقد يداهنه من حوله بتحريضـه على المخالف لظنهم بأن ذلك يكسبهم رضاه ، فيسهمون بذلك في حمله على الظلم .

وقد يحـصل ماهو ضد ذلك إذا كان لبـعض الجلساء أو الإداريين غرض في التـخفيف عن المخالف فـيحاولون أن يؤثروا على المسئول ليعفـو عن المخالف ، وقد يترتب على ذلك تضيـيع بعض الحقوق أو الجرأة على المخالفة .

ولذلك فإن من أقوى العـواصم من الانحراف في الحكم أن تحال القضايا إلى لجانٍ متخصصة لدراستها وتقدير العقوبة المناسبة مع حسن اختيار أعضائها ومراقبتهم .

وإن مما أوصى به عـمـر بن عـبـد العـزيز في هذا الخطاب أن لا يستجلب المسئول بما يقدمه من خير وإصلاح ثناء الناس ولاجزاءهم ، وإنما يطلب من الله تعالى الأجر والثـواب على عمله ليكون خالصا ، وإذا كان كذلك فإنه أدعى للنجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة .

خبره مع المرأة التي فرض لبناتها من بيت المال :

أخـرج ابن عبـد الحكم رحمـه الله ، قـال : وقدمَتْ امـرأة من العراق على عمـر بن عبد العزيز ، فلمـا صارت إلى بابه قالت: هل على أمير المؤمـنين حاجب ؟ فقالوا : لا فَلِجِي إن أحـببت، فدخلت

المرأة على فاطـمة وهي جالسـة في بيتـها ، وفي يدها قطن تعـالجه، فسلمت فردت عليها السلام وقالت لها : ادخلي ، فلما جلست المرأة رفعت بصـرها فلم تر في البيت شـيئًـا له بال ، فقالـت : إنما جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخرب ، فقالت لها فاطمة : إنما خَرَّب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك .

قال : فأقبل عمر حتى دخل الدار ، فمال إلى بئر في ناحية الدار فانتـزع منها دلاء فصـبها على طين كـان بحضرة البـيت - وهو يكثر النظر إلى فـاطمة - فقـالت لها المـرأة : استـتري من هـذا الـطيان فـإنـي أراه يديم النظر إليك ، فقـالت : ليس هو بطيـان ، هو أميـر المؤمنين .

قال : ثم أقبل عمر فسلم ودخل بيـته ، فمال إلى مصلًّى كان له في البيت يصلي فـيه ، فسـأل فاطمة عن المرأة ، فـقالت: هي هذه، فأخذ مكتلا له فيه شيء من عنب فجعـل يتخير لها خَيْرَه يناولها إياه، ثم أقبل عليها فقال : ماحـاجتك ؟ فقالت : امرأة من أهل العراق لي خمس بنات كُـسْلٌ كُسْد ، فجـئتك أبتغي حسن نظرك لهن، فـجعل يقول: كسل كسد ، ويبكي ، فأخذ الدواة والقرطاس فكتب إلى والي العراق ، فقـال سمِّي كبراهن ، فسمـتها ففرض لهـا ، فقالت المرأة: الحمـد لله ، ثم سأل عن الثانية والـثالثة والرابعة ، والمرأة تحـمد الله ففرض لها، فلما فرض للأربع استفزَّها الفرح فدعت له فجزَّته خيرا، فرفع يده وقال : كنا نفرض لهن حيث كنت تُوْلين الحمد أهله، فَمُرِي هؤلاء الأربع يُفِضْن على هذه الخامسة .

فـخرجَتْ بالكتـاب حـتى أتت به العراق ، فـدفـعتـه إلى والي

العراق، فلما ذهبت إليه بالكتاب بكى واشتد بكاؤه، وقال : رحم الله صاحب هذا الكتاب ، فقالت : أمات ؟ قال : نعم ، فصاحت وولولت ، فقال : لابأس عليك ، ماكنت لأرد كتابه في شيء، فقضى حاجتها وفرض لبناتها [١] .

في هذا الخبر عدة مواقف :

الأول : شهادة تلك المرأة على زهد عمر بن عبد العزيز ، حيث لم تجد في بيته شيئًا يُذكر من الأثاث ، فيئست من الحصول على مايصلح شأنها من صاحب ذلك البيت الخرب، ولكن زوجة عمر فاطمة بنتَ عبد الملك طمأنتها ، حيث بينت لها أن خراب بيت أمير المؤمنين ، إنما هو بسبب عمارته بيوت الرعية، حيث اقتصد في الإنفاق على أسرته وأقاربه ، ووسع في الإنفاق على الرعية .

الموقف الثاني : في تواضع عمر بن عبد العزيز البالغ، وقد ظهر ذلك في قيامه بإصلاح ماخرب من بيته بنفسه، حيث صار يخلط الطين ويصلح به ماتهدم من بيته ، حتى ظنَّته تلك المرأة طيَّانا، وحيث قام بعد ذلك بانتقاء جيد الفاكهة ومناولته تلك المرأة المسكينة .

ولاشك أن تواضع الكبار وقيامهم بمثل هذا العمل المدهش، يعتبر من أهم أسباب تقوية المحبة وتثبيت الولاء كما أنه من أبلغ الوسائل لتربية الأمة على التواضع، لأن من في قلبه ميل إلى الكبر سيجد في نفسه صدودًا عن ذلك، وقناعةً بالاعتدال في السلوك، تأسيًا بأولئك الأكابر .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٩ .

والموقف الثالث : في اهتمامه بأمر تلك المرأة المسكينة حيث فرض لها ولبناتها مايكفيهم من بيت مال المسلمين ، بينما نجده قويّا متصلبا في معاملة الأكابر ، الذين يريدون أن يأخذوا من مال المسلمين مالايحل لهم ، فهو لين متواضع لطلاب الحق، شديد قوي على طلاب الباطل .

الموقف الرابع : في جواب عمر لتلك المرأة حينما شكرته لمَّا فرض لبنتها الرابعة بعد أن كانت تشكر الله تعالى ، حيث أوقف فرض العطاء لبنتها الخامسة وأمرها بأن تُفيض عليها من عطاء أخواتها، وهذا الموقف يبين عظمة فهم عمر لتوحيد الله تعالى، ومبلغَ تذكره لعظمته ، وحمَده لنعمته ، وقد قام بما قام به من هذا التصرف ليعطي تلك المرأة وغيرَها درسًا عمليًا في التوحيد هو أبلغ من الدروس النظرية .

وليس معنى هذا أن شكر المحسنين والدعاء لهم يتنافى مع التوحيد فإن النبي ﷺ يقول « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١)، ويقول «من صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له حتى تُرَوا أنكم قد كافأتموه » (٢) ، وعمر بن عبد العزيز من أعلم المسلمين بالسنة ولكن لما بدأت تلك المرأة بحمد الله تعالى ثم قطعت ذلك وتحولت إلى شكره وهو الدعاء له أحس بأن ذلك مخلٌّ بالتوحيد لأن فيه إشعارًا بتقديم شكر المخلوق على شكر الخالق جل وعلا .

---

(١) مسند أحمد ٢/٢٥٨ .

(٢) سنن أبي داود ، رقم ١٦٧٢ ، الزكاة ١/ ٣١٠ ، مسند أحمد ٢/٦٨ .

إنصافه الذميين من أهل نجران :

أخرج المؤرخ أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري من خبر الحسن البصري قال: جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ فعرض عليهما الإسلام فقالا : إنا قد أسلمنا قبلك، فقال، كذبتما يمنعكما من الإسلام ثلاث، أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولد. قالا، فمن أبو عيسى قال الحسن : وكان ﷺ لايعجل حتّى يأمره ربُّه فأنزل الله تعالى ﴿ **ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (١).

فقرأها رسول الله ﷺ عليهما ثم دعاهما إلى المباهلة(٢) وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين فقال أحدهما لصاحبه : اصعد الجبل ولاتباهله فإنَّك إن باهلتهُ بُؤْتَ باللعنة، قال: فما ترى قال: أرى أن نعطيه الخراج ولانباهله .

ثم ذكر كتاب النبي ﷺ إليهم وفيه أنه وضع عليهم ألفي حلة في كل عام .

ثم ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه أمضى ذلك عليهم .

ثم ذكر رواية من خبر سالم بن أبي الجعد قال : كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفا فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا : أجلِنا ، وكان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها

---

(١) سورة آل عمران / ٥٨ - ٥٩ .

(٢) المباهلة الملاعنة وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا .

فأجلاهم ، فندموا بعد ذلك وأتوه فقالوا : أَقِلْنا، فأبى ذلك ، فلما قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتوه فقالوا: ننشدك خطك بيمينك [١] وشفاعتك لنا عند نبيك إلا أَقَلْتَنا ، فقال : إن عمر كان رشيد الأمر وأنا أكره خلافه .

وذكر أن بعضهم جلا إلى الشام وبعضهم إلى الكوفة ونزلوا في ناحية سُمِّيت النجرانية باسمهم .

وذكر أنهم أتوا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنه كتب إلى عامله على الكوفة الوليد بن عقبة بأن يضع من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله تعالى وعُقْبَى لهم من أرضهم وقال : وإني أوصيك بهم فإنهم قوم لهم ذمة .

وذكر أنهم لما ولي معاوية رضي الله عنه أو يزيد بن معاوية شكوا إليه تفرقهم وموت من مات منهم وإسلام من أسلم منهم وأنهم أحضروا كتاب عثمان بن عفان رضي الله عنه بما حطَّ عنهم من الحلل، وقالوا : إنما ازددنا نقصانا وضعفا فوضع عنهم مائتي حلة تتمة أربعمائة حلة .

قال : فلما ولي الحجاج بن يوسف العراق وخرج ابن الأشعث عليه اتهم الدهاقين بموالاته واتهمهم معهم فردهم إلى ألف وثمانمائة حلة، وألزمهم بنوع جيد منها.

قال : فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصانهم وإلحاح الأعراب بالغارة عليهم وتحميلهم إياهم المؤن المجحفة بهم

---

(١) يعني أنه هو الذي كتب لهم الكتاب في عهد رسول الله ﷺ .

وظلم الحجاج إياهم، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عِدَّتهم الأولى ، فقال : أرى هذا الصلح جزية على رؤوسهم وليس هو بصلح على أرضيهم، وجزية الميت والمسلم ساقطة فألزمهم مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم (١).

فهذا الخبر يبين لنا شيئًا من علم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وعدله ورحمته ، فهو قد أدرك بأن جزية الذميين من أهل نجران على رؤوسهم وليست على أراضيهم، والأفراد ليس عددهم ثابتا بل يزيدون وينقصون، ولما كان عددهم قد أصبح على العشر من عددهم أيام رسول الله ﷺ فإن جزيتهم ينبغي أن تنقص إلى العشر، وهذا من الفقه في معرفة السنة النبوية، وقد كَلَّل فهمه هذا بالعدل والرحمة ، حيث أنقص جزيتهم إلى العشر، وهو بهذا يكون قد طبق سنة النبي ﷺ في تقدير جزيتهم .

إنصافه الذميين من أهل قبرص :

أخرج البلاذري من طريق محمد بن سعد عن الواقدي بإسناده قال: لم يزل أهل قبرص على صلح معاوية حتى ولي عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار ، فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز فحطها عنهم ، ثم لما ولي هشام بن عبد الملك ردها، فجرى ذلك إلى خلافة أبي جعفر المنصور فقال: نحن أحق من أنصفهم ولم نتكثر بظلمهم فردهم إلى صلح معاوية (٢).

---

(١) فتوح البلدان /٨٦ - ٩١ .

(٢) فتوح البلدان / ٢١٠ - ٢١١ .

فهذا أيضا مثل من إنصاف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في معاملة الذميين من أهل قبرص حيث وضع عنهم الزيادة التي رآها ظلما لهم، وقد تأسى به أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور في هذه العدالة رحمهما الله تعالى .

إنصافه أحد المظلومين من اليمن :

ذكر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خرج ذات يوم إلى الصلاة فصادفه رجل ورد من اليمن متظلما فقال :

تدعون حيران مظلوما ببابكم فقد أتاك بعيد الدار مظلوم

فقال ماظلامتك ؟ فقال غصبني الوليد بن عبد الملك ضيعتي، فقال : يامزاحم ائتني بدفتر الصوافي فوجد فيه : أصفى عبد الله الوليد بن عبد الملك ضيعة فلان، فقال أخرجها من الدفتر وليكتَبْ برد ضيعته إليه ويطلق له ضِعْف نفقته (١).

وهكذا طمع في عدل أمير المؤمنين أبناء البلاد البعيدة ، فجاء هذا الرجل من اليمن يطلب حقه الذي اغتُصب منه، فأعاد إليه عمر أرضه وأعطاه ضِعْف نفقته التي صرفها في سفره، ليكون ذلك تعويضا عما صرفه في قدومه وماسيصرفه في عودته، لأن من حقه أن تعود إليه أرضه المغتصبة وهو في بلده من غير أن يخسر شيئا .

سؤال عطاء عن أحوال عمر بن عبد العزيز :

أرسل عطاء بن رباح إلى فاطمة بنت عبد الملك يسألها عن أحوال

(١) الأحكام السلطانية / ١٠٣ .

عمر بعد موته فقالت : أفعلُ ، إن عــمر رحمة الله عليه كان قد فَرَّغ للمسلمين نفسه، ولأمورهم ذهنه ، فكان إذا أمــسى مساء لم يفرغ فيه من حوائج يومه وصل يومه بليلته ، إلى أن أمــسى مساءً وقد فرغ من حوائج يومه ، فــدعا بسراجه الذي كان من ماله، فــصلى ركعتين ثم أقعــى واضعًــا رأسه على يديه ، تســيل دموعــه على خديه، يشــهق الشهقــة يكاد ينصدع قلبه لهــا ، وتخرج لها نفسه حــتى برق الصبح فأصبح صــائما ، فدنوت منه فقلت : ياأميــر المؤمنين أليس كان منك ماكان ؟ قال : أجل فعليك بشأنك وخلِّيني وشأني ، قالت: فقلت : إني أرجو أن أتَّعظ ، قال: إذًا أخبرك ، إني نظرت فوجدتُني قد وليت أمر هذه الأمة أسودها وأحمرها، ثم ذكــرت الفقير الجائع ، والغريب الضائع،والأسير المقهور، وذا المال القليل والعيال الكثير ، وأشباهَ ذلك في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سائلي عنهم ،وأن رسول الله ﷺ حجيــجي فيــهم،فخــفت أن لايقبل الله تعــالى مني معــذرة فيهم،ولاتقوم لي مع رســول الله ﷺ حجة، فــرحمت والله يافاطمــة نفسي رحمــة دمعت لها عــيني،ووجع لها قلبي، فــأنا كلما ازددت لها ذكرًا ازددت منها خوفا، فاتَّعظي إن شئت أو ذَرِي [1].

وهذا تقدير بالغ من عــمر رحمه الله للمــسئولية التي تحــملها ، حيث تذكر ضعفاء المسلمين وأصــحاب الحاجات، بالرغم مما يبذله من جهد متواصل في التعــرف على أحوال الأمة، ولكن لما كان هذا الأمر غيــر محصــور خشي أن يكون قد بقي من المسلمــين من لم تُرفع إليه

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبــد الحكم / ١٧٠ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٦٠ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٩٧/٤٥ .

حاجته ، فيكون مسئولا عنه .

وفي تذكُّره للحساب والجنة والنار دليل على عمق إيمانه بالغيب حتى أصبح أمامه كالمشاهد ، فأصبح ذلك دافعًا له إلى العدل والرحمة، والمبالغة في تفقد أحوال الأمة .

وفي بكائه الشديد دلالة على عظمة خوفه من الله عز وجل، وقد عصمه الله تعالى بهذا الخوف من الزلل، فارتفع بفكره وسلوكه عن المغريات ، وقوي أمام جميع التحديات ، فكلما عظم عليه خطب مجابهة الناس تذكر النار والحساب فهان عليه كل خطب عظيم، وصغر في نظره كل أمر جسيم .

خبره مع الخوارج :

قال المؤرخ أبو الحسن محمد بن الأثير : في هذه السنة - يعني سنة مائة - خرج شوذب - واسمه بسطام - من بني يشكر في جوفي، وكان في ثمانين رجلا ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد عامله بالكوفة :أن لايحركهم حتى يسفكوا دما ويفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا وجه إليهم رجلا صليبا حازما في جند ، فبعث عبد الحميد محمد بن جرير البجلي في ألفين،وأمره بما كتب به عمر.

وكتب عمر إلى بسطام يسأله عن مخرجه ، فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لايتحرك، فكان في كتاب عمر: بلغني أنك خرجت غضبا لله ولرسوله ولست أولى بذلك مني فهلم إلي أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك .

فكتب بسطام إلى عمر : قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك ، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشيًا اسمه عاصم ورجلا من بني يشكر ، فقدما على عمر بخناصرة فدخلا إليه فقال لهما : ما الذي أخرجكما هذا المخرج وما الذي نقمتم ؟ فقال عاصم: مانقمنا سيرتك إنك لتتحرى العدل والإحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر أعن رضى من الناس ومشورة أم ابتززتهم أمرهم؟ فقال عمر: ماسألتهم الولاية عليهم ولاغلبتهم عليها،وعهد إلي رجل كان قبلي فقمت ولم ينكره علي أحد ولم يكرهه غيركم، وأنتم ترون الرضى بكل من عدل وأنصف مَنْ كان من الناس، فاتركوني ذلك الرجل فإن خالفت الحق ورغبت عنه فلاطاعة لي عليكم.

فقالا : بيننا وبينك أمر واحد قال : ماهو ؟ قالا : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم فإن كنت على هدى وهم على الضلالة فالعنهم وابرأ منهم ، فقال عمر . قد علمت أنكم لم تخرجوا طلبا للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فاخطأتم طريقها إن الله عز وجل لم يبعث رسوله ﷺ لعانا ، وقال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) وقال الله عز وجل :﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾(٢) وقد سميت أعمالهم ظلمًا وكفى بذلك ذما ونقصا ، وليس لعن الذنوب فريضة لابد منها فإن قلتم : إنها فريضة فأخبرني متى لعنت

(١) إبراهيم / ٣٦ .

(٢) الأنعام / ٩٠ .

فرعون ؟ قال: ماأذكر متى لعنته قال : أفيسعك أن لاتلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ولايسعني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون ؟

قال : أما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا لأن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى الإيمان فكان من أقر به وبشرائعه قبل منه فإن أحدث حدثا أقيم عليه الحد ، فقال الخارجي : إن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده ، قال عمر : فليس أحد منهم يقول : لاأعمل بسنة رسول الله ﷺ ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم على علم منهم أنه محرم عليهم ولكن غلب عليهم الشقاء .

قال عاصم : فابرأ مما خالف عملك ورد أحكامهم قال عمر : أخبرني عن أبي بكر ، وعمر أليسا على حق ؟ قالا : بلى قال : أتعلمان أن أبا بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم وسبى الذراري وأخذ الأموال ؟ قالا : بلى قال : أتعلمون أن عمر رد السبايا بعده إلى عشائرهم بفدية ؟ قالا : نعم قال : فهل برئ عمر من أبي بكر؟ قالا : لا ، قال : أفتبرؤون أنتم من واحد منهما ؟ قالا : لا .

قال : فأخبرني عن أهل النهروان وهم أسلافكم هل تعلمان أن أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دما ولم يأخذوا مالا . وأن من خرج إليهم من أهل البصرة قتلوا عبد الله بن خباب وجاريته وهي حامل؟ قالا: نعم قال : فهل برئ من لم يقتل ممن قتل واستعرض؟ قالا : لا، قال : أفتبرؤون أنتم من أحد من الطائفتين ؟ قالا : لا ، قال : أفيسعكم أن تتولوا أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد

علمتم اختلاف أعمالهم ولايسعني إلا البراءة من أهل بيتي والدين واحد؟ فاتقوا الله فإنكم جهال تقبلون من الناس ماردَّ عليهم رسول الله ﷺ وتردُّون عليهم ماقبل ، ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده، فإنكم يخاف عندكم من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وكان من فعل ذلك عند رسول الله آمنا وحقن دمه وماله وأنتم تقتلونه ، ويأمن عندكم سائر أهل الأديان فتحرمون دماءهم وأموالهم .

فقال اليشكري : أرأيت رجلا ولي قوما وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده إلى رجل غير مأمون أتراه أدى الحق الذي يلزمه لله عز وجل أو تراه قد سلم ؟ قال عمر : لا قال : أفتُسْلم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك وأنت تعرف أنه لايقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولاه غيري والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي ، قال : أفترى ذلك من صُنع من ولاه حقا ؟ فبكى عمر وقال : أنظراني ثلاثا .

فخرجا من عنده ثم عادا إليه فقال عاصم : أشهد أنك على حق فقال عمر لليشكري : ماتقول أنت ؟ قال : ماأحسن ماوصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بأمر ، أعرض عليهم ماقلت وأعلم ماحجتهم، فأما عاصم فأقام عند عمر فأمر له عمر بالعطاء فتوفي بعد خمسة عشر يومًا، فكان عمر بن عبد العزيز يقول : أهلكني أمر يزيد وخُصمت فيه فأستغفر الله [1] .

في هذا الخبر تبين لنا بروز أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

---

(١) الكامل في التاريخ ٤/١٥٥ - ١٥٦ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبدالحكم /١٢٧ - ١٣١ ، وتاريخ الطبري ٦/٥٥٥ .

وتفوقه في مجالات عديدة ، منها :

١ - أنه التزم المنهج الإسلامي في معاملة المخالفين، فحينما خرج أولئك الخوارج في عهده لم يسلك معهم طريقة أكثر الولاة الذين سبقوه ، حيث كانوا يعقدون الألوية لقتالهم من غير أن يدخلوا معهم في حوار علمي ، بل أرسل إلى أميرهم وطلب منه أن يحضر لمناظرته، وأبدى استعداده للرجوع عما هو عليه إذا تبين له أن الحق في غيره ، وهذا التنزل مع الخوارج الذين يعتبرون من أعنف المخالفين يدل على تجرده من هوى النفس ، وأن هدفه الأعلى تطبيق الإسلام كما جاء من عند الله تعالى .

٢ - غزارة علمه بالكتاب والسنة والتاريخ ، حيث دخل في حوار مع قوم قد كانوا فرغوا أنفسهم لقضايا علمية محددة خالفوا فيها السواد الأعظم من المسلمين وتعمقوا فيها واستعدوا للجدل والمناظرة حولها، فأفحمهم وقطع حججهم واستطاع أن يؤثر على الرجلين اللذين أوفدوهما حتى اقتنعا برأيه في أغلب القضايا التي ناظراه فيها.

٣ - حينما ناقشه الخارجيان في ولاية يزيد بن عبد الملك وظهر له الحق في ذلك لم يكابر ولم يغير الحقائق، ولم يدافع عن الواقع الذي هو فيه وإن كان باطلا ، بل ظهر منه ما يدل على اعترافه بأن ذلك الأمر باطل ، وقوله « أهلكني أمر يزيد وخُصِمت فيه فأستغفر الله» يدل على أنه كان يرى أن تصحيح ذلك الأمر سيوقع في فتنة كبيرة يترتب عليها سفك دماء المسلمين ، وهو شديد الورع في ذلك .

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الوليد بن مسلم قال، قال الأوزاعي : لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه رجل من

الشُراة[1] يقال له عمرو بأبيات :

قل للمولّى على الإسلام مؤتنفا وقد يرى أنه رثٌّ القوى واهي
إذ رابه معشر عدُّوه مأكلة بنخوة الملك والإسراف والباه
إنا شرينا بدين الله أنفسنا نبغي بذاك إليه أعظم الجاه
ينهى الولاة بحد السيف عن سرف كفى بذاك لهم من زاجر ناهي
وإن قصدت سبيل الحق ياعمرا آخاك في الله أمثالي وأشباهي
وإن لحقت بقوم كنت واعظهم في جور سيرتهم فالحكم لله

قال فأجابه عمر بن عبد العزيز :

ياأيها الرجل المهدي نصيحته إن المحاسن والتوفيق بالله
إن كان أمر من السلطان تنكره فماعرى الدين والإسلام بالواهي
هذا الكتاب كتاب الله نقرؤه مصدق الوحي فينا آمر ناهي
فقد يَزِلُّ الذي يبغى الهدى رهقا عند الشريعة وهو العالم الداهي
الملك ياعمرو ملك الله خالقنا والحكم ياعمرو مردود إلى الله

قال فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه [2].

وهذا الخبر يدل على تفوق أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في إنشاء الشعر حيث رد بهذه الأبيات الشعرية على البديهة، وهي أبيات رصينة في مبناها ومعناها .

---

(١) يعني من الخوارج .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٩٧ .

٤ - جهوده في الدعوة والإصلاح -

من توجيهاته في آداب الصحبة :

إن من مواقف عمر بن عبد العزيز رحمه الله القيام بتوجيه أفراد الأمة نحو السلوك القويم، ومن نماذج ذلك ماجاء في رواية لابن عبد الحكم قال : ولما ولي عمر بن عبد العزيز قام الناس بين يديه ، فقال: يامعشر المسلمين إن تقوموا نقم وإن تقعدوا نقعد ، فإنما يقوم الناس لرب العالمين ، إن الله فرض فرائض وسنَّ سننًا ، من أخذ بها لَحِق، ومن تركها مُحِق، ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس، يوصل إلينا حاجة من لاتصل إلينا حاجته، ويدلنا من العدل إلى مالانهتدي إليه ، ويكون عونا لنا على الحق، ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس ، ولايغتب عندنا أحدا، ومن لم يفعل فهو في حرج من صحبتنا والدخول علينا (١) .

ففي هذا الخبر مثل من تواضع عمر ورغبته الأكيدة في القضاء على العادات الموروثة التي أشبه بها الولاة آنذاك الأكاسرة والقياصرة. . وعزمٌ صارم على العودة بالأمة إلى منهج الخلفاء الراشدين.

وعمر بهذا يحجِّم دافعَيْن قويين يدفعانه إلى مجاراة عشيرته في مظاهرهم . . أولهما طموح النفس نحو الظهور وفرض السلطة والهيبة في قلوب الناس ، وثانيهما : رغبة عشيرته الملحة في الإبقاء

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤١ وانظر البداية والنهاية ٩/٢٠٦، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٥٢ ، وتاريخ دمشق ٤٥/١٦٩ .

على هذه المظاهر ، وتشنيعهم عليه في مخالفة ما كان عليه أسلافه .

ولكنه تغلَّب على هذين الدافعين بحزم وإيمان قوي، وكان الدافع الذي يدفعه إلى التواضع ورفض المظاهر الدنيوية هو خوفه من الله تعالى ورغبته فيما عنده ، وطموح فكره نحو الآخرة وتجاوز المستقبل الدنيوي ، وكان هذا الدافع عنده أقوى بكثير من الجواذب الأرضية، فنجح في إلجام نفسه عن هواها، وإسكات أصحاب المظاهر الخادعة، وتصحيح مفاهيم المجتمع فيما يجب أن يكون عليه الولاة والعلاقة بينهم وبين الرعية .

وفي قوله « إن الله فرض فرائض » بيان لأسباب السعادة والشقاوة الحقيقية في الدنيا والآخرة ، فمن طبقها لحق بركب المتقين في الدنيا ، وأكرمْ به من رفقة صالحة ، وسيق يوم القيامة إلى رضوان الله تعالى والجنة ، وأكرمْ به من مآل وعاقبة .

ثم رسم منهجه الذي يريده ممن يريد صحبته في مجالسه حيث حدد لهم الخصال الخمس التي يريدها منهم ، وكأنه يقول لهم إن عهد النفعيين الذين يصحبون السلطان لتيسير مصالحهم ومصالح عشائرهم قد انتهى ، فمن كان يريد صحبة الأمير فليصحبه للنظر في حوائج المسلمين العامة ، والنظر في رفع مستوى الأمة في مجالات الخير، وتقريب الصلة بينها وبين ولاتها ، وذلك بإيصال حاجة من لايستطيع الوصول بنفسه ، وكم في الأمة من أمثال هؤلاء الذين يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لايستطيع أن يجاوز بها محيط أسرته، والذين يقومون بذلك هم من روَّاد الإصلاح في المجالين: مجال

المسئـولين :حيث يعينونهم على أداء مسـئوليتهم في أمـور قد لاتصل إليهم وهم مـسئولون عنها ، وفـي مجال أولئك المغمـورين الذين قد لايصلون إلى قضاء حوائجهم إلا بمثل هؤلاء المصلحين.

إن الذين يبذلون جاههم لوجه الله تعالى قليل ، وإذا فعلوا ذلك فربما بدؤوا وسـاطة الخيـر ثم قد لايكملونهـا، وكأنما أرادوا مـجاملة صـاحب القضـيـة ورأوا أن ماقـاموا به يكـفي في ذلك، ولكنهم في الحقيقة لم يصنعوا له شيئًا إذا لم يساعدوه على نجاح قضيته، أما الذين يريدون وجه الله تعالى فإن الذي يهمـهم هو النظر في إسعاد إخوانهم المسلمين والسعي في إنهـاء قضاياهم ليحـصلوا على ثواب الله العظيم الذي بذلوا جاههم من أجله .

وفي الخصلة الثانية يوصي عمر من أراد صحبته أن يدلَّه من العدل إلى ما لا يهـتدي إليه ، وهي رغـبة صادقـة من عمر رحـمه الله في الوصول إلى كمـال العدل ، فبالرغم من اجتـهاده في ذلك فإنه يدرك أن الحاكم قد تخْفَى عليه بعض جوانب العدل ، فإذا كان أصحابه من المهتمين بهذا الجانب ، وقد أدركوا رغـبته في ذلك فإن أفكارهم تَتَفَتَقَّ على جوانب من العـدل قد لاتخطر ببـال ذلك الوالي وإن كان عظيم الاهتمـام بالعدل لأنه لايملك إلا فكرًا واحدًا ، لكنه حـينما يجنِّد من حوله لخـدمة هذه القضيـة التي وقف عليها حـياته فإنه سيـملك نتاج أفكار كثيرة، تُهدي إليه من درر النصائح مالايخطر له على بال .

وهكذا كانت عظمـة العظماء من الأمراء والقادة الذين رفـعوا في حياتهم قـضية كبرى ، ووجـهوا كل اهتماماتهم واهتـمام من حولهم

نحو هذه القضيــة ، فإنهم ينجحون في قضيتهم غــالبا ، سواء كانت من قضايا الدنيا البــحته أو من قضايا الدنيا والآخــرة ، بسبب مشورة الناصحين الذين يجندون عقولهم لخدمة تلك القضية .

وفي الخصلة الثـانية يقـول « ويكون لنا عونا على الحق » وعُــمَر بهذا يفتح المجال واسعــا أمام روّاد الإصلاح الذين يرون الحق واضحا ويتمنون أن تكون لهم قدرة على تنفيذه ، فـقد فُتح الباب أمامهم في عهد عمــر من أعلى سلطة في البلاد ، ولاشك أن من لديه أيٌّ منهج للإصلاح وتنفيذ الحق سيسارع إلى تلبية هذا النداء ، مستفيداً من ذلك التعاون المتبادل بين الراعي والرعية .

ثم يقول « ويؤدي الأمانة إلينــا وإلى الناس » ، فأداء الأمانة دليل على قــوة الإيمان وطــهــارة النفس من الأنانيــة وحب الــدنيــا ،وعلى طموحهــا إلى ابتغاء رضوان الله تعالى والسعــادة الأخروية،وذكر أداء الأمــانة إلى الناس لبيان أصــالة الأمانــة واشتــمال صــاحــبهــا على الإخلاص،لأن من يؤدي الأمــانة لأصحــاب السلطة ولايؤديها لعــامة الناس،قد يفعل ذلك خوفا من صاحب السلطة ومراءاة له،لكن حينما يكون أمينا مع عموم الناس فإن هذا يدل على إخلاصه لله تعالى .

ثم قال « ولايغــتب عندنا أحدا » وهذه الخصلة من الخــصال التي أوصى بها العباس ابنه عــبد الله رضى الله عنهما في مجالســته لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حتى تظل ثقته به قائمة .

وذلك أن من تكلــم في الآخــرين عند المسئــــولين فــهــو رجل وُصولي، يحاول الوصول إلى كسب ثقة المســئول على حساب تجريحه

لأعراض إخوانه المسلمين ، وهؤلاء الذين يغتابون الناس عند المسئولين هم من النوع الذي يستهويه المجد الدنيوي ويريد الوصول إليه بدون تضحية ولانصب ، فتلوح لهم أعراض إخوانهم كطريق سهل للوصول، ويجدون أحيانًا آذانًا صاغية ورغبة في الاستزادة فلايبالون في رمي جثث إخوانهم والتسلق عليها للوصول إلى أهدافهم الدنيوية .

ولقد كان اختيار أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز موفقا في هذه الشروط التي اشترط توفرها فيمن يريد صحبته، وختْمها بهذا الشرط دليل على فقهه الاجتماعي ، وإدراكه العميق لما للغيبة من آثار سيئة، خاصة في العلاقة بين الحاكم والمحكومين وهو المجال الذي اهتم به عمر وحدّد هذه الشروط من أجله .

من تذكيره بالآخرة:

إن من مواقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله في الدعوة قوله في خطبة له : إني لم أجمعكم لأمر أحدثته ، ولكني نظرت في أمر معادكم وما أنتم إليه صائرون فوجدت المصدِّق به أحمق، والمكذب به هالكا ، ثم نزل [1] .

وهذه خطبة بليغة على قصرها، فإنها تذكرة حية بمصير الإنسان بعد الموت، فالذي يؤمن بالبعث بعد الموت وماقبله من عذاب القبر ونعيمه ومابعد ذلك من الحساب والمصير إلى النعيم الدائم أو إلى الشقاء الدائم، ثم لايُعدُّ العدة الكافية لذلك اليوم يعتبر حقا أحمق، حيث لم يستعمل عقله في الإعداد لمستقبله بعد الموت مع إيمانه بما سيكون فيه .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٢ .

أما المكذب به فهـو هالك لأن من كذب بالبعث فهو كـافر مخلد في النار يوم القيامة .

من جهوده في تصحيح المفاهيم الخاطئة :

إن من مظاهر العظمة في حـياة أميـر المؤمنين عمر بن عبـدالعزيز رحمه الله أنه جـمع بين السياسة الواعية العـادلة والعلم والدعوة فمن مواقـفه في الدعوة قـوله في إحدى خطبـه : أما بعد أيهـا الناس فلا يطولنَّ عليكم الأمد، ولايبعدَنَّ عليكم يومُ القيامة ،فإن من وافته منيته فقد قامت قيامته، لايَستَعْتب من سيء ولايزيد في حسن، ألا لاسلامة لامرئ في خلاف السنة ،ولاطاعة لمخلوق في معصية الله ، ألا وإنكم تعدُّون الهارب من ظلم إمامه عاصيا، ألا وأن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم ، ألا وإني أعـالج أمـرًا لايعين عليه إلا اللـه ، قد فني عليـه الكبير ، وكبـر عليه الصغير ، وفصح عليه الأعـجمي ، وهاجر عليه الأعرابي ، حتى حسبوه دينا لايـرون الحق غيره، ثم قال : إنه لحبيب عليَّ أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ولاقوة إلا بالله (١) .

ففي هذه الخطبـة يُذَكِّر عمـر بن عبد العـزيز المسلمين بقرب يوم القيـامة ، فإن من وافتـه منيته فقـد قامت قيامـته ، فلينظر إلى الموت الذي قد يفاجئه في أية لحظة ، وحينهـا لايستطيع أن يعتذر من أعماله السيئة التي سوَّد بها صحيفته ، ولايستطيع أن يستزيد من عمل صالح يبيِّض به صحيـفته ، ويندم حينما لاينفع الندم على مـافاته في حياته يوم أن كان قادرًا على التوبة النصوح والتزود بالعمل الصالح .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٣ .

ثم يبين أن السلامــة كل السلامة في اتبــاع سنة رسول الله ﷺ، وهذا بيان لأحد عنصري العمل الـصالح ، وهما الإخلاص لله تعالى ومتابعــة السنة ، وهو بهذا يعالج واقعًا لاينقص العمــلَ فيه الإخلاصُ وإنما ينقصه اتباعُ السنة ، حيث فشت البدع بعد انقراض عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وفـســادُ بعض الولاة الذين يحــاربون بعض السنن التي لاتتفق مع أهوائهم .

ثم يبين أحد العواصم الـتي تعصم من انتشار البدع وفـساد أمور الأمة حيث يقول « ولاطاعة لمخلوق في مـعصية الله » فإذا كان بعض الولاة قد تسوِّل لهم نفــوسهم الأمارة بالسوء أو مـجاملة الآخرين بأن يأمروا الناس بمعصية الله تعــالى ، أو يمهدوا السبل لذلك فإنه لاطاعة لهم ،وبهذا ينقطع سبب مهم من أســباب سريان تلك المخالفات وهو ما لولاة الأمر من طـاعة على الأمة ، فإذا تحددت هذه الطـاعة بطاعة الله تعالى لم يكن لهوى النفوس تأثير على انـتشار الفساد في المجتمع وتصبح الكلمة لأهل الإصلاح .

ثم يبين أن ماجرى عليه العرف من اعتبار الهارب من إمامه الظالم عاصــيا ليس له اعتبــار في النظر الشرعي ، لأن تصرفــه هذا هو أحد الأســبــاب التي يتــخذها لـلخلاص من الـظلم ، وأَوْلَى من يوصف بالمعصية من وقع منه الظلم .

وكون عمر يبين هذا وهو في أعلى مــوقع من المسئولية دليل على تجرده من حظ النفس ومن العصبية للقرابة وإخلاصه لله تعالى .

ثم يصف الواقع الاجتماعي الذي اخـتلطت فيه العادات بالدين،

والبدع بالسنن ، ونشأ عليه أفراد المجتمع ، وتربّى على توجيهه من أسلم من العجم ، ومن هاجر من الأعراب حتى حسبوه هو الدين، وحينما يختلط العرف الاجتماعي فيتسرب إلى العرف الإسلامي بعض الأعراف الجاهلية فإن ذلك يؤثر على تربية أفراد المجتمع، وتَتَشرَّبُه قلوبهم لأن الأعراف الجاهلية تميل إلى تلبية أهواء النفوس وإن كانت منحرفة جائرة ، فيصعب بعد ذلك على المصلحين أن يخلِّصوا العرف الاجتماعي الإسلامي من تلك الأخلاط المتسرِّبة المتراكمة على مر الزمن ، لأن كل انحراف له أنصاره ومؤيدوه ، وليس كل أفراد المجتمع يفهمون الأمور على حقيقتها ، وحينما يقوم المصلحون بمحاولة التنقية يقوم دعاة السوء بتشويه إصلاحهم ودعوة الناس إلى البقاء على الموروثات ، لأن كونها موروثات يعطيها في نظر بعض الناس شيئًا من القداسة ، ولكن حينما يَنْبُع الإصلاح من أعلى قمة في المسئولية كما هو الحال في عهد عمر بن عبد العزيز فإن نتائج الإصلاح تكون كبيرة وسريعة المفعول ، لأن معه ماخوَّله الله تعالى من طاعة الرعية مادام في طاعة الله تعالى إلى جانب قوة السلطان المعهودة .

إنكاره العصبية القبلية :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الضحاك بن عبد الرحمن، وكان مما جاء في كتابه : إن ما هاجني على كتابي هذا أمر ذُكر لي عن رجال من أهل البادية ، ورجال أَمِروا حديثًا ، ظاهر جفاؤهم، قليل علمهم بأمر الله اغتروا فيه بالله غرة عظيمة ، ونسوا فيه بلاءه نسيانًا عظيمًا ،

وغيروا فيه نِعَمَه تغييراً لم يكن يصلُح لهم أن يبلغوه، وذُكر لي أن رجالاً من أولئك يتحاربون إلى مُضَر وإلى اليمن، يزعمون أنهم ولاية على من سواهم ، وسبحان الله وبحمده ماأبعدهم من شكر نعمة الله، وأقربهم من كل مهلكة ومذلة وصُغُر، قاتلهم الله أيةَ منزلة نزلوا، ومن أي أمان خرجوا، أو بأيٍ أمر لصقوا، ولكن قد عرفت أنَّ الشقي بنيَّته يشقى ، وأن النار لم تُخلق باطلاً. أو لم يسمعوا إلى قوله الله في كتابه ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [1]وقوله ﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2] وقد ذكر لي مع ذلك أن رجالاً يتداعون إلى الحلف، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحلف وقال لاحِلْف في الإسلام قال : وماكان من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلاّ شدة فكان يرجو أحد من الفريقين حفظ حلفه الفاجر الآثم الذي فيه معصية الله ومعصية رسوله، وقد ترك الإسلام حين انخلع منه وأنا أحذر كل من سمع كتابي هذا ومن بلغه أن يتخذ غير الإسلام حصنًا، أو دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين وَليجة، تحذيراً بعد تحذير ، وأذكرهم تذكيراً بعد التذكير وأشهد عليهم الذي هو آخذ بناصيةَ كل دابَّة ، والذي هو أقرب إلى كل عبد من حبل الوريد، وإني لم آلُكمْ بالذي كتبت به إليكم نصحًا ، مع أني لو أعلم أن أحدًا من الناس

(١) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

يحرّك شيـئًا ليؤخذ له به . أو ليدفع عنه، أحرصُ- والله المستعان - على مَذلتـه مَن كان : رجلاً أو عشـيرةً أو قبيلة أو أكـثر من ذلك ، فـادعُ إلى نصيـحتي ومـاتقدمت إليـكم به ، فإنه هو الرشـد ليس له خفاء، ثم ليكـن أهل البر وأهل الإيمان عونًا بألسنتهم، وإن كـثيرًا من الناس لايعلمون . نسأل الله أن يخلف فيما بيننا بخير خلافة في ديننا وأُلفتنا وذات بيننا والسلام (١) .

في هذا الكتاب يعالج أمـير المؤمنين عمر بن عبد العـزيز انحرافا خطيرًا طرأ على المجتمع الإسلامي آنذاك ، وهو أن طائفة من المسلمين الذين لم يتـمكـن الإيمان من قلوبهم ، ولم تعـمـر أفكـارهم بالعلم الشرعي، قد اتخـذوا لأنفسهم علاقات من روابط الجـاهلية التي تقوم على القبائل والعشائر، فيـعطي الواحد منهم ولاءه لقبيلته سواء بالحق أو بالباطل وسواء بالعـدل أو بالظلم ، ويجعل من قبيلته قضـية يهتم لها ويدافع عنها ويدعو لها ، وقد أغفلوا بذلك الرابطة الإسلامية التي شرف الله تعالى العرب بها ، حتى أصبحوا بها إخوة في الله متحابين بعد أن كانوا أعداء متحاربين ، وسادوا بجماعتهم العالم .

وقد استـفحلت هذه القضية حتـى أصبح بعض المجاهدين الذين خرجوا من بلاد العـرب للجهاد في سبيل الله تعـالى يتحاربون بينهم بدعوى قبليَّة ، مما سبب تأخرًا في تقدم الجهاد ، وجرأ أصحاب البلاد المفتوحـة على الانتقاض على المسلمين مرة بعـد مرة ، ووصلت الحال في بعض البلاد إلى أنه كلما تولى رجل له قـبيلة في تلك البلاد قرب

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم /١٠٣ - ١٠٦ .

أفراد قبيلته وقواهم وتقوى بهم ، فتحدث الفتنة وتثور القبائل الأخرى، و ماذاك إلا بسبب طرح رابطة الإسلام التي هي نعمة كبرى على المسلمين ، وإتخاذ الروابط الجاهلية بديلا عنها .

اهتمامه بشكر النعمة :

لقد تفوق عمر بن عبد العزيز بالعلم والاهتمام بالدعوة، فمن ذلك أن عديَّ بن أرطأة واليه على البصرة كتب إليه يقول: لقد أصاب الناسَ من الخير خيرٌ حتى خشيت أن يبطُروا ،قال : فكتب إليه عمر: إن الله تبارك وتعالى حين أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رضي من أهل الجنة بأن قالوا ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾[1] فمُرْ من قِبَلك أن يحمدوا الله [2].

وهذا يعتبر إدراكًا عاليًا من عمر رحمه الله لشكر نعمة الله تعالى، وهو مثل من فهمه العالي لتوحيد الله جل وعلا، فإن النعمة مهما كثرت فإنه لاضرر منها على توحيد المسلم مادام حامدا لله تعالى، شاكرًا لأنعمه ، بل إن زيادة النعمة تقتضي زيادة الحمد والشكر فيزداد العبد التقي إيمانًا وعملا صالحا .

واستشهد عمر رحمه الله بقول أهل الجنة ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ وقد وفق في ذلك ، فليكن المسلم في الدنيا على سَنَن

---

(١) الزمر / ٧٤ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٩ .

أهل الجنة في الحمد والشكر ، حيث إن الله تعالى سيوفق أهل الجنة إلى أعلى المقامات .

اهتمامه بتعليم أهل البادية :

اهتم عمر بن عبد العزيز بدعوة أهل البادية إلى الإسلام وتعليمهم، ومن أمثلة اهتمامه بهذا الجانب إرساله يزيد بن أبي مالك والحارث بن محمد إلى البادية ليعلّما الناس السنة، وأجرى عليهما الرزق، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث وقال : ماكنت لآخذ على علم علّمنيه الله أجراً فَذُكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال: مانعلم بما صنع يزيد بأسا ، وأكثر الله فينا مثل الحارث (١) .

وهذا دليل على فقه عمر حيث أقر يزيد بن أبي مالك على أخذ المساعدة المادية ، لأنها في مقابل تفرغه لتعليم العلم حتى لايكون مضطراً إلى العمل في طلب الرزق فيشغله ذلك عن التعليم، وحيث أثنى على الحارث بن محمد على ورعه وطلبه الكمال في دينه .

وإن موقف الحارث هذا يعتبر مثلا جيداً من أمثلة الورع وشكر النعمة حيث اعترف بنعمة الله عليه بالعلم وعرف أن مِن شُكْرِ ذلك أن يهب علمه لمن شاء بلا أجرة ولامكافأة من الدولة .

اهتمامه بالدعوة إلى الإسلام :

إضافة إلى ما تقدم ذكره من أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٦٠ لابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٦٠ .

قد وضع الجزية عمن أسلم وماكان لذلك من أثر من دخول الكفار في الإسلام فإنــه قد كتب إلى ملوك الكفار يدعــوهم إلى الإسلام، ومن ذلك ماذكره المؤرخ ابن الأثير في حوادث سنة مائة للهجرة حيث قال: وفيها كتب عمر بــن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين - وقد كانت سيرته بلغتهم - فأسلم جيسيه بن داهر [1].

وماجاء في هذه الرواية من ذكــر ملوك السند المقصود بهم من لم يدخلوا في الإسلام قــبل ذلك ، والمعروف في فــتوح السند أن ملوك السند قــد دخلوا في الإسلام مــاعدا جــيســيه بن داهر الذي فــر إلى كشمير، فلعل صواب الرواية أن عــمر بن عبد العزيز كتب إلى ملوك السند والهند .

وقد جاء في خــبر ذكره ابن تَغْرِي بَرْدِي مــايؤيد ذلك حيث قال: قال ابن عساكر : كتب ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز: من ملك الهند والسند ملك الأمــلاك، الذي هو ابن ألف ملك وتحتــه ابنة ألف ملك، والذي في مملكتــه نهران يُنبــتان العــود والكافور والأكــرة التي يوجد ريحها من اثني عشر فرسخا، والذي مربطه ألف فيل وتحت يده ألف ملك إلى ملك العرب :

أمـا بعد : فــإن الله قــد هداني إلى الإســلام فابعث إليّ رجــلا يعلمني الإسلام والقرآن وشــرائع الإسلام، وقد أهديت لك هدية من

(١) الكامل في التاريخ ٤/ ١٦٠ ، وقــد جاء اسم هذ الملك في الكامل جيشــبة بن زاهر، وهو خطأ والصواب ماأثبته كما تقدم كثيرًا في فتوح السند .

المسك والعنبر والند والكافـور فاقبلها ، فـإنما أنا أخوك في الإسلام، والسلام [1].

ومن أخبار انتشار الإسلام بين الكفار في عهد عمر بن عبد العزيز بسبب دعوته مـاذكره البلاذري في أخبار فـتح المغرب والأندلس قال: ثم لما كـانت خلافـة عـمر بن عـبد العـزيز رحـمه الله ولى المغـرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجـر مولى بني مخزوم، فسار أحسن سيرة ، ودعـا البربر إلى الإسلام، وكتب إلـيهم عمر بن عبـد العزيز كتـباً يدعـوهم بَعْدُ إلى ذلك، فـقرأها إسمـاعيل عليـهم في النواحي فغلب الإسلام على المغرب [2].

وهكذا استثمر أمير المؤمنين عمـر بن عبد العزيز الفتوح الإسلامية التي سبقـته للدعوة إلى الإسلام ، فـإن دخول الناس في الإسلام هو الهدف من تـلك الفتوحـات، ولقد كـان تجبُّر بعض الولاة الـسابقين وظلمهم من أسباب تعويق انتشـار الإسلام، لأن الجهاد ماهو إلا فتح طرق لنشر الإسـلام ، وذلك بإزالة الحكومات الطاغيـة التي تحول بين شعوبها والتعرف على الإسـلام ، فإذا فتح الطريق وزالت العوائق فإن الأمم تنجذب إلى الإسلام بقدر ماترى من أخلاق أمة الإسلام وعدالة حاكمـيها، ولقد كان عمـر بن عبد العزيز في قمـة الأخلاق والعدالة واختـار ولاة اجتهـد في انتقائهم ليـمثلوا الإسلام ويدعـوا الناس إليه بأقوالهـم وأفعالهم ، فكـان لذلك نتائج طيـبة في إقبـال الناس على الدخول في الإسلام .

---

(١) النجوم الزاهرة ١/ ٢٤٠ .

(٢) فتوح البلدان / ٣٢٤ .

اهتمامه بإصلاح المجتمع :

لم يقتصر اهتمام عمر بن عبد العزيز على الدعوة ، بل كان اهتمامه كبيرًا بإصلاح المجتمع والأمر بإزالة مايتفشَّى فيه من المنكرات، وقد كَتَب في ذلك إلى أحد ولاته كتابًا طويلا بليغًا ، نورد بعض فقراته لأهميته وعظيم فائدته ، وفيه يقول : أما بعد فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم لم ينههم أهل الصلاح منهم إلا أصابهم الله بعذاب من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده، ولايزال الناس معصومين من العقوبات والنِّقَمات ماقُمِع فيهم أهلِ الباطل ، واستخفي فيهم بالمحارم ، فلا يَظْهَرُ من أحدٍ منهم محرَّمٌ إلا انتقموا ممن فعله، فإذا ظهرت فيهم المحارم فلم ينههم أهل الصلاح نزلت العقوبات من السماء إلى الأرض على أهل المعاصي والمداهنين لهم، ولعل أهل الإدهان أن يهلكوا معهم وإن كانوا مخالفين لهم ، فإني لم أسمع الله تبارك وتعالى فيما نزَّل من كتابه عند مَثُلَة أهلك بها أحدًا نجَّى أحدًا من أولئك ، إلا أن يكونوا الناهين عن المنكر ، ويسلط الله على أهل تلك المحارم إن هو لم يُصبْهم من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده من الخوف والذل والنِّقَم ، فإنه ربما انتقم بالفاجر من الفاجر وبالظالم من الظالم ، ثم صار كلا الفريقين بأعمالهما إلى النار ، فنعوذ بالله أن يجعلنا ظالمين ، أو أن يجعلنا مداهنين للظالمين .

وإنه قد بلغني أنه قد كثر الفجور فيكم وأَمِنَ الفسَّاق في مدائنكم وجاهروا من المحارم بأمر لايحب الله تعالى مَنْ فعله، ولايرضى المداهنة فيه ، كان لايُظهِر مثلَه علانيةً قوم يرجون لله وقارًا ،

ويخافون منه غيَرا ، وهم الأعـزون الأكثرون من أهل الفجور، وليس بذلك مضى أمر سلفكم ، ولابذلك تمت نعـمة الله تعالى عليهم، بل كانوا كمـا قال الله تعالى ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ (١) ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ﴾ (٢) ولعمري إن من الجهـاد في سبيل الله الغلظة على أهل محارم الله تعالى بالأيدي والألسن والمجاهدة لهم فيه، وإن كانوا الآباء والأبناء والعشائر ، وإنما سبيل الله طاعته .

ولقد بلغني أنه بطـأ بكثير من الناس عن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر اتقـاء التلاوم أن يقـال : فلان حـسن الخلق قليل التكلُّف، مقبل على نفسه ، ومـايجعل الله أولئك أحاسنكم أخلاقًا، بل أولئك أسوأكم أخلاقا ، وماأقبل على نفـسه من كان كذلك، بل أدبر عنها، ولاسلم من الكلفة لها بل وقـع فيها ، إذ رضي لنفسه من الحـال غير ماأمر الله أن يكون عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) .

ففي هذا الكتاب المهم يبين عمر بن عـبد العزيز رحمه الله تعالى سنة الله جل وعلا التي لاتتـخلف ، وهي أن أيَّ مجتمع يجـاهر فيه أهل الفساد بمعـاصيهم، ثم لاينهاهم أهل الصـلاح ولاينكرون عليهم فلابد أن يصيـبهم الله تعالى بإحدى ثلاث : أن يصيـبهم الله بعذاب من عنده، أو أن يصيبَهم بعذاب على أيدي من يشاء من عباده ، وقد يكون هؤلاء من الظلمة الجبارين فينتـقم الله بهم من العصاة الفجار،

---

(١) سورة الفتح / ١٩ .

(٢) سورة المائدة / ٥٤ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٠ .

أو يصيبَهم الله بالخوف والذل وأنواع النِّقم والمصائب .

ويبين عمر في هذا الكتاب أن السكوت عن أهل المعاصي المجاهرين ليس من عمل الصحابة رضي الله عنهم، بل قد وصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على المخالفين المجاهرين بالمعاصي .

ويذكر أن من الجهاد في سبيل بالله تعالى الغلظة على منتهكي محارم الله والانكارَ عليهم بالأيدي والألسن وإن كانوا من أقرب الأقارب ، وهذا التوسع في معنى الجهاد له أدلته الشرعية، مثل قول الله جل وعلا ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ (١) وإنما يكون جهاد المنافقين بالإنكار عليهم والشدة في معاملتهم ، ومثل ماجاء في قول رسول الله ﷺ «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (٢) .

ويصحح عمر في هذا الكتاب مفهومًا خاطئًا عند بعض الناس، وهو وصفهم القاعد عن إنكار المنكر بأنه حسن الخلق قليل التكلف مقبل على نفسه ، حيث يبين أن هذا سيء الخلق، حيث تعامل مع المخالفين بالسلبية وعدم المبالاة مع أنهم بحاجة إلى الشفقة والرحمة ، وإنما يظهر ذلك بمحاولة إصلاحهم ، ويَرُدُّ على قولهم بأنه قليل التكلف مقبل على نفسه بأنه لم يقبل على نفسه بمحاولة إنقاذها من النار ورفع درجتها في الجنة ، بل أقبل على هلكتها، حيث إن

(١) سورة التحريم / ٩ .

(٢) ذكره التبريزي في مشكاة المصابيح من رواية أبي داود والنسائي والدارمي، وصححه الألباني - ٢/ ٣٥٥ رقم ٣٨٢١ - .

السكوت عن الإنكار معـصية يحاسب عليـها مرتكبهـا وقد توردهٌ إلى النار ، وإذا كان في مـفهـوم الناس أن الساكت قليل التكلف فـإنه قد تكلف أمرًا عظيمًا حيث خـالف أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بما وجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكانت كتب عـمر بن عبد العـزيز كلها في إصلاح المجتـمع كما جاء في خبر إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: ماكان يقدم على أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة أو إحياء سنة أو إطفاء بدعـة أو قَسْم أو تقدير عطاء أو خيـر ، حتى خرج من الدنيا [1].

وهذا يبين لنا ضـخـامة المجـهود الإصـلاحي الذي قـام به أميـر المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

ويبين رحمه الله شدة اهتمامه بالإصلاح وحماسه له بقوله : فلو كان كـل بدعة يميـتها الـله تعالى على يدي، وكل سنة ينـعشهـا الله سبحـانه على يدي ببضعة من لحمي حـتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا [2].

إباحته المراعي العامة للأمة :

أخرج ابن سعـد من خبر إسماعـيل بن أبي حكيم : أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف أباح الأحماء كلها إلا النقيع [3] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ٥/ ٣٤٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٥ .

وأخرج أيضا من خبر عبد الرحمن بن حسن عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب : فما حُمي من الأرض أن لايُمنع أحد مواقع القطر، فأبِح الأحماء ثم أبحها (١).

والحمى هو جزء من أرض المراعي يُحَمى لشخص أو قبيلة أو أي جهة أخرى، وقد كان الحمى في عهد الخلفاء الراشدين لمصالح الأمة العامة كمواشي الصدقة، ثم توسع الناس بعد ذلك في الحمى فصار بعض الأحماء لمصالح خاصة، فلما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز أبطل الأحماء الخاصة ولم يبق إلا مافيه مصلحة للأمة عامة، وهذا من إصلاحاته الكبيرة حيث أتاح الفرصة لأفراد الأمة للاستفادة من المراعي العامة .

توجيهه إلى الإمساك عما جرى بين الصحابة :

من إصلاحاته الفكرية أنه نهى الناس عن الخوض في الخلاف الذي جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، كما أخرج ذلك محمد بن سعد من خبر محمد بن النضر قال : ذكروا اختلاف أصحاب محمدﷺ عند عمر بن عبد العزيز فقال : أَمْرٌ أخرج الله أيديكم منه ماتُعمِلون ألسنتكم فيه ؟!(٢)

وهذا الذي وجَّه إليه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو الذي اعتمده أهل السنة والجماعة من عدم الخوض فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم من القتال والكف عن الحديث في ذلك .

---

(١) المرجع السابق ٥/ ٣٨١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٢ .

إبطاله سب عليّ على المنابر :

أخرج ابن سعد من خبر لوط بن يحيى الغامدي قال: كان الولاة من بني أمية قبل عـمر بن عبد العزيز يشتمون عليّـا رحمه الله، فلما ولي عمر أمسك عن ذلك ، فقال كُثَيِّر عزة الخزاعي:

وَلِيتَ فلم تشتم عليّا ولـم تُخـف بـريّا ولـم تتبع مقـالة مجـرم
تكلـمتَ بـالحـق المبـين وإنمـا تَبَيَّنُ آيات الـهـدى بالتكـلُّم
فصدَّقتَ معروف الذي قلت بالذي فعلت فأضحى راضيا كل مسلم(١)

وذكر المؤرخ ابن الأثير أن عمر بن عـبد العزيز قال: وكان أبي إذا خطب فنال من عليّ رضي الله عنه تلجلج فـقلت: ياأبت إنك تمضي في خطبـتك فإذا أتيت على ذكـر علي عـرفت منك تقصـيرا، قـال: أوَفطنت لذلـك ؟ قلت : نعم ، فـقـال: يابني إن الـذين حـولنا لو يعلمون من علي مانعلم تفرقوا عنا إلى أولاده .

قـال : فلمـا ولي الخلافـة لم يكن عنده مـن الرغبـة في الدنيـا مايرتكب هذا الأمـر العظيم من أجله فترك ذلك ، وكتب بتـركه وقرأ عوضه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ [النحل: ٩٠] فحل هذا الفعل عند الناس محلا حسنا وأكثروا مدحه بسببه (٢).

اهتمامه بإلغاء الضرائب والجزية عمن أسلم :

ومن أهم إصـلاحات أميـر المؤمنين عـمر بن عبـد العزيز إلـغاء

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٢) الكامل ٤ / ١٥٤ .

الضرائب وإلغاء الجزية عمن دخـل في الإسلام ، وقد كان الولاة قبله فرضوا ضـرائب على المسلمين في أراضيهم وخيولهم وخـدمهم ليزيد دخل بيت المال، كـما فرضـوا الجزية على من أسلم بحـجة أن الناس يدخلون في الإسـلام فرارا من دفع الجزيـة فوضع ذلك كله عـمر بن عبد العزيز ، ومن الأخبار في ذلك ماأخرجه محمد بن سعد من خبر محمـد بن قيس قال : لما ولي عمر بن عـبد العزيز وضع المَكْس عن كل أرض، ووضع الجزية عن كل مسلم (١).

وكذلك ماأخـرجه من خبر مـيمون بن مهـران قال: دخل عامل لعمر بن عبد العزيز فقال: كم جمعتَ من الصدقة ؟ فقال: كذا وكذا، قال : فكم جمع الذي كـان قبلك ؟ قال : كذا وكذا ، فسـمَّى شيئا أكثر من ذلك ، فقال عمر :من أين ذاك؟ قال: ياأمير المؤمنين إنه كان يُؤخذ من الفـرس دينار ومن الخادم دينار ومن الفدَّان خمـسة دراهم، وإنك طرحت ذلك كله، قال: لا والله ماألقيته ولكن الله ألقاه (٢).

وأخرج محمد بن سعد من خبر يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه أن حيان بن شريح عامل عمر بن عبد العزيز على مصر كتب إليه: إنّ أهل الذمة قد أسرعوا في الإسلام وكـسروا الجزية . فكتب إليه عمر: أما بعد فإن الله بعث مـحمدًا داعيًا ولم يبعثه جابـيًا ،فإذا أتاك كتابي هذا فـإن كان أهل الذمـة أسرعوا فـي الإسلام وكسـروا الجزية فـاطْو كتابك وأقبل (٣).

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤٥ .

(٢) المرجع السابق ٥/ ٣٧٦ .

(٣) المرجع السابق ٥/ ٣٨٤ .

وأخرج أيضا من خبر عبد الرحمن بن حسن عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب وهو خليفة إلى عامله على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي يأمره أن يدعو أهل الجزية إلى الإسلام فإن أسلموا قبل إسلامهم ووضع الجزية عنهم، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فقال له رجل من أشراف أهل خراسان: إنّه والله مايدعوهم إلى الإسلام إلا أن توضع عنهم الجزية، فامتحنْهم بالختان. فقال : أنا أردهم عن الإسلام بالختان ؟ هم لو قد أسلموا فحسن إسلامهم كانوا إلى الطهرة أسرع . فأسلم على يده نحو من أربعة آلاف[1].

وهكذا كانت نتيجة وضع الجزية عمن أسلم حيث دخل في الإسلام أربعة آلاف في قطر واحد .

وفي هذا الخبر موقف يذكر للبطل المجاهد الأمير الجراح بن عبد الله الحكمي حيث رفض مشورة ذلك الرجل الخراساني بامتحان من دخل في الإسلام بالختان لأن ذلك يعتبر تنفيرا لهم عن الإسلام .

ومما يبين كثرة دخول الكفار في الإسلام بعد إلغاء ضريبة الجزية عمن أسلم ماذكره الحافظ ابن الجوزي من خبر جابر بن حنظلة الضَّبِّي قال: كتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن العزيز : أما بعد فإن الناس قد كثروا في الإسلام ، وخفت أن يقل الخراج، فكتب إليه عمر: فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حرَّاثين نأكل من كسب أيدينا [2].

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٨٦ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٨١ .

وهذا موقف كبير من مواقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في الدعوة إلى الإسلام ورفع الظلم عن أهل الذمة .

ومما يبين دقة عمر بن عبد العزيز في تطبيق هذا الأمر ماأخرجه ابن سعد من خبر سويد بن حصين : أن عمر بن عبد العزيز كتب: إنْ أسلم والجزية في كفَّة الميزان فلا تؤخذ منه .

وكذلك ماأخرجه من خبر عمرو بن المهاجر عن عمر بن عبد العزيز في الذمي يسلم قبل السنة بيوم قال : لاتؤخذ منه الجزية [1].

ولم يقتصر اهتمام عمر بن عبد العزيز في دخول الكفار في الإسلام على وضع الجزية عمن أسلم، بل تجاوز ذلك إلى رفع مبلغ من المال لبعض زعماء الكفار ليتألفهم على الإسلام، ومن ذلك ماذكره ابن سعد من خبر عيسى بن أبي عطاء رجل من أهل الشام كان على ديوان أهل المدينة عن عمر بن عبد العزيز أنه ربما أعطى المال من يستألف على الإسلام .

وكذلك ماأخرجه من خبر ابن أبي سبرة عن رجل أخبره عن عمر ابن عبد العزيز أنه أعطى بِطْريقًا ألف دينار استألفه على الإسلام [2].

إحياؤه لسنة العطاء :

لقد فرض أمير المؤمنين العطاء السنوي لكل مولود في الإسلام كما جاء في أخبار منها ماأخرجه ابن سعد من خبر سعيد بن مسلم بن بانك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول وهو خليفة : إنه لايحل

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٥٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥٠ .

لكم أن تأخذوا لموتاكـم فارفعوهم إلـينا، واكتبـوا لنا كل منفوس [1] نفرض له [2].

وأخرج عـن محمـد بن عمـر الواقدي قـال: حدثني أبـي قال: ذهبَتْ بي حـاضنتي إلى أبي بكر بن حزم فـوضع في يدي دينارًا وأنا منفوس ، وولدت سنة مـائة ، ثم كان قابل فـأُعطينا دينارا آخر فكان دينارين، قال: وبه [3] سُمِّيت [4] .

كـما أخـرج من خبـر الهيـثم بن واقـد قال : وُلدت سنة سـبع وتسعين، فاستُخلِف عمر وأنا ابن ثلاث سنين فأصبت من قسمه ثلاثة دنانير [5].

حتى أهـل السجون كـان يصل إليهـم عطاؤهم، كمـا أخرج ابن سعد من خـبر أبي بكر بن حزم قال: كنا نُخـرج ديوان أهل السجون فيخرجون إلى أعطياتهم بكتاب عمر بن عبد العزيز ، وكتب إليّ: من كان غـائبا قـريب الغيبـة فأعط أهل ديوانه، ومن كـان منقطع الغيـبة فاعزل عطـاءه إلى أن يقدم أو يأتي نعيه، أو يوكِّل عندك بوكـالة ببينة على حياته فادفعه إلى وكيله [6].

وبهذا أحيى عمر بن عبد العزيز سنَّة العطاء الإسلامي التي كانت

(١) أي مولود في حال نفاس أمه .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٦ .

(٣) أي بعمر بن عبد العزيز .

(٤) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٦ .

(٥) المرجع السابق ٥/٣٤٧ .

(٦) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٨.

في عهد الخلفاء الراشدين وعـهد معاوية رضي الله عنهم، ثم اندثرت بعد ذلك واقـتصـر العطاء على بعض وجهاء الأمـة، وكان بنو أمـية يأخذون من ذلك الشيء الكثـير على مراتبـهم ، فلما قسم عـمر بن عبدالعزيز ذلك على الأمة شمل جميع أفرادهم، وهذا من أبرز مواقفه الإسلامية رحمه الله تعالى .

إغناؤه المحتاجين عن المسألة :

ذكر الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الخضر الملاء من خبر يحيى ابن سعيد الأنصاري : أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قدم عليه بعض أهل المدينة فجعل يسائله عن أهل المدينة فـقال: مافعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكـان كذا كذا ؟ قال : قد قامـوا منه ياأمير المؤمنين . قال: مـافعل المسـاكين الذين كانوا يجلسـون في مكان كذا وكـذا؟ قال: قـد قامـوا منه وأغناهم اللـه . قال: وكـان من أولئك المساكين من يبيع الخَـبَط للمسافرين (١) ، فالتـمس ذلك منهم بعدُ، فقالوا: قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر بن عبد العزيز (٢).

وهذا من نتائج المنهج العادل الذي سلكه عمـر بن عبد العزيز في توزيع أمـوال المسلمين، حـيث حُـرِمَت القلة المتـمكنة من الإسـراف وأصبح مايصـرف لفرد من هذه الفئة يصرف لـعشرات من المسلمين، فوصل المال العـام إلى فئات لم يكن يصل إليـها من قبل فاسـتغنوا به عن بعض الأعمال الشاقة التي كانت تُدِرُّ عليهم مبالغ زهيدة .

---

(١) الخبط نوع من ورق الشجر تأكله الإبل .

(٢) الكتاب الجامع لسيرة عمر ين عبد العزيز / ١٥١ .

اهتمامه بدفع المهور من بيت المال :

كما اهتم أمير المؤمنين عمـر بن عبد العزيز بأداء مهور الزواج من بيت المال لمن لم يستطع توفير ذلك ، ومن الأخبار في ذلك ماأخرجه محـمد بن سعـد من خبر أبي العـلاء بَيَّاع المشاجب قـال: قُرِئَ علينا كتاب عمـر بن عبد العزيز رحمه الله في مسـجد الكوفة وأنا أسمع: من كانت عليـه أمانة لايقدر على أدائها فـأعطوه من مال الله ، ومن تزوج امرأة لايقدر أن يسوق إليها صداقها فأعطوه من مال الله (١).

وهذا قرار مـهم في إصلاح المجتـمع، لأن صلاحـه يتوقف على تحصين أبنائه بالـزواج وظفرهم بالسعـادة الزوجية ، وقـد يكون المهر عائقا لبعض الفقراء دون الزواج، خصوصا في حال غلاء المهور، فإذا كانت الدولة تـوفر ذلك لمن لا يستطيـع ذلك فإنها تسـهم في تكوين المجتمع الصالح وحفظه من أسباب الفساد والاضطراب .

جهوده في التقريب بين طبقات المجتمع :

إضافة إلى مـاذكر في هذا المجال من التسـوية بين أفراد الأمة في العطاء فإنه سوى بينهم في أحقيـة الجلوس في المساجد، ومن الأخبار في ذلك ماأخرجه محمد بن سعد من خبر يونس بن أبي شبيب قال: شهدت عمر بن عبد العـزيز في بعض الأعياد وقد جاء أشراف الناس حتى حفُّوا بالمنبر وبينهم وبين الناس فرجة ، فلما جاء عمر صعد المنبر وسلم عليـهم ، فلمـا رأى الفرجـة أومـأ إلى الناس : أن تقدمـوا ، فتقدموا حتى اختلطوا بهم (٢).

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٧٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٧ .

لقد دأب الولاة من بعد عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه على رفع طبقات من الناس وتمييزهم على غيرهم بالعطاء والمجالس وغير ذلك ، وسرى ذلك في الأمة حتى أصيب بعض أفرادها بالضعف، وأصبحوا يرون أنهم ليسوا أهلا للجلوس مع أفراد الطبقات المميزة الذين أصبح الناس يطلقون عليهم اسم « الأشراف» وكان أكثر هؤلاء من بني أمية ، ولقد بلغ الضعف بعامة المجتمع إلى عدم التجاسر على الاقتراب من أفراد الطبقة الخاصة حتى في المساجد التي من المفترض فيها أن يتنافس المصلون على القرب من الإمام لما في ذلك من زيادة الثواب ، فلما تولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كان من أجَلِّ اهتماماته أن يقارب بين فئات المجتمع وذلك بأن يضع من سمعة الطبقات العالية وأن يزيل كبرياءهم ، وأن يرفع من شأن الطبقات المستضعفة وأن يقوي معنوياتهم ويزيل شعورهم بالضعف ، فكان من جهوده في ذلك المساواة بينهم في العطاء، ولاشك أن المال له أهمية كبرى في الرفع من شأن الناس وخفضهم.

وفي هذا الخبر تبين لنا اهتمامه في هذا المجال بالإشارة إلى عموم الناس ليقتربوا من الخاصة ويختلطوا بهم حتى تزول تلك الفجوة التي خلفها ظلم الولاة وسوء إدارتهم .

تجرده من العصبية وإكرامه أهل البيت :

مما خالف فيه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من سبقه من ولاة بني أمية تجرده من العصبية لعشيرته ، ومن الأخبار في ذلك ماأخرجه محمد بن سعد من خبر جويرية بن أسماء قال: سمعت فاطمة بنت

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ذكـرت عمـر بن عبـد العزيز فأكثرت التـرحم عليه، وقالت : دخلت عليه وهو أميـر المدينة يومئذ فـأخرج عني كل خـصي وحرسي، حـتى لم يبق في البـيت غيـري وغيره، ثم قال: يابنت علي والله ماعلى ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم، ولأنتم أحب إلي من أهل بيتي [١].

وهذا دليل على قوة إيمانه وتجـرده من العصبـية للعشيـرة، حيث فضل قـرابة رسول الله ﷺ على قرابتـه ، فإن ذلك يعتبـر من إكرام النبي ﷺ في أهل بيته .

وذكر محمد بن سعد في عدة أخبار أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أمر والي المدينة أبـا بكر بن محمد بن عمـرو بن حزم أن يقسم بين بني هاشم بالسوية عشرة آلاف دينار ، وذلك من حقهم في خمس ماأفاء الله تعالى يوم خيبر ، فشكروه في ذلك ، وكان فيمن كتب إليه بالشكر على ذلك فاطمة بنت الحسين ، رضي الله عنه ، وقد ذكر ابن سعد كـتابها في ذلك من رواية يحيى بن أبي يعـلى قال: لما قدم المال على أبي بكر بن حزم فقـسمه أصاب كلّ إنسان خـمسين ديناراً . قال فـدعتني فـاطمـة بنت حسـين وقالت: اكـتب ، فكتـبتُ : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من فاطمة بنت حسين، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فأصلح الله أمير المؤمنين وأعانه على مـاولاه وعصم له دينه، فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبي بكر بن حـزم أن يقسم فينا مالاً من الكتـيبة[٢] ويتحرى

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) الكتيبة جزء من خيبر فيه بساتين .

بذلك ماكـان يصنع من كان قبله من الأئمـة الراشدين المهديين، فـقد بلغنا ذلك وقسم فـينا ، فوصل الله أمير المؤمنين وجـزاه من وال خير ماجـزى أحدًا من الولاة ، فقد كـانت أصابتنا جَفْوة واحـتجنا إلى أن يُعمل فينا بالحقّ ، فـأقْسم لك بالله ياأمير المؤمنين لقـد اختدم من آل رسول الله ﷺ من كان لاخادم له واكتسى من كان عاريًا واستنفق من كان لايجد مايستنفق . وبعثتْ إليه رسولاً ، قال : فأخبرني الرسول ، قال : فقدمتُ عليه فقرأ كتابها وإنّه ليحمد الله ويشكره وأمر لي بعشرة دنانير ،وبعث إلى فاطمة بخمسمـائة دينار وقال: استعيني بها على ما يَعْروك . وكـتب إليها بكتـاب يذكر فضلها وفـضل أهل بيتهـا ويذكر ماأوجب الله لهم من الحقّ . قال : فقدمت عليها بذلك المال .

قال عبد الملك بن المُغيرة : فاجتمع نفر من بني هاشم فكتبوا كتابًا وبعثوا به مع رسول إلى عمر بن عـبد العزيز يتشكّرون له مافعله بهم من صلة أرحامـهم وأنهم لم يزالوا مجـفيين منذ كان مـعاوية. فكتب عمر بن عـبد العزيز : قد كـان رأيي قبل اليوم هذا ولقد كلـمت فيه الوليـد بن عبـد الملك وسليمـان فأبيـا عليّ ، فلما وليتُ هـذا الأمر تحريتُ به الذي أظنه أوفق إن شاء الله (١) .

اهتمامه بالإصلاح بين الناس :

ومن جهود أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في الإصلاح ما ذكره ابن عبد الحكم قال : وجاء رجل من أهـل المشرق هـو وابـن أخ لـه،

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩١ .

فاختصما عند عمر بن عبد العزيز ، قال : بينما الشيخ يريد الصلة والصلح إذ غضب فدعته نفسه إلى القطيعة ، فنظر إليه عمر فقال : مارأيت أحلى منك ولا أمرّ ، ولا أبعد ولا أقرب، بينما أنت تريد الصلة والصلح دعتك نفسك إلى القطيعة والظلم - وله شاربان قد غطَّيا فاه - فقال : يامينا - لحجَّام له - : أَخرِج هذا الشيخ من الصف ثم خذ لي من شاربه ثم ائتني به ، ففعل ، فقال عمر : هذا أطيب وأنظف مع الفطرة ، هلم إلى الصلح أيها الشيخ أنت وابن أخيك، قالا : نعم ، فأصلح ذات بينهما ، فرفع عمر يديه إلى السماء وقال : الحمد لله [1] .

فهذا مثل من أمثلة نجاح أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في الإصلاح بين الناس ، والإصلاح بين الناس باب مهم من أبواب الدعوة وفعل الخير ، وأقدر الناس عليه من خولهم الله تعالى مسئولية على المسلمين ، لما لهم من حق الطاعة ، فإذا تم الإصلاح على أيديهم فهي نعمة عظيمة تستحق الشكر والحمد ، ولذلك حمد عمر الله تعالى لما وفقه من الإصلاح بين الرجلين .

وفي اهتمام عمر بالتخفيف من شارب ذلك الرجل دليل على حرصه على تطبيق السنة رحمه الله تعالى .

نماذج من مواعظه وحكَمِه :

من ذلك ماذكره أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٢١ .

تعالى قال : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى القرظي (١) : أما بعد فقد بلغني كتابك تعظني ، وتذكر ماهو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر ، إن الموعظة كالصدقة ، بل هي أعظم أجرا وأبقى نفعًا ، وأحسن ذخرا ، وأوجب على المرء المؤمن حقا، لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها في هدًى رغبةً خيرٌ من مال يتصدق به عليه وإن كان به إليه حاجة ، ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا ، ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر، فعظ من تعظه لقضاء حق عليك ، واستعمل كذلك نفسك حين تعظ، وكن كالطبيب المجرب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لاينبغي أعنته وأعنت نفسه ، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وظلم، وإذا أراد أن يداوي مجنونا لم يداوه وهو مرسل حتى يستوثق منه ويوثق له ، خشية أن لايبلغ منه من الخير مايتقي منه من الشر، وكان طبُّه وتجربته مفتاح علمه .

واعلم أنه لم يُجعل المفتاح على الباب لكيما يغلق فلا يفتح، أو ليفتح فلا يغلق، ولكن ليغلق في حينه ويفتح في حينه (٢) .

في هذا الكتاب توجيه جيد من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز نحو القيمة الكبرى للوعظ والتذكير ، حيث بين أن إهداء الموعظة للأخ المسلم أفضل من إهداء المال إليه ، ذلك لأن دعوة المسلم إلى

---

(١) هو أبو حمزة محمد بن كعب القرظي ، من علماء التابعين .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٣٢ - ١٣٣ .

الاستقامــة على الدين تعني منحه خيري الدنيا والآخــرة ، فأما الدنيا فإن الاستقامة تعني صلاح أمور الحياة والحماية من الأضرار التي تنتج عن السير على هدى العقل المجرد ، وأما في الآخرة فإن الاستقامة في الدنيا تعني رفعة الدرجات في الجــنة والسلامة من عذاب النار ، فهل هناك هدية تقدم للمسلم من أخــيه أعظم من موعظة هادية صادرة من القلب ؟!

كما أن في هذا الكتــاب توجيهًا نحو المنــهج السديد في الدعوة، حــيث بين عــمر بن عــبــد العــزيز أن الواعظ كــالطبــيب ، والموعظة كالدواء، فلابد للطبيب الناجح أن يكون عــالما بفنه حاذقا بتطبيق ذلك العلم، وأن يحــسن اختــيار الدواء وطريقــة تناوله ومايحــذر منه أثناء ذلك ، فكذلك الواعظ لابد أن يكون مــتــزودًا بالعلم النافع وأن يكون مخلصا في عمله حكيما في عرض مواعظه .

اهتمامه بسد الذرائع الموصلة إلى الشرك :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر جعفر بن يرقان قال: كتب عمر بن عبد العزيز : إن ناسًــا يلتمسون الدنيا بعمل الآخــرة وإن مصيرهم ومــرجعــهم إلى الله ، وإن ناســا من هؤلاء القــصــاص يصلون على خلفائهم وأمرائهم [١] فمروهم فليدْعوا للمؤمنين عامة وليلغوا ماسوى ذلك .

قال ، وعن جعفر بن يرقان قال : كــتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجــزيرة: أما بعد فإن ناسًــا من الناس قد التمســوا بعمل الآخرة

---

(١) يعني يدعون لهم .

الدنيا وإنما مصيرهم ومرجعهم إلى الله بعد الموت، وقد بلغني أن ناسا من القـصاص قد أحـدثوا الصلاة على أمـرائهم عِدْلَ مـايصلون على النبي ﷺ ، فإذا جـاءك كتابي هذا فمـر القصاص فليجـعلوا صلاتهم على النبي ﷺ خاصـة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عـامة، وليدَعوا ماسوى ذلك . والسلام .

قال جعفر : أحب أن لايذكروا مع النبي ﷺ (١) .

هذا الخبر يصحح خطأ حدث بعد عصر الخلفاء الراشدين ، حيث دأب بعض الخطبـاء على ذكر الأمـراء في خطب الجمـعة، إمـا بالثناء عليهم أو بالـدعاء لهم، وذلك يتضـمن تسوية هؤلاء الأمـراء برسول الله ﷺ الذي شرعت الصلاة عليه في الخطب، كـما أنه قد يصدر من بعضهم على سـبيل التعظيم لأولئك الولاة، مما قد يتـرتب عليه وقوع في الشرك، إضـافة إلى أنه قد يصدر من بـعضهم على سبـيل النفاق والتقرب للولاة للحـصول على شرف الدنيا كما جـاء في هذا الخبر، فلذلك أصدر أميـر المؤمنين عمر بن عبد العـزيز أمره بمنع الخطباء من ذلك حماية لتوحيد الله تعالى وحق النبي ﷺ .

كتابه لبعض عماله :

أخرج الحافظ أبو نعـيم الأصبهاني من خبر إسـماعيل بن إبراهيم ابن أبي حبيبـة . أن عمر بن عبد العزيز كتـب إلى بعض عماله، أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه، وبها تحـقق لهم ولايته. وبها رافقوا أنبـياءهم، وبها

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٠٣ .

نضرت وجوههم ، وبهـا نظروا إلى خالقهم، وهي عصـمة في الدنيا من الفتن، والمخرج من كرب يوم القيـامة، ولـم يقبل ممن بقي إلا بمثل مارضي عـمن مضى ولمن بقي عبـرة فيما مـضى، وسنة الله واحدة، فبادر بنفسك قبـل أن تؤخذ بكظمك ، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك، فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الأمل أمله، وذا السلطان سلطانه، وكفى بالموت موعظة بالغة، وشاغـلا عن الدنيا، ومرغبا في الآخرة، فنعوذ بالله من شر الموت ومـابعده، ونسأل الله خيره و خيـر مابعده. ولاتطلبن شيئا من عرض الدنيا بقول ولافعل تخاف أن يضر بآخرتك، فـيزرى بدينك، ويمقـتك عليـه ربك وأعلم أن القدر سـيجـري إليك برزقك ويوفيك أملك من دنـياك بغير مـزيد فيه بحـول منك ولاقوة، ولامنقوصا منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك وأخبت لقضاء ربك ، واعـتبر بما قسم الله لك من الإسـلام مازوى منك من نعمة الدنيا فإن في الإسلام خلفا من الذهب والفضة من الدنيا الفانية، اعلم أنه لن يضر عـبدًا صار إلى رضوان الله وإلى الجنة مـاأصابه في الدنيا من فقر أو بلاء ، وأنه لن ينفع عـبدًا صار إلى سخط الله وإلى النار مـاأصاب من الدنيـا من نعمة أو رخـاء، مايجـد أهل الجنة مس مكروه أصابهم في دنياهم، ومايجـد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم، كل شيء من ذلك كأن لـم يكن. تشيعون غاديًا أو رائحا إلى الله قد قضى نحبه ، وانقضى أجله، و تغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير مـتوسد ولامتمهد ، فـارق الأحبة، وخلع الأسلاب، وسكن التراب ، وواجه الحساب، مرتهنا بعمله، فقيرا إلى ماقدم غنيا

عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء موافاته، وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وماأعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، وأستغفر الله وأتوب إليه (١).

وصيته للقضاة :

من وصاياه في ذلك مأأخرجه محمد بن سعد من خبر يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز قال: لاينبغي للقاضي أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف ، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الرأي ، لايبالي ملامة الناس (٢).

فالعفة تُحصِّن القاضي من أخذ الرشوة بأي شكل من أشكالها وتحول بينه وبين النفعيين الذين يريدون أن يُسخِّروا القاضي لمنافعهم الدنيوية .

والحلم يمنع القاضي من التفوه بما لايليق من الكلام، ويمنحه الفرصة الكافية لاستيعاب مايقوله الخصوم .

والعلم بماكان قبله يمنحه الخبرة القضائية، حيث يستفيد من دراسة أحكام القضاة الذين سبقوه ، وهذه أبلغ دراسة يستفيدها القاضي لأنها دراسة ميدانية .

واستشارة ذوي الرأي مهمة جدا في التوصل إلى أحكام مدروسة من عدة عقول ، فالذي يستشير أهل الرأي يملك عقولا كثيرة بينما الذي لايستشير لايملك إلا رأيا واحدا .

---

(١) الحلية ٥/٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٣٦٩ - ٣٧٠ .

أما عدم المبالاة بملامة الناس فهو الجُنَّة الحصينة التي تحمي صاحبها من التأثر بأقوال المخذِّلين والمعوِّقين الذين يَنْفرون من الإصلاح إذا خالف هواهم وهوى أصحاب النفوذ من وجهاء الناس .

ولم يذكر عمر بن عبد العزيز العلم بالشريعة لأنه أمر معلوم حيث لايصل القاضي إلى منصب القضاء إلا إذا كان من العلماء.

حثه على التقوى :

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من خبر ميسرة الحضرمي: أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ليس تقوى الله بصيام النهار ولابقيام الليل والتخليط بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ماحرم الله وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير[1].

في هذا الخبر بيان لحقيقة التقوى، فالتقوى هي اتقاء سخط الله تعالى وعذابه ، وإنما يكون ذلك بفعل جميع الواجبات التي فرضها الله سبحانه، لأن تركها يترتب عليه العذاب، واجتناب جميع المحرمات التي حرمها لأن فعلها يترتب عليه العذاب، أما النوافل فإنها يترتب الثواب على فعلها ولايترتب العذاب على تركها، فلو أن إنسانا صام أفضل الصيام وهو صيام يوم بعد يوم وقام أكثر الليل ثم ترك واجبا أو فعل محرما لم يكن من المتقين في الظاهر، وإن كان قد يغفر الله له السيئات الصغيرة بالحسنات، لكن أمر المغفرة علمه عند الله تعالى، وفي هذا الخبر تحذير للذين يهتمون بالنوافل ويتساهلون ببعض الواجبات أو المحرمات .

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥ / ٢٣٠ .

كتابه إلى أهل الموسم بالبراءة من الظلم :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر جعونة بن الحارث قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم أما بعد: فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني برئ من ظلم من ظلمكم ، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك أو رضيته أو تعمدته، إلا أن يكون وهما مني ، أو أمرًا خفي علي لم أتعمده، وأرجو أن يكون ذلك موضوعا عني مغفورا لي إذا عُلم مني الحرص والاجتهاد، ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني وأنا مُعوَّل كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم، ألا وإنه لادُولةً بين أغنيائكم ، ولاأَثَرةً على فقرائكم في شيء من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يُصلح الله به خاصا أو عاما من هذا الدين فله مابين مائتي دينار إلى ثلاث مائة دينار على قدر مانوى من الحسنة، وتجشم من المشقة، رحم الله امرءًا لم يتعاظمه سفر يحيي الله به حقا لمن وراءه ، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أمورا من الحق أحياها الله لكم، وأمورا من الباطل أماتها الله عنكم ، وكان الله هو المتوحد بذلك فلا تحمدوا غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري والسلام عليكم (١).

فهذا كتاب عظيم من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في محاربة الظلم وإقرار العدل، فهو قد سعى جاهدا في رد المظالم التي

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢ - ٢٩٣ .

عرف عنها، ولكنه يتوقع أن هناك مظالم لم تصل إليه، فكتب هذا الكتاب وأعلنه في موسم الحج الذي يضم وفودًا من أغلب بلاد المسلمين ، لتبرأ ذمته من مظالم خفية لم تبلغه، وأعلن في هذا الكتاب براءته من الولاة الذين يقع منهم شيء من الظلم، وربط طاعتهم بطاعة الله تعالى ، فهو بهذا يجعل كل فرد من أفراد الأمة رقيبا على أمير بلده، يسعى في تثبيته إذا استقام وفي تقويمه إذا انحرف.

وإذا كان المتقون في كل بلد مسئولين عن سير الحكم فيه فلن يستطيع أي حاكم - وإن ضعف إيمانه - أن يحكم بهواه ولاأن يحكم بأهواء النفعيين الذين لايهمهم إلا مصالحهم الخاصة .

ثم يبين أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أن المال في عهده لن يكون دولة بين الأغنياء ولامستأثرا به عن الفقراء لأن الفيء يقسم على عامة المسلمين بالتساوي .

ومن أروع ماجاء في هذا الكتاب تخصيص مبلغ من المال لمن يسعى في إصلاح أمور الأمة ، وفي ذلك ضمان النفقة لمن أراد أن يسافر من أجل ذلك حتى لايقعد به التفكر في تأمين تلك النفقة .

ثم يختم كتابه بشكر المنعم جلا وعلا على ماوفقه إليه من الإصلاح الذي تحقق على يديه، وهذا مثل من الإخلاص القوي لله تعالى ، بحيث يتلاشى حظ النفس ، ولايكون إلا لطف الله جل وعلا وتوفيقه ومعونته .

من خطبه في الزهد :

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر الحسين بن محمد الخزاعي عن رجل من ولد عثمان أن عمر بن عبد العزيز قال في بعض خطبه: إن لكل سفر زادًا لامحالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ماأعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولايطُولنَّ عليكم الأمد فتقسى قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله مابُسط أمل من لايدري لعله لايصبح بعد مسائه، ولايمسي بعد صباحه، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، فكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة، فأما من لايداوي كَلْمًا[1] إلا أصابه جرح في ناحية أخرى [2] أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي ، وتظهر غيلتي، وتبدو مسكنتي ، في يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازين منصوبة، ولقد عنيتم بأمر لو عُنِيَتْ به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما ![3].

ومن ذلك ماذكره الحافظ ابن الجوزي من خبر عبد الله بن محمد ابن سعد الأنصاري : أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر واجتمع إليه الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فإني لم

(١) الكلم بالفتح الجراحة والجمع كلوم .

(٢) يعني فكيف يفرح ؟

(٣) حلية الأولياء / ٢٩١ - ٢٩٢ .

أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق والمكذب به هالك ، ثم نزل (١) .

موعظة له في التوكل والعفة :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أخ من أخوانه في الله عز وجل ، فكان في كتابه : لاتطلبن شيئا من عرض الدنيا بقول ولافعل تخاف أن يضر بآخرتك ويزري بدينك ويمقتك عليه ربك، واعلم أن القدر سيجري إليك برزقك ويوفيك أكلك من دنياك غير متزيد فيه بحول منك ولا قوة ولامنتقص منه بضعف ، إن ابتلاك الله عز وجل بفقر فتعفف في فقرك وأخبت لقضاء ربك، واغتفر بما قسم الله لك من الإسلام مازوى عنك من نعمة دنياك، فإن في الإسلام خلفا من الذهب والفضة والدنيا الفانية، وأعلم أنه لايضر عبداً صار إلى رضوان الله وإلى الجنة ماأصابه في الدنيا من فقر وبلاء ، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله وإلى النار ماأصابه من نعمة أو رخاء، مايجد أهل الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم، ومايجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم، كأن شيئا من ذلك لم يكن (٢).

خطبة له وجيزة بليغة :

أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد من خبر ابن العيزار قال : خطبنا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٨٢ .

عمر بـن عبد العزيز بالشـام على منبر من طين فحمـد الله عز وجل وأثنى عليـه ثم تكلم بثـلاث كلمـات فـقال : أيهـا الناس أصلحـوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعلمـوا لآخرتكم تُكفَوا دنياكم، واعلموا أن رجـلا ليـس بينه وبين آدم أب لُمُعْـرَق له في الموت[1] ، والسلام عليكم[2].

فهذه الخطبـة الموجزة تشتمل على ثـلاث مواعظ : الأولى صلاح العمل الظاهر، فالأعـمال التي يمارسها الإنسـان في حياته هي الشيء الذي يعلنه ويراه الناس ، ومايُكِنُّه قلبه من النيات والمقاصد هو الشيء الذي يُسِرُّه ، فإذا أصلح الإنسان قلبه وطهره من النوايا السيئة صلحت أعماله الظاهرة ، فالجنايات والأعمال العدوانية مثلا هي نتيجة لما يكنه القلب من الغل والحسـد والبغضاء ، والتنافس على مظاهـر الحياة من لباس وفـراش ومراكب ومسـاكن هو نتيجـة لما يكنه القلب من تعظيم الدنيا وتضخيمها، والاستقامـة على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته هما نتيجة لما يكنه القلب من حـبه وتعظيمه والخوف منه، وكذلك كل الأعمال الظاهرة فإنها مبنية على سرائر القلوب .

والثانيـة : العمل للآخـرة على أنها هي المطلب الأعلى والمقـصد الأسمى ، فإذا شغل الإنسان فكره بالعمل للآخرة سخر الله تعالى له من الدنيا مـايغنيه ويكفيـه من غير إعمـال فكر ، وفتح له من أبواب الرزق مالايخطر له على بال .

---

(١) يعني إذا كان آباؤه جميعا إلى آدم قد ماتوا فإنه حتما سيموت .

(٢) الزهد للإمام أحمد / ٢٩٦ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٨٦ .

والثالثة : التـذكير بالموت بأسلوب مؤثر ، فـالإنسان إذا تذكر أن جـميع آبائه الذين يصلونه بـآدم عليه الصـلاة والسلام في النسب قـد ماتوا فكيف يؤمل بالبقاء ؟! ولماذا لايحمله ذكـر الموت على الاستقامة والعمل لما بعد الموت ؟!

آخر خطبة خطبها :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر يعقوب بن عبدالرحمن عن أبيه قـال: خطب عمـر بن عبد العـزيز هذه الخطبة وكـانت آخر خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليـه ثم قال: إنكم لم تخلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بينكم ويفصل بينكم ، وخاب وخـسر من خرج من رحـمة الله وحرم جنة عرضـها السموات والأرض، ألم تعلموا أن لايـأمن غدا إلا من حذِرَ الله اليوم وخافه وباع نافـدا بباق، وقليلا بكثير، وخـوفا بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهـالكين ، وستـصير من بعـدكم للباقين، وكـذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين ، ثم إنكم تشيِّـعون كل يوم غاديا ورائحا، قد قضى نحبه ، وانقضى أجله، حـتى تغيبوه في صدع من الأرض، في شق صدع، ثم تتـركوه غير ممهـد ولاموسد، فارق الأحبـاب، وباشر التراب، ووُجِّه للحـساب، مرتهن بما عمل غني عما ترك ، فـقير إلى ماقدم . فاتقوا الله ومـوافاته وحلول الموت بكم، أما والله إني لأقول هذا وماأعـلم عند أحد من الذنوب أكـثر مما عندي واسـتغفـر الله ، ومامنكم من أحد يُبلغنا حاجته لايسع له ماعندنا إلا تمنيت أن يُبدأ بي وبخاصتـي حتى يكون عيشنا وعـيشه واحدا، أما واللـه لو أردت غير

هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولا، وكنت بأسبابه عالما، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله(١).

فهذه خطبة بليغة في التذكير بالموت والعمل للآخرة، ولقد كان- رحمه الله - نذيرا للعالم في عصره، ذلكم العصر الذي غرق أكثر الناس فيه بالتوجه نحو مظاهر الحياة الدنيا واشتغلوا بذلك عن ذكر الموت ومابعده ، فمازال يلح على الناس بالتذكير بمختلف الأساليب والمناسبات حتى أحيى الله به قلوبا ميتة وذكّر الله به قلوبا غافلة، وحكم له بالصلاح ملوك العالم من غير المسلمين فضلا عن المسلمين، ثم مازالت سيرته الزكية بعد موته مادة غزيرة في الدعوة إلى الله تعالى وإصلاح المجتمعات الإسلامية .

فهمه لشمول العبادة :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر علي بن زيد بن جدعان قال: شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب بخناصرة فسمعته يقول: ألا إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم (٢).

وأخرج من خبر عبد العزيز بن أبي رواد قال: قال عمر بن عبدالعزيز : الكلام بذكر الله حسن ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة (٣).

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٥ وانظر سيرة عمر لابن الجوزي / ١٩٠ .

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٦ .

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣١٤ .

فهذا فهم من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لشمول العبادة لكل أمور الدين، فإن إطلاق العبادات على أمور الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والحج إطلاق اصطلاحي لتمييزها عن أمور الدين الأخرى، ولايعني ذلك عدم شمول العبادة لسائر أمور الدين، ومن أبرز الأدلة على شمول العبادة قول الله تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات: ٥٦] فإن العبادة في الآية تشمل جميع أمور الدين.

تعزيته البليغة لأهل صديقه :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر علي بن الحسين قال: كان لعمر بن عبد العزيز صديق ، فأخبر أنه قد مات، فجاء إلى أهله يعزيهم فصرخوا في وجهه فقال لهم عمر : إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم وإن الذي يرزقكم حي لايموت، وإن صاحبكم هذا لم يسد شيئا من حُفركم ، إنما سد حفرة نفسه، وإن لكل امرئ منكم حفرة لابدَّ والله أن يسدها ، إن الله تعالى لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب، وعلى أهلها بالفناء ، ولا امتلأت دار حَبْرة إلا امتلأت عبرة، ولااجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكيًا فليبك على نفسه ، فإن الذي صار إليه صاحبكم اليوم كلكم يصير إليه غدًا [١].

فهذا نموذج رائع في التعزية ، أكد فيه أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى على أن الرازق هو الله جل وعلا وحده، فلايجوز لأهل الميت أن يشعروا بأنهم قد فقدوا بفقده مصدر رزقهم،

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣٢٩ - ٣٣٠ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٣٠ .

وذكَّرهم بأن ميِّتهم قد سار إلى مآل هم صائرون إليه، وإنما الفرق بينهم وبينه أنه قد سبقهم إلى ذلك المصير، فليشتغل كل إنسان بالتفكير بالمصير الذي هو صائر إليه عما قريب، وإن في ذلك لشغلا عن الحزن على الفقيد ، كما ذكَّرهم بأن الدنيا ليست دار سرور دائما فلا ينبغي للمسلم أن يتألم لما يصيبه فيها من مصائب، وإنما هي دار ابتلاء وعمل ونصب ، فليس من خلق المسلم أن يكون هلوعا جزوعا عند مواجهة المصائب .

مثل من صبره ويقينه :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر سهل بن الربيع بن سبرة حدثني أبي عن أبيه الربيع قال: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وسهل بن عبد العزيز ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة عليه وقال : أعظم الله أجرك ياأمير المؤمنين، فما رأيت أحدًا أصيب أعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ، والله مارأيت مثل ابنك ابنا ، ولامثل أخيك أخا، ولامثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه ، فقال لي رجل معي على الوسادة : لقد هيجت عليه ، قال ثم رفع رأسه فقال : كيف قلت الآن ياربيع ؟ فأعدت عليه ماقلت أولا ، قال : لا والذي قضى عليه - أو قال عليهم - بالموت ، ماأحب أن شيئا من ذلك كان لم يكن .

وأخرج أيضا من خبر عثمان بن عبد الحميد حدثني أبي . قال: بلغنا أن ابنا لعمر بن عبد العزيز مات صغيرا، فدخل عليه الناس يعزونه وهو ساكت لايتكلم طويلا حتى قال بعضهم إن ذا لمن جزع،

قال ثم تكلم فقال : الحمد لله دخل ملك الموت حجرتي فذهب ببعض ، وكأنه ذهب بي [1].

فهذا مثال على الرضى بقضاء الله وقدره والصبر على المصائب، فبالرغم من أن هؤلاء الثلاثة كانوا هم خاصته الذين كان يتقوى بهم ويستشيرهم ، وبالرغم من تتابع المصيبة بفقدهم فإنه قد بدا جميل الصبر راسخ اليقين مؤمنا بأن الأمور كلها بيد الله عز وجل وأن الخير فيما قضاه وقدره .

وفي الخبر الثاني نجده يحمد الله تعالى على أن ملك الموت دخل حجرته فذهب ببعضه لما مات ابنه فكأنه هو الذي ذُهِب به، وفي ذلك توطين للنفس على مواجهة الموت واشتغال بانتظاره والاستعداد لما بعده بالعمل عن الحزن على فقد أحد الأقارب وإن كان عزيزا على النفس.

جوابه على من قال أبقاك الله :

أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل من خبر طلحة بن يحيى قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فجاءه رجل فقال له: ياأمير المؤمنين أبقاك الله ماكان البقاء خيرا لك، فقال: أما ذاك فقد فُرِغَ منه ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة وتوفاك مع الأبرار [2].

فهذا جواب سديد ، لأن الدعاء بالبقاء وطول العمر لامعنى له ،

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٠ .

(٢) الزهد للإمام أحمد /٢٩٧ - ٢٩٨ ، وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم ٥/ ٣٣٠، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي /٢٠٦ .

حـيث إن الإنسان يُكتب له أجله وهـو في بطن أمه، وإنما ينبـغي أن يُدْعَى للمسلم بالسعادة في الدنيا والآخرة .

من مواعظه البليغة :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر خالد بن دينار قال قال عمر لميمون بن مهران : ياميمون لاتدخل على هؤلاء الأمراء وإن قُلْتَ آمرهم بالمعروف ، ولاتخلوَنَّ بامرأة وإن قُلْتَ أُقرئها القرآن، ولاتَصِلَنَّ عاقّا فإنه لن يصلك وقد قطع أباه [1].

فهذه ثلاث مواعظ في غاية الجودة :

فالأولى : النهي عن الدخول على الأمراء ، والمحذور الذي خافه أميـر المؤمنين عمر بن عـبد العزيز من ذلك أن يتـأثر من دخل عليهم بشيء من مظاهر الحياة التي يتغالى كثيـر منهم فيها، فيكون ذلك سببا في فـتنة من دخل عليـهم ، أو يقصـر في إنكار المنكرات عليـهم أو يوافقهم في بعض ذلك فيكون آثما ، ولعل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من واقـع تجربته مع الأمـراء قد رأى فيمن يـدخلون عليهم خللا في دينهم .

وهذا الأمـر لايؤخذ على إطلاقـه في جمـيع الأحوال ، بل قـد يكون الدخول على الأمراء واجبا لإنكار المنكر فيما إذا كان ذلك متعينا على فرد أو طائفة من المسلمـين، وقد يكون مستحبـا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيـما إذا لم يكن متعينا علـى الشخص، وقد يكون محرما فيما إذا تأكـد الإنسان من ضرورة وقوعه في الإثم، وقد يكون

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٤٥ .

مكروها فيما إذا احتمل الأمر ذلك، وقد يتردد الأمر بين الوجوب والتحريم، وذلك فيما إذا تعين عليه إنكار المنكر وعلم أنه سيقع في الإثم، أو يتردد ا لأمر بين الاستحباب والكراهة، وذلك فيما إذا لم يتعين عليه إنكار المنكر وخشي من الوقوع في الإثم، وفي كلتا الحالتين فالأمر يحتاج إلى اجتهاد العالم في ترجيح مصلحة الإسلام والمسلمين.

والثانية : النهي عن أن يخلو الرجل بالمرأة وهو من غير محارمها، وإن كان الدافع لذلك إقراءها القرآن، وهذا واضح في الشريعة ولايجوز التساهل فيه لقول رسول الله ﷺ « لايخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم » أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [1].

والثالثة : عدم وضع الثقة بمن عق والديه ، لأنه قد خان الأمانة ولم يتخلق بخلق الوفاء لمن رعياه وخدماه وبذلا له مهجمها في الصغر وهو في أمس الحاجة إليهما ، فإذا عقَّ الإنسان والديه أو أحدهما لم يكن أمينا معهما ولاوفيا لهما فأحرى به أن لايكون أمينا ولاوفيا مع غيرهما .

موعظته لمن سأله شيئا من الدنيا :

قال ابن عبد الحكم : وكان رجل من قريش - وكانت الخلفاء لاترده عن حاجة - فأتى عمر بن عبد العزيز فسأله حاجته فقال عمر

(١) صحيح البخاري ، رقم ٥٢٣٣ ، النكاح (٩/ ٣٣٠) صحيح مسلم ، رقم ١٣٤١، الحج (ص ٩٧٨) .

ابن عبد العزيز : لايجوز هذا ، ورده عنها ، فخرج مغضبا فناداه عمر فظن أنه قد بدا له في قضاء حاجته فقال له : ياأبا خالد فرجع إليه فقال له : إذا رأيت شيئا من الدنيا فأعجبك فاذكر الموت فإنه يقلّله في نفسك ، وإذا كنت في شيء من أمر الدنيا قد غمَّك ونزل بك فاذكر الموت فإنه يسهِّله عليك ، وهذا أفضل من الذي طلبت [1].

نماذج من أدبه وحكمته :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر المدايني قال: دخل حريث بن عثمان الدجني مع أبيه على عمر بن عبد العزيز فسأل الأب عن الابن ثم قال له : علمه الفقه الأكبر ، قال: وما الفقه الأكبر ؟ قال: القناعة وكف الأذى [2].

والفقه الأكبر بمعنى الفهم الأكبر في الدين، ومن تأمل في هذين الأمرين اللذين اختارهما عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يجد أنهما من أمور الدين المهمة ، فالذي يُرزق القناعة يتورع عن اكتساب المال من طريق المحرمات والشبهات ، ويعف نفسه عن السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس ، ويسلم من أخلاق السوء كالحسد والغل والحقد، أما كف الأذى فهو أن يعصم الإنسان جميع جوارحه من الاعتداء على المسلمين ، ومن أبرز ذلك حفظ اللسان من الغيبة والنميمة وغير ذلك من فلتات اللسان ، ويكفي في بيان أهمية كف الأذى عن المسلمين أن النبي ﷺ اعتبر من طبق ذلك هو المسلم حقا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٠٥ .

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قالوا : يارسول الله أي الإسلام أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده » [1] .

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل لرجل : تحت إبطك ، فقال عمر : وماعلى أحدكم أن يتكلم بأجمل مايقدر عليه، قالوا : وماذاك ؟ قال : لو قال : تحت يدك كان أجمل [2].

فهذا توجيه إلى حسن اختيار الألفاظ الذي تؤدي المقصود ولايتقزز الناس من سماعها ، فذلك من الأدب في الحديث .

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر أبي هاشم القرشي قال: قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك ، فقال وصلك الله ياأمير المؤمنين فقد أجزلت العطية وكفيت المسألة ، فأعجب به عبد الملك ، فقال بعض أولاد عبد الملك هذا كلام تعلمه فأداه ، فدخل على عبد الملك يوما فقال: ياعمر كيف نفقتك ؟ فقال الحسنة بين السيئتين ياأمير المؤمنين ، قال فماهما؟ قال : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٧] فقال عبد الملك : من علمه هذا [3].

---

(١) صحيح البخاري ، رقم ١١ ، الإيمان (١/ ٥٤) ، صحيح مسلم رقم ٤٠ ، الإيمان (ص٦٥) .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٠٧ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٢ .

فهذا الخبر يدل على سرعة بديهة عمر بن عبد العزيز ومقدرته على اختيار الألفاظ الجزلة والمعاني العميقة ، وسرعة الاستشهاد بالآيات القرآنية المناسبة ، وقد كان عبد الملك بن مروان معجبا بفكره وحكمته وأدبه .

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر علي بن بكار قال قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقتربوا منه فإنه يُلَقَّى الحكمة (١).

والمقصود بالحكمة وضع الشيء في موضعه من قول أو عمل، وهي تنتج عن التفكير السَّوي الذي يأتي نتيجة التأمل الطويل العميق، وهذا التأمل لايحصل غالبا إلا بشيء من العزلة والجو الهادئ البعيد عن الضجيج والارتباطات الاجتماعية التي تشغل الفكر بالأمور الحالية، ولاتترك للفكر مجالا واسعا للتأمل العميق .

وليس هذا الأمر على إطلاقه فربما يُلَقَّى الإنسان الحكمة مع كثرة الارتباطات الاجتماعية لكونه ذا مقدرة عالية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولكن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لاحظ بتجاربه أفرادًا من الناس يمتازون بالحكمة ، ورأى أن أبرز صفاتهم كثرة الصمت وحب العزلة فعبر عن نتائج تجاربه التي رآها .

تأثره من شعر الزهد واستشهاده به :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر عبد الصمد بن عبد الأعلى قال: كان عمر بن عبد العزيز وجَّه عبد الأعلى بن أبي عمرة رسولا إلى

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز /١٨١ .

طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : ياأمير المؤمنين ائذن لي في بعض ولدي يخرج معي - وكان أبا عشرة - فقال له : ومن يخرج معك من ولدك ؟ فقال عبد الله . فقال إني رأيت عبد الله يمشي مشية مقَتُّها ، وبلغني أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : ياأمير المؤمنين أما مشيته فغريزة هي فيه : وأما الشعر فإنما هو نوَّاحة ينوح على نفسه ، فقال مر عبد الله يأتيني العشية وأخرج معك غيره ، فراح به إليه فدخل عليه فاستنشده ، فأنشده :

تجهزي بجهاز تبلغين به
يانفس قبل الردى ، لم تخلقي عبثا

وسابقي بغتة الآجال وانكمشي
قبل اللزوم فلا منجا ولا غَوَثا

ولاتكُدِّي لمن يبقى وتفتقري
إن الردى وارث الباقي وما ورثا

واخشَيْ حوادث صرف الدهر في مهل
واستيقظي لاتكوني كالذي بحثا

عن مدية كان فيها قطع مدَّته
فوافت الحرث موفورا كما حُرثا

لاتأمني فجع دهر مترف خَتَلٍ
قد استوى عنده من طاب أو خبثا

يارُبَّ ذي أمـل فـــيـــــه علـى وجل

أضـــحى به آمنا أمـــسى وقـــد حـــدثا

من كان حـيث تصيب الشـمس جبهـته

أو الغـبـــار يخـاف الشَّين والشـــعـثـا

ويألف الـظل كي تبـــقى بشـــاشــتـــه

فـســوف يـسكن يومـا راغـمـــا جـدثا

في قـعـر مُـوحـشـة غـبـراء مـقـفـرة

يطيل تحت الـثـرى في قـعـرها اللَّبـثـا

قال : فبكى عمر من شعره (١) .

وأخرج الحافظ أبو نعيم من خبر وهيب بن الورد قال : كان عمر ابن عبد العزيز كثيرا مايتمثل بهذه الأبيات :

يُرَى مـــســتـكينا وهو لِلَّـهـو مـــاقت

به عن حـــديث القـوم مـاهو شـــاغله

وأزعـــــجـــــه علم عن الجـــــهل كـلـه

ومـا عـالم شـيـئـا كـــمن هو جـاهله

عـــبـــوس عن الجـــهـــال حـين يراهمُ

فلـيس له مـنهم خَـــــدِينٌ يهـــــازله

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٩٥ .

تذكَّــــر مــايــبــقى من الــعــيش آجــلا
فـــأشــغلــه عن عــاجــل العــيــش آجله

وأخرج أيـضا من خـبر القاسـم بن غزوان قـال : كان عمـر بن عبدالعزيز يتمثل بهذه الأبيات :

أيقـظان أنــت اليـــــوم أم أنــت نائـم
وكـــيـف يـطيق النوم حــيــــران هائم
فلــو كنت يــقظان الغــــــداة لخـــرَّقَتْ
مــحــاجــر عــينيـك الدمـوع السـواجم
بَلَ اصبـحت في النوم الطويل وقد دنت
إليك أمـــور مـــفــضــعـــات عـظائم
نهـــارك يامــغــرور ســـهـــو وغـــفلة
ولـــيــلـــك نـــوم والــردَى لـــك لازم
يغـــرك مـــايـبلَى وتُشــغل بــالهـــوى
كـــمــا غُـــرَّ باللــذات في النوم حـــالم
وتُشــغَل فــيمـــا ســوف تكره غِـــبَّـه
كـذلك في الدنيـا تعـيش البـهـائم [1]

---

(١) حليـة الأولـيـاء ٣١٨/٥ - ٣٢٠ ، وانظر سـيـرة عـمـر بن عـبـد الـعـزيز لابن الجوزي/ ١٩٣.

إيمانه بالقضاء والقدر :

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من خبر الحكم بن عمر قال: شهدت عمر يقول لحرسه : إن بي عنكم غنى، كفى بالقدر حاجزًا وبالأجل حارسا ، ولأطرحكم من مراتبكم ليجري لكم سنة بعدي، من أقام منكم فله عشرة دنانير ومن شاء فليلحق بأهله (١).

وأخرج محمد بن سعد من خبر أرطاة بن المنذر قال: كان عند عمر بن عبد العزيز نفر يسألونه أن يتحفظ في طعامه و يسألونه أن يكون له حرس إذا صلّى لئلاً يثور ثائر فيقتله، ويسألونه أن يتنحّى عن الطاعون، ويخبرونه أن الخلفاء قبله كانوا يفعلون ذلك . قال لهم عمر: فأين هم ؟ فلمّا أكثروا عليه قال: اللهمّ إن كنتَ تعلم أني أخاف يومًا دون القيامة فلا تُؤمّنْ خوفي (٢).

وقال أبو محمد ابن عبد الحكم وكان عمر بن عبد العزيز يدعو بهذا الدعاء : اللهم رضِّني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أُحب تعجيل ماأخرت ولا تأخير ماعجلت. وكان عمر بن عبد العزيز يقول : مابرح فيَّ هذا الدعاء حتى لقد أصبحت ومالي في شيء من الأمور هوى إلا في مواضع القضاء (٣).

موقفه من الشعراء المداحين :

قال الحافظ ابن كثير : وقال الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥/٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٣٩٨ ، وانظر حلية الأولياء ٥/ ٢٩٢ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١١١ .

قال : لما استخلف عـمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعـراء فمكثوا ببابه أيامًا لايؤذن لهم ولايلتفت إليهم ، فساءهم ذلك وهمّوا بالرجوع إلى بلادهم، فمر بهم رجاء بن حيوة فقال له جرير :

يا أيها الرجلُ المرخي عمامتهُ   هــــذا زمـانكَ فاستـأذن لنا عمرا

فدخل ولـم يذكر لعمر من أمرهم شيئًا ، فمرَّ بهم عدي بن أرطأة فقال له جرير منشدًا :

يا أيها الراكبُ المرخي مطيتهُ   هــذا زمانك إني قدْ مضى زمني

أبلـغ خليفتنا إن كنت لاقيهُ   أني لدى الباب كالمصفودِ في قرن[1]

لاتنسَ حاجتنا لاقـيتَ مغفرةً   قد طال مكثي عنْ أهلي وعن وطني

فدخل عـدي على عمـر بن عبـد العزيز فـقال: يا أميـر المؤمنين الشعراء ببـابك وسهامهم مسـمومة وأقوالهم نافـذة ، فقال : ويحك ياعدي، مالي وللشعراء ، فقال : ياأمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ويجزي عليه ، وقد أنشده العباس بن مرداس مدحة فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أترويِ منها شيئًا ؟ قال : نعم فأنشده :

رأيتـك يـاخيـرُ البريــة كـلـهـا   نشرتَ كتابًا جـاءَ بالحق معـلما

شرعتَ لنا دينَ الهدى بعدَ جوْرِنا   عن الحقِ لما أصبحَ الحقُ مظـلما

ونوّرتَ بالبرهانِ أمــرًا مدلّسًا [2]   واطفأت بالقرآن نـــارًا تضرّما

فـمـن مبلغ عنّي الـنبي محمــدًا   وكلُ امرئ يُجزَى بما كانَ قدّما

---

(١) يعني كالموثق في قيد .

(٢) مدلسًا : مخادعًا - كاذبًا .

أقمتَ سبيلَ الحق بعد اعوجاجهِ وكان قديمًا ركنهُ قدْ تهدّما

تعالى علوّا فوقَ عرش إلهنا وكان مكانُ الله أعلى وأعظما

فقال عمر : من بالباب منهم ؟ فقال : عمر بن أبي ربيعة، فقال أليس هو الذي يقول :

ثم نبهتها فهبَّتْ كعابا (١) طفلةٌ ما تبينُ رجعَ الكلام

ساعة ثم إنها بعدُ قالتْ ويلنا قد عجلتَ يا ابنَ الكرام

أَعَلى غير موعدٍ جئتَ تسري تتخطى إلى رؤوس النيام

ماتجشَّمت ماتريدُ من الأمر ولاحيتَ طارقًا لخصامِ

فلو كان عدو الله إذ فجر كتم وستر على نفسه، لايدخل والله أبدًا ، فمن بالباب سواه ؟ قال : همام بن غالب - يعني الفرزدق- فقال عمر : أو ليس هو الذي يقول في شعره :

هما دلَّياني من ثمانينَ قامةً كما انقض بازٍ أقتمُ الريش كاسره

فلما استوتْ رجلايَ بالأرض قالتا أحيٌّ [فيُرجَى] أم قتيلٌ نحاذرهْ

لايطأ والله بساطي وهو كاذب ، فمن سواه بالباب ؟ قال: الأخطل، قال : أو ليس هو الذي يقول :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعًا ولستُ بآكل لحمَ الأضاحي

ولستُ بزاجرٍ عِيسًا بكورٍ (٢) إلى بَطْحَاء مكّةَ للنجاحِ

---

(١) كعابًا : هي التي نهدَ ثديُها .

(٢) عيسًا : الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف .

ولستُ بزائرٍ بيتًا بعيدًا　　بمكةَ أبتغي فيه صَلاحي
ولستُ بقائم كالعَير[1] أدعو　　قبيلَ الصبح حيَّ على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً　　وأسجد عندَ منبلج الصباح

والله لايدخل علي وهو كافر أبدًا[2]، فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نَعَمْ الأحوص، قال: أليس هو الذي يقول:

اللَّهُ بيني وبينَ سيّدها　　يفرُّ منّي بها وأتبعهُ

فما هو دون من ذكرت، فمن ههنا غيره؟ قال جميل بن معمر، قال: الذي يقول:

ألا ليتَنا نحيا جميعًا وإن نَمُتْ　　يوافقُ في الموتى خريجي خريجَها
فما أنا في طول الحياةِ براغبٍ　　إذا قيل[قد] سوّى عَلَيْها صَفِيحُها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بذلك صالحًا ويتوب، والله لايدخل عليَّ أبدًا، فهل بالباب أحد سوى ذلك؟ قلت: جرير، قال أما إنه الذي يقول:

طرقتكِ صائدةَ القلوب وليس ذا　　حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

فإن كان لابد فأذن لجرير، فأذن له فدخل على عمر وهو يقول:

إن الذي بعثَ النبيّ محمدًا　　جعل الخلافةَ للإمام العادل
وسعَ الخلائقَ عدلهُ ووفاؤهُ　　حتى ارعوى وأقامَ ميلَ المائلِ

---

(١) العَيْر الحمار.

(٢) من المعروف أن الأخطل نصراني، ولو كان مسلما لأقيم عليه الحد بذلك.

إنـــي لأرجو منكَ خيراً عاجـلاً   والنفسُ مولعةٌ بحب العاجـل

فقال له : ويحـك ياجرير ، اتق الله فيما تـقول ، ثم إن جريراً استأذن عمر في الانشاد فلم يأذن له ولم ينهـه ، فأنشده قصيدة طويلة يمدحه بهـا ، فقال له : ويحك ياجـرير لا أرى لك فيما ههنا حـقّا ، فـقال: إني مـسكين وابن سـبيل ، قـال: إنا ولينا هذا الأمـر ونحن لانملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخـذت أم عبد الله مائة وابنهـا مائة وقد بقيت مـائة ، فأمر له بهـا ، فخرج على الشـعراء فقـالوا : ماوراءك ياجريـر ؟ فقال : مـايسوءكم ، خـرجت من عند أميـر المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراض ، ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقـَى الشيطانِ لاتستفزُّه   وقد كانَ شيطاني مِنَ الجنِ راقيا[1]

هذا خبر مـهم في سيرة عمـر بن عبد العزيز رحمـه الله تعالى ، وقد اخترته لأنه يمثل منهجا جديداً فـي ذلك العهد في معاملة الشعراء الذين يقصدون الأمراء بشعرهم فيـمدحونهم طلبا لرفدهم ، وقد كان هذا الاتجاه مشهورا في الجاهلية،ويدخل فيه الغلو والمبالغات والكذب.

ولما قامت دولة الإسلام في المدينة النبوية وفد على النبي ﷺ عدد قليل جدّا من الشعراء ومدحوه بقصائدهم ووصل بعضَهم بشيء رمزي هو عبـارة عن اللباس ونـحوه تكريما لهم ، وكـان مدحهم بـالدرجة الأولى إشـادة بالإسـلام ، وقد كـان إقـرار النبي ﷺ إياهم لأهداف دعوية منها : أن الشـعر كان له - آنذاك - دور كبيـر في رفع القبائل والدول وخفـضها . فكان النبي ﷺ يقصـد من إقرارهم وتكريمهم أن

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٧٣ - ٢٧٥ .

يرفعوا بشعرهم سمعة دولة الإسلام ، وذلك نوع من الجهاد الذي كان يحارب به النبي ﷺ أعداءه ، ولقد أدرك كفار مكة خطورة ذلك عليهم فمنعوا الأعشى ، الشاعر المشهور ، من الوفادة على النبي ﷺ ومدحه بقصيدته المشهورة كما تقدم .

ومنها أنه كان ﷺ يتألف بذلك أولئك الشعراء ليدخلوا في الإسلام، أو ليثبتوا عليه إن كانوا قد أسلموا .

ولقد انقطع هؤلاء الشعراء حينما عزت دولة الإسلام ولم يعد هناك حاجة لتألف البارزين من العرب إلى الإسلام ، وقد تقدم لنا إنكار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد - رضي الله عنهما - حينما قصده الأشعث بن قيس .

ثم عاد الشعراء في عهد بني أمية إلى انتجاع الأمراء ومدحهم وبالغوا في ذلك كثيراً ، إلى أن تولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فقصدوه كما كانوا يقصدون من قبله من الأمراء، فكان له هذا الموقف الإسلامي النبيل المذكور في هذا الخبر .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز يدرك المقاصد الدعوية التي من أجلها أقر النبي ﷺ الشعراء الذين وفدوا عليه ، ويعلم أن تلك المقاصد قد انتهت وخلَفها مقاصد دنيوية تُفْسد بِنيَة المجتمع ، وتشجع على سيادة الأخلاق السيئة ، من الكذب والتغرير والنفاق ، فقطع تلك العادة السيئة ولم تعد إلى الظهور إلا بعد وفاته .

ولقد دل هذا الخبر على أن عمر بن عبد العزيز كان ضليعا في الأدب حافظًا للشعر ،وإن سرعة إدراكه لسوءات أولئك الشعراء

الواقفين على بابه وروايتـه شيئًا من أشـعارهم التي انحطوا فيـها دليل على غزارة حفظه وتمييزه بين جودة المقاصد الشعرية ورداءتها .

ولقد كـان إذنه لأحد أولئك الشعـراء بالدخول عليـه وهو جرير اليربوعي التـميمي من أجل أن يكون رسـولا إلى الشعراء لإعـلامهم بالمنهج الإسلامي الذي يسير عليه عمر بن عبد العزيز ، ولقد أدى هذه الرسالة حـيث غادر أولئك الشعـراء باب أميـر المؤمنين ولم يعودوا ، ولقد كان اختيار جرير لأنه كان أقرب أولئك الموجودين إلى التقوى .

ولقـد اعتـرف جرير بأن الشـياطين كـانوا من وراء الشعـراء في استفزاز الأمراء الممدوحين ، وأن عمر بن عبد العزيز قد تميز بحصانته من أولئك الشياطين .

اهتمامه بالجهاد في سبيل الله تعالى :

الناظر إلى سيـرة عمر بن عـبد العزيز من حيـث اهتمامه الكبـير المتواصل في إصلاح دولة الإسلام من داخلها يظن أنه قد أوقف جهاد الأعداء لشغله أكـثر وقته وفكره في الإصلاحات الداخليـة، خصوصا مع معرفة اهتـمامه بإعادة جيش مسلمـة من القسطنطينية، ولكننا نراه مع قيـامه بتلك الإصلاحـات الكبيـرة قد اهتم بجهـاد الأعداء ولكن بأسلوب يضمن أكبر قدر ممـكن من سلامة جنود الإسلام، وقد رُويت في ذلك أخبـار منها ماذكـر الإمام الطبري بقـوله : وفي هذه السنة- يعني سنة مائة - أغزى عـمر بن عبد العزيز الوليـد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة (١).

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٥٥٦ ، والصائفة هي الحملة العسكرية التي تخرج في الصيف .

ومن ذلك ماأخـرجه ابن سعد من خـبر خالد بن ربيعـة عن أبيه قال: كتب عمر بن عبد العـزيز : إذا دخلتَ الصائفة فلا تتركن أحدا يدخل في أثرهم إلا في قوة وجماعة من الرجال والخيل والعدد [1].

وكذلك ماأخـرجه من خبر صفـوان بن عمرو قال: جـاءنا كتاب عمـر بن عبد العزيز وهو خليـفة إلى عامله : أن لاتقـاتلن حصنا من حصون الروم ولاجـماعة من جماعاتهم حـتى تدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فاكفف عنهم ، وإن أبوا فالجزية ، فإن أبوا فانبذ إليهم على سواء .

وأخرج أيضا من خبر المنذر بن عبيد قال : كتب إليَّ عمر بن عبد العزيز في الذمي يغـزو مع المسلمين فَيُؤَمِّن العـدو، فكتب : لايجوز أمانه ، وقال : إنما قال رسـول الله ﷺ : يجير على المسلمين أدناهم وهذا ليس بمسلم [2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥٥ .

٥ – اهتمامه بمكارم الأخلاق

نفوره من الاتهام بالكذب :

نجد من مواقف عمر بن عبد العزيز تقديره البالغ لمكارم الأخلاق وغضبه واشمئزازه من مساوئها ، ومن أمثلة ذلك ماذكره ابن عبدالحكم من أن عمر خرج مع سليمان بن عبد الملك يريد الصائفة[1] . فالتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء فاقتتلوا، فضرب غلمان عمر غلمان سليمان ، فشكوا ذلك إلى سليمان، فأرسل إلى عمر فقال له: ضرب غلمانك غلماني ، قال : ماعلمت ، فقال له سليمان : كذبت ، قال : ماكذبت مذ شددت عليَّ إزاري وعَلمتُ أن الكذب يَضُرُّ أهله ، وإن في الأرض عن مجلسك هذا لسعة ، فتجهز يريد مصر ، فبلغ ذلك سليمان فشقَّ عليه فدخلت فيما بينهما عمة لهما، فقال لها سليمان : قولي له يدخل عليَّ ولايعاتبني ، فدخل عليه عمر فاعتذر إليه سليمان ، وقال له : يا أبا حفص مااغتممت بأمر ولاأكربني أمر إلا خطرتَ فيه على بالي ، فأقام (٢) .

هذا وإننا لنجد في هذا الخبر إحساسا إسلاميًا رفيعا وإدراكًا بالغا لخطورة الكذب ومهانة مرتكبيه ، فالمؤمن الحق قد يتعرض لبعض الذنوب التي منها ارتكاب الظلم ولكنه لايمكن أبدًا أن يكذب لأن الكذب يتنافى مع الإيمان كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام

(١) يعني الجهاد في الصيف ، وكانوا لشدة البرد في بلاد الروم يخرجون صيفا غالبا .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٧ -٢٨ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٢٩ .

مـالك عن صفـوان بن سُلَيم أنه قـال قيل لرسـول الله ﷺ : أيكون المؤمن جبانا ؟ فقال : نعم ، فقيل له : أيكون المؤمن بخيلا ؟ فقال: نعم ، فقيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ فقال : لا » [١] .

ونظرًا لخطورة الاتهام بالكذب ومـايحدثه في نفس المؤمن الواعي من فزع وهول فإننا نجد عمر بن عبد العزيز قـد فزع كثيراً حينما اتهمه سليمان بن عبد الملك بالكذب ، ونفى عن نفـسه بسرعة أن يكون قد قارف الكذب من حـين بلوغه سنّ التمـييز ، وأنـه قد أدرك في تلك السنِّ المبكرة خطورة الكذب فحمى نفسه من الوقـوع فيه، ويبلغ فزعه من هذه التهمة وتأثره بها إلى حد العزم على مغادرة الشام إلى مصر، لمفارقة البلد الذي اتُّهم فيه بهذه التهمة الفظيعة .

والكذب يعتبر ضعـفا في النفس ، وجبنا عن المواجهة ، ولذلك نجد بعـض الكبراء يُنزهون أنفـسهم منه لامن منطلق منافـاته للإيمان، وإنما من منطلق تعارضه مع الرجولة الكاملة وكونه من صفات النقص والضعف ، فنجد الحجاج بن يوسف مثلا يقول لأحد كتابه : مايقول الناس فيّ ؟ فاستعفاه فلم يُعْفه ، قال : يقولون إنك ظلوم غشوم قتال عسوف كذاب ، قال : كل ماقالوا فـقد صدقوا فيه إلا الكذب فو الله ماكذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله [٢] .

من أمثلة تواضعه :

أخرج الحـافظ أبو القاسم ابن عـساكر من خـبر الحكم بن عـمر

---

(١) موطأ مالك ، كتاب الكلام ، رقم ٢/ ٩٩٠ .

(٢) هامش سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٨ .

الرعيني قال: رأيت عمر بن عبد العزيز إذا صلى المكتوبة انصرف إلى أهله لايتطوع (١) ، وربما جلس فجاء الغريب الذي لايعرفه، وكان يقوم من هذه الحلقة فيجلس مع هذه الحلقة يسأل عن أمير المؤمنين وفي أي حلقة هو ! فيقف لايدري أيهم حتى يشار إليه : هذا أمير المؤمنين ، فيسلم عليه بالخلافة (٢) .

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الإمام الأوزاعي قال: كان عمر ابن عبد العزيز يجلس إلى قاصٍّ العامة بعد الصلاة ويرفع يديه إذا رفع، ودخلت عليه ابنة أسامة بن زيد رضي الله عنهما ومعها مولاة لها تمسك بيدها، فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يدها في يده ويداه في ثيابه ، ومشى بها حتى أجلسها في مجلسه، وجلس بين يديها، وماترك لها حاجة إلا قضاها(٣) .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم وناداه رجلٌ فقال: ياخليفة الله في الأرض. فقال له عمر : مَهْ إني لما ولدت اختار لي أهلي اسمًا فسَمَّوْني عمر فلو ناديتني ياعمر أَجبتُك . فلما كبرت اخترت لنفسي الكُنى فكُنِّيتُ بأبي حفص فلو ناديتني يا أبا حفص أجبتُك . فلما وليتُموني أُموركم سميتموني أمير المؤمنين فلو ناديتني ياأمير المؤمنين أجبتك . وأمَّا خليفة الله في الأرض فلست كذلك ولكن خلفاء الله في الأرض داود النبيُّ عليه السلام وشبهُه قال الله تبارك

(١) أي لايصلي السنة الراتبة في المسجد وإنما يصليها في البيت لكون ذلك أفضل .

(٢) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٤٦ .

وتعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦] (١).

جوابه لمن اتهمه بالكبر :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من حديث الليث بن سعد أن أبا النضر حدثه قال: دسست إلى عمر بن عبد العزيز بعض أهله أن قل له: إن فيك كبرًا وأنك تتكبر، فقيل ذلك له ، فقال عمر : لبئس ماظننتَ إن كنتَ تراني أتوقى الدينار والدرهم مراقبة لله وأنطلق إلى أعظم الذنوب فأرتكبه . الكبرياء إنما هو رداء الرحمن فأنازعه إياه، و لكن كنت غلاما بين الغلمان - أو قال بين ظهري قومي - يدخلون عليَّ بغير إذن ويتوطئون فرشي ويتناولون مني مايتناول القوم من أخيهم الذي لاسلطان له عليهم . فلما أن وليت خيرت نفسي في أن أمكنهم من حالهم التي كنت لهم عليها وأعاقبهم فيما خالف الحق أو أتمنع منهم في بابي ووجهي ليكفوا عني أنفسهم وعن الذي أحذر عليهم لو كنت جرأتهم على نفسي من العقوبة والأدب فهو الذي دعاني إلى هذا(٢).

وهكذا اتُّهم هذا الولي الصالح و الحاكم العادل بالكبر، وإنه لعجيب جدًا أن يُظَنَّ بعمر بن عبد العزيز أنه متكبر وهو الذي خلَّف الدنيا بجاهها ومالها وراء ظهره، ولكن الذين ليست لديهم تجارب إدارية يعتقدون أن المسئول يجب أن يكون بابه مفتوحا للناس في جميع الأوقات، ولايعلمون أنه لو فعل ذلك لأضاع كثيرا من أمور الأمة

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٩٤ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٤٨ .

المهمة التي تحتاج إلى دراسة ونظر ومشورة من أصحاب الشأن، كما أن المسئول يحتاج إلى وقت للتأمل والتفكير فيما يصلح أمور الأمة ويرفع من مستواها المادي والفكري وغير ذلك مما يلزم له الاحتجاب عن عامة الناس بعض الوقت .

مثل من حلمه على من جهل عليه :

أخرج الحافظ ابن عساكر من خبر الإمام الأوزاعي :أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام ثم عاقبه كراهية أن يعجل في أول غضبه .

قال : وأسمعه رجل كلاما فقال له : أردتَ أن يستفزني الشيطان فأنال منك اليوم بما تنال أنت مني يوم القيامة ، انصرف عني عافاك الله ورحمك [1].

مثل آخر من حلمه :

ومن أمثلة تخلقه بخلق الحلم ماأخرجه محمد بن سعد من خبر عمر بن حفص قال: حدثنا شيخ قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز بدابق خرج ذات ليلة ومعه حرسيّ فدخل المسجد فمرَّ في الظلمة برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه إليه فقال: أمجنون أنت ؟ قال: لا، فهمَّ به الحرسي ، فقال له عمر: مَهْ إنما سألني أمجنون أنت فقلت لا[2].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ، وانظر البداية والنهاية ٩/ ٢٠١ وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٥١ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥/ ٣٩٧ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٦ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٥١ .

وهكذا يمثّل عمر بن عبد العزيز القمة في مكارم الأخلاق وقد بلغ القمة في الجاه الدنيوي ، حيث كان أكبر أمير على وجه الأرض، ومع ذلك يحتمل هذه الكلمة القاسية وينهى حارسه لما أراد أن يعاقب ذلك الرجل .

عفوه عن الذي شجه في وجهه :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر قيس بن عبد الملك قال: وقام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته وعرض له رجل بيده طومار، قال فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين ، فخاف أن يحبس دونه فرماه بالطومار، فالتفت أمير المؤمنين فأصابه في وجهه فشجه، فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو في الشمس ، فقرأ الكتاب وأمر له بحاجته وخلى سبيله !! (١).

مثل من عفوه عند الغضب :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر إبراهيم بن أبي عبلة قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوما على رجل غضبا شديداً فبعث إليه فجرده ومده في الحبال، ثم عاد بالسياط حتى قلنا : هو ضاربه ، قال: خلوا سبيله ، أما إني لولا أني غضبان لسؤتك ، وقرأ ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤] (٢).

فهذا الرجل قد أغضب بجهله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣١١ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٥٠ - ١٥١.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٥٠ .

ولكنه وسعه بحلمه ، والحلم عند الجهل من مكارم الأخلاق العالية.

وفي قوله « أردت أن يستفزني الشيطان» إدراك منه لسلاح من أسلحة الشيطان التي يغوي بها أصحاب المسئولية، فيحملهم على السلوك المنافي لمكارم الأخلاق .

ونجده - رحمه الله - يتذكر الآخرة حالا فيبين أن النزول إلى مستوى الجاهلين ينزِّل من درجات المسلم في الآخرة ، بينما تكون عاقبة الصبر على الأذى والحلم عن الجاهلين والإمساك عن الجدل معهم رفعة الدرجات في الجنة كما جاء في قول النبي ﷺ « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا » (١) .

مثل من رحمته بالمجاهدين :

ذكر ابن عبد الحكم أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استفتح خلافته بثلاثة كتب، ذكر منها هذا الكتاب حيث قال: كتب بقفل مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية ، وقد كان سليمان أغزاه إياها برّا وبحرًا وأشفى على فتحها ، ثم خُدع عنها حتى أحرزوا طعامهم وحوائجهم ثم أغلقوها دونه بعد الإشفاء عليها، فبلغ ذلك سليمان فغضب مما فُعل به فحلف أن لايقفله منها مادام حيّا ، فاشتدَّ عليهم المقام وجاعوا حتى أكلوا الدوابَّ من الجهد والجوع حتى يتنحى الرجل عن دابَّته فتقطع بالسيوف فبلغ رأس الدابَّة كذا وكذا درهمًا. ولجَّ سليمان في أمرهم . فكان ذلك يغمُّ عمر فلما ولي رأى أنه لايسعه

(١) سنن أبي داود رقم ٤٨٠٠ ، كتاب الأدب باب ٨ ، والزعيم هو الضامن وربض الجنة يعني طرفها ، والمراء هو الجدال والنزاع .

فيمـا بينه وبين الله عز وجل أن يلي شيئا مـن أمور المسلمين ثم يؤخر قفلهم ساعةً فذلك الذي حمله على تعجيل الكتاب [(١)].

رحمته بالأسرى :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبـهاني من خبر الإمام الأوزاعي قال: كتب عمـر بن عبد العزيز إلى بعض عمـاله : أن فاد أساري المسلمين وإن أحاط ذلك بجميع مالهم [(٢)].

مثل من رحمته بالأيتام :

قـال الحافظ ابن كـثيـر : وخرج ابن له وهو صـغيـر يلعب مع الغلمان فشـجه صبي منهم ، فاحتـملوا الصبي الذي شج ابنه وجاؤوا به إلى عمر ، فـسمع الجلبة فخـرج إليهم فإذا مريئـة تقول : إنه ابني وإنه يتيم ، فـقال لها عمـر : هوني عليك ، ثم قال لها عـمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت: لا قال : فاكتبوه في الذرية ، فقالت زوجته فـاطمة : أتفـعل هذا به وقـد شجَّ ابنك ؟ فـعل الله به وفـعل، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية ،فقال : ويحك إنه يتيم وقد افزعتموه! [(٣)] .

وهكذا يشـمل لطفـه ذلك اليـتيم مع إسـاءته إلى أحـد ابنائه ، ويحظى منه بالتعـويض المالي مقابل ذلك الفزع الذي حـصل له، فما أبلغ رحمة عـمر ، ومأأرق مشـاعره ، وما أسمى تفكيـره في معاملة إخوانه المسلمين !!

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٣٧ .

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٣١٢ .

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٠٢ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٥٠ .

مثل من رحمته بالغلمان :

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من خبر عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: قال لي رجاء بن حيوة : ما أكمل مروءة أبيك، سمرت عنده ذات ليلة فعشى السراج فقال لي : ماترى السراج قد عشى ؟ قلت : بلى ، وإلى جانبه وصيف راقد، قال قلت: ألا أنبهه؟ قال : لا دعه يرقد (١) ، قال : قلت : أفلا أقوم أنا ؟ قال: لا ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه ، قال: فوضع رداءه ثم قال إلى بَطَّة زيت معلقة فأخذها فأصلح السراج ثم ردها إلى موضعها ثم رجع، قال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبدالعزيز (٢).

فهذا الخبر يدل على قلب كبير يعرف مكارم الأخلاق ويقدرها. فهو يؤثر الرحمة بالمستخدمين على القسوة عليهم، ويؤثر اكرام الضيف على تكليفه بخدمته مع أنه أمير المؤمنين وأعظم حاكم على وجه الأرض آنذاك، فالرحمة والتواضع من أخلاق العظماء، ولايتصف بهما إلا من تجرد من حظ النفس وعاش للآخرين بفكره وجسمه ووقته.

رحمته بجاريه له :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر النضر بن سهيل عن أبيه قال: قال عمر بن عبد العزيز لجارية له : ياجارية روحيني، فأقبلت تروحه

---

(١) وفي رواية ابن كثير « لاأحب أن أجمع عليه عملين » .

(٢) تاريخ دمشق ٤٥/٢٢٥ - ٢٢٦ ، وانظر الزهد للإمام أحمد /٢٩٨، والبداية والنهاية ٩/٢٠٣ .

فغـلبتـها عـينها فنامت، فـأخذ المروحـة وأقبل يروحـها، فـانتبـهت فـصاحت، فـقال لهـا عمـر : إنما أنت بشر مـثلي أصابك من الحـرِّ ماأصابني ، وأحببت أن أروِّحك مثل الذي روحتني [1] .

مثل من رحمته بأهل الذمة :

أخرج ابن سعد من خبر عمر بن بهرام الصراف قال: قُرِئ كتاب عمر بن عـبد العزيز علينا : بسم الله الرحمن الرحـيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطأة ومن قِبَله من المسلمين والمؤمنين، سلام عليكم ، فإني أحمـد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: فـانظر أهل الذمة فـارفق بهم ، وإذا كُـبُر الرجل منهم وليس له مـال فأنفق عليه ، فإن كـان له حميم فمُرْ حميمـه ينفق عليه، وقاصِّه من خراجه [2] كمـا لو كان لك عبد فكبـرتْ سِنُّه لم يكن لك بُدّ من أن تنفق عليه حتى يموت أو يعتق [3].

فهـذا مثل على سمـو حكام المسلمين إذا تمثلوا بالإسلام وطبـقوا تعالـيمه ، وهو بالـتالي شاهد علـى عظمة الإسلام الـذي أخرج هذا الحاكم العـادل الرحيم وأمثاله ، فـالذمي الذي يفتقـر لايضيع في دار الإسلام ، لأن حكومة الإسلام ترعاه كما ترعى فقراء المسلمين، وهي لاترجـو منه نفعـا ولادفع ضرر وإنما تمثل بذلك مكارم الأخـلاق التي هي من أعظم مقاصد الإسلام .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز /١٤٦ .

(٢) أي حُطَّ عن صديقه من خراجه ماأنفق عليه .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٠ .

مثل من رحمته بالحيوان :

لم تقتصر رحمة عمر بن عبد العزيز على الإنسان بل شملت الحيوان الأعجم ، ومن أمثلة ذلك ماذكره ابن عبد الحكم رحمه الله من أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله حيان بمصر : إنه بلغني أن بمصر إبلاً نَقَّالات ، يُحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفنَّ أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل (١).

ومن ذلك ما أخرجه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر أبي عثمان الثقفي قال : كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل له على بغل له، يأتيه بدرهم كل يوم ، فجاءه يوما بدرهم ونصف، فقال: مابدا لك ؟ فقال : نَفَقَت السوق، قال : لا ولكنك أتعبت البغل، أرْجِه ثلاثة أيام (٢).

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٦٠ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٦٤ .

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٠ ، وارْجِه بمعنى أخِّره للراحة .

٦ - مواقفه في الزهد والورع والخشية -

خبر بدء إنابته :

أخرج الحافظ ابن عساكر من خبر عبد الله بن كثير قال: قيل لعمر بن عبد العزيز : ماكان بُدُوُّ إنابتك ؟ قال: أردت ضرب غلام لي فقال لي : ياعمر اذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة [١] .

فهذه موعظة صادفت قلبا مهيئا لها فتمكنت منه، وكانت سببا في يقظة عمر بن عبد العزيز وإنابته .

خبره مع سليمان بن عبد الملك بمناسبة البرق والرعد :

أخرج الحافظ ابن عساكر من خبر عبد العزيز بن يزيد الأيلي قال: حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز، فأصابهم ليلة برق ورعد، فكادت تنخلع أفئدتهم، فقال سليمان: ياأبا حفص هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها ؟! قال : ياأمير المؤمنين هذا صوت رحمة الله ، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله ؟![٢].

فهذا مثال على براعة عمر بن عبد العزيز في اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى وترقيق القلوب وإثارة الخشية فيها .

خروجه للنزهة والعبرة في ذلك :

من مواقف عمر بن عبد العزيز رحمه الله في تذكر الآخرة وسرعة استحضاره لأهوالها ماذكر ابن عبد الحكم قال : وخرج عمر

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥/ ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) المرجع السابق ٤٥/ ١٥٣ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢١ .

ابن عبد العزيز مع سليمان بن عـبد الملك إلى مخرج من مخارجه لم يكن عمر قدَّم فيه ثقلا ، فبلغ المنزل فصار كل رجل إلى مضربه الذي قدَّمه ،وصار سليمان إلى حجرة ،ثم فقد عمر فقال : اطلبوه فما أراه قدَّم شيئًا،فطُلب فوُجد تحت شجرة باكيا ، فأُخبر بذلك سليمان فدعاه فقال: مايبكيك ياأبا حفص؟ قال: أبكاني ياأمير المؤمنين أني ذكرت يوم القيامة،من قدَّم شيئًا وجده،ولم أقدم شيئًا فلم أجد أشيئًا (١) .

وهكذا رأينا مثالا للوعي الدقيق والتذكر البليغ لأهوال يوم القيامة وأسباب النجاة فيه ، فحينما خرج عمر بن عبد العزيز ولم يُخْرِج معه متاعا ذهب كل إنسان بما أعد لنـفسه ، وبقي عمر بدون شيء ، وكان بإمكانه أن يطلب من أمير المؤمنين سليمـان بن عبد الملك مايشاء وهو الأثيـر عنده ، ولكن غلب عليـه تذكر الآخـرة فـأثار شجـونه وأبكاه وشغله عن البحث عما يحتاجه من متاع الدنيا .

وهكذا تكون قلوب أهل اليقظة والتفكر ، فإذا وقع الإنسان منهم في عسـر وشدة تذكر شدائد يوم القـيامة ، فشـغله التفكير فيـها عن التألم لوضعه الحاضر في الدنيا .

وإذا أنعم الله عليه بنعم الدنيا تذكر عظمـة نعيم الآخرة فزهد في الدنيا ، ودفعه ذلك إلى شكر المنعم جلا وعلا .

ويشبه هذا الموقف مـاذكره ابن عبد الحكم قال : وخـرج سليمان ابن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز إلى الحج فأصابهم مطر شديد ورعد وبرق ، فقال سليمان : هل رأيت مثل هذا ياأبا حفص؟ فقال:

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٢٧ .

ياأمير المؤمنين هذا في حين رحمته فكيف في حين غضبه [1] .

خبره مع الغراب وما فيه من العبر :

قال الحافظ ابن كثير : وقال عثمان بن زبر: أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال، فقال سليمان : ماتقول ياعمر في هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضا وأنت المسئول عن ذلك كله ، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ونعب نعبه، فقال له سليمان : ماهذا ياعمر ؟ فقال : لاأدري ، فقال ماظنك أنه يقول؟ قلت : كأنه يقول : من أين جاءت وأين يُذهب بها ؟ فقال له سليمان: ماأعجبك !! فقال عمر : اعجب ممن عرف الله فعصاه، ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها [2] .

ونجد في هذا الخبر أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك كان معجبا بحكمة عمر بن عبد العزيز وتأملاته العميقة في أمور الدنيا وربطها بأمور الآخرة .

ونجد عمر عبد العزيز في هذا الخبر وأمثاله يغتنم الفرص ليوجه من حوله إلى الاستقامة على أمور الدين وتذكُّر الحياة الآخرة، فهو حينما سأله سليمان عن نعب الغراب وهو يحمل تلك اللقمة اغتنم الفرصة ليذكِّره بلزوم الاستقامة في كسب الأموال وإنفاقها ، وإذا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٣٠، وانظر البداية والنهاية ٩/ ١٨٧ .

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٠٤ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٧٠ .

ضمن الإنسان الاستقامـة في ذلك فقد ضمن الرزق الحلال الخالي من الحرام والشبهات وضمن الإنفاق الحلال الخالي من السرف والخيلاء.

وحينمـا تعجب سليمـان من تفكير عـمر زاده موعظة ببـيان أن العجب الحـقيقي أن ينحـرف المسلم عن الطريق المستـقيم الموصل إلى رضوان الله تـعالى والجنة بعدمـا عرف هذا الطريق وعـرف المستـقبل الأخروي لمن استقام عليها ولمن انحرف عنها .

خشيته من العذاب بالريح :

أخرج الحـافظ أبو نعيم الأصبـهاني من خبـر سلام بن أبي مطيع قال: نُبِّـئتُ أن عمر بن عبـد العزيز لما قام هاجت ريح، فـدخل عليه رجل فإذا هو منتـقع اللون ، فقيـل له : ياأمير المؤمنين مـالك؟ قال: ويحك وهل هلكت أمة قط إلا من الريح [1].

فأكثر الناس يرون الريح ويحسون بها ولاتثير في أنفسهم شيئا من الخشية لاعتيادهم عليهـا ، ولكن عمر بن عبد العزيز تذكر على الفور عذاب الله تعالى للأمم السابقة فتأثر تأثرا شديدا من ذلك، وهذا دليل على يقظة ضميره وقوة خشيته من الله تعالى .

خشيته من ارتكاب السيئات بمكة :

ذكر الشيخ أبو حـفص عمر بن محمد المَلاَّء من خـبر القاسم بن محـمد بن أبي بكر : أن عـمر بن عبـد العزيز كـان يقيم في عـمرته يومين ويخرج في الثـالث : فقال له عـبد الله بن عمر بن عـيسى بن عمـار: لو أقمت فاستـمتعتَ بهـذا البيت واستـمتعنا معك ! فـقال:

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣١٣ .

ماأظن أحدا منكم أشد حبا لهذا البيت مني، ولكن والله لكأني على الرَّضَف [1] من حين أدخله إلى حين أخرج فرقًا من أن أُحدث .

قال : وهذا حينما كان واليا على المدينة زمن الوليد [2].

فهذا مثل من تعظيم عمر بن عبد العزيز للحرم المكي وخشيته من أن يكتب في صحيفته مخالفة وهو فيه لما كان يعلم من نكارة الذنوب فيه وضخامة عقوبة مرتكبيها، بالرغم من علمه بمضاعفة الحسنات فيه إلى مائة ألف ، ولكن لشدة خشيته فإنه يؤمن بأن اجتناب السيئات مقدم على اجتلاب الحسنات .

زهده في مظاهر الخلافة :

من مواقفه التي جرت منه بعدما بويع بالخلافة انصرافه عن مظاهر الدنيا وتحكيمه للكتاب والسنة في دقيق الأمور وجليلها، قال ابن عبد الحكم رحمه الله : ولما دُفن سليمان وقام عمر بن عبد العزيز فقرِّبت إليه المراكب قال : ماهذه ؟ فقالوا : مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول ما يلي ، فتركها وخرج يلتمس بغلته، وقال : يامزاحم ضمَّ هذا إلى بيت مال المسلمين ، ونُصبت له سرادقات وحُجَر لم يجلس فيها أحد قط كانت تضرب للخلفاء أول مايَلُون، فقال : ماهذه؟ فقالوا : سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أو ما يلي ، قال : يامزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين ، ثم ركب بغلته وانصرف إلى الفرش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد قط يفرش للخلفاء أول مايلون، فجعل يدفع ذلك برجله حتى يُفضي

(١) أي الحجارة المحماة .

(٢) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز / ٤٧ .

إلى الحصير ، ثم قال : يامزاحم ضمَّ هذا لأموال المسلمين .

قال : وبات عيال سليمان يُفَرِّغون الأدهان والطيب هذه القارورة إلى هذه القارورة ، ويلبَسُون مالم يُلبَسُ من الثياب حتى تتكسر، وكان الخليفة إذا مات فما لُبس من الثياب أو مُسَّ من الطيب كان لولده، ومالم يُلبس من الثياب وما لم يُمَسَّ من الطيب فهو للخليفة بعده ، فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان : هذا لك وهذا لنا ، قال: وماهذا وماهذا ؟ قالوا : هذا مالبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب فهو لولده ، ومالم يمسَّ ولم يلبس فهو للخليفة بعده وهو لك، قال عمر : ماهذا لي ولا لسليمان ولا لكم ، ولكن يامزاحم ضمَّ هذا كله إلى بيت مال المسلمين ، ففعل .

فتوامر الوزراء فيما بينهم فقالوا : أما المراكب والسرادقات والحجر والشوار [1] والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ماقد علمتم ، وبقيت خصلة وهو الجواري نعرضهن عليه ، فعسى أن يكون ماتريدون فيهن ، فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده ، فأُتِي بالجواري فعُرِضن عليه كأمثال الدُّمَى ، فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة : من أنت ولمن كنت ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف أخذت ، فيأمر بردهن إلى أهليهن، ويُحملن إلى بلادهن حتى فرغ منهن ، فلما رأوا ذلك أيسوا منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق [2] .

---

(١) يعني اللباس والزينة ومتاع البيت .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم /٣٨ - ٤٠ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٤٢ .

وهكذا رأينا مشهداً من العادات السيئة والمظاهر الدنيوية التي توارثها الأمراء قبل عمر بن عبد العزيز وأصبحت تتراكم شيئًا فشيئا حتى وصلت إلى حد لايختلف كثيرًا في الأبَّهة والتعاظم عما كان عليه ملوك فارس والروم ، وكان الأمراء يرون في تلك المظاهر تثبيتًا لحكمهم وتعظيما لهيبة السلطان في نفوس الرعية .

ولما تولى عمر بن عبد العزيز رأى أن قيمة تلك المظاهر أُخذت من بيت مال المسلمين بدون حق،إلى جانب كونها تنطلق من خُلق الكبر الذي جاء ذمه في الإسلام،وتتنافى مع خلق التواضع الذي جاء مدحه في الإسلام،فأمر مولاه مزاحمًا بأن يُدخلها في بيت مال المسلمين،وركب مركبه السابق الذي لايميزه عن عامة المسلمين وأوساطهم.

وفي هذا الخبر تبين لنا كيف كان الولاة يتصرفون بأموال المسلمين بغير حق ، ويبتكرون عوائد من الحقوق الخاصة بالوالي الذاهب والوالي القادم في أموال ليس لهم حق التصرف فيها .

وفي تصرف عمر إزاء ذلك مثل واضح على عدله ورعايته لحقوق المسلمين العامة حيث رد تلك الأطياب والملابس إلى بيت مال المسلمين، وبيَّن أنه ليس له حق فيها ولا للأمير الذي قبله وأن هذه العادة مخالفة للإسلام .

كما أن في هذا الخبر دلالة على رعاية عمر للحقوق الخاصة، فتلك الجواري التي كانت تساق كالدُّمَى ، وقد حُرِمن من المطالبة بحقوقهن ، واعتُبِرن من جملة المتاع الذي يرثه الأمراء خلَفًا عن

سلف، قد نظر عمـر في أمرهن من ناحية الشرع فلمـا تحقق أنهن قد أُخذن بطريقة غير مشروعة أعادهن إلى أهاليهن .

ونجد في هذا الخبر مثلا من تفكيـر أصحاب النفوذ ممن ألفوا تلك المظاهر والعوائد ، حـيث أرادوا اختبـار عمر بالجـواري لما ردَّ الفرش والأثاث والبيـوت لأن داعي الاحتفـاظ بالجواري أقـوى لدى النفوس التي لاتلتزم في سيرها بهدي الإسلام الشامل لكل نواحي الحياة، فلما ردَّ الجـواري أيسوا منه وعـرفـوا أنه سيـحـمل الناس على الحق الذي يعرفونه ولكنْ يمنعهم من العمل به اتباع الهوى المنحرف .

زهده في مخصصات الخلافة :

من مواقف عمر بن عبد العـزيز في الورع ماذكره ابن عبد الحكم قال : وكان عمر قد طلق نفسه من الفيئ فلم يُرزَق منه شيئًا إلا عطاء مع المسلمين ، فدخل عليـه ابن أبي زكريا فقال : ياأمـير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بشـيء ، قال : قـل ، قـال : قد بـلغني أنك ترزق العامل من عـمالك ثلاثمائة دينار ، قـال : نعم ، قال : ولمَ ذلك؟ قال : أردت أن أغنيهم عن الخيانة ، قـال: فأنت ياأمير المؤمنين أولى بذلك ، قال : فأخرج ذراعه وقال : ياابن أبي زكريا إن هذا نبت من الفيئ ولست معيداً إليه منه شيئًا أبدًا (١) .

وهكذا حرم عمر نفسه من الأجر الذي يعطيه للولاة تورعا ، ولو سوَّى نفسه بهم لم ينكر عليه أحد ، بل لو زاد عنهم قليلا مقابل كثرة نفقته لمنصبـه لما كان ذلك منكرا ، ولكنه تورع عن ذلك، وكان تذكره

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٦ .

للتجاوز الذي كان من ولاة عشيرته مانعًا له حتى من أخذ حقه في بيت المال فرحمه الله رحمة واسعة .

مثل من طموحه نحو المعالي :

أخرج محمد بن سعد من خبر سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء قال: قال عمر بن عبد العزيز : إن نفسي هذه نفس تواقة، وإنها لم تعط شيئا إلا تاقت إلى ماهو أفضل منه، فلما أُعطِيَت الذي لاشيء أفضل منه في الدنيا تاقت إلى ماهو أفضل من ذلك .

قال سعيد : الجنة أفضل من الخلافة [١].

فهذه المقارنة تبين لنا عظمة عمر بن عبد العزيز ورجاحة عقله وسمو تفكيره ، فإن أعلى منزلة في الدنيا لاتعادل أدنى منزلة في الجنة، فمن ضيع منازل الجنة بالحرص على منازل الدنيا كان من الخاسرين .

ورعه عما حمل على دواب البريد :

مثل آخر من ورع عمر الدقيق رحمه الله فقد أتت إليه سلتا رطب من الأردن ، فقال: ماهذا ؟ قالوا :رطب بعث به أمير الأردن، قال : علام جيء به ؟ قالوا : على دواب البريد، قال: فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين، أخرجوهما فبيعوهما واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد ، فغمزني [٢] ابن أخيه فقال لي : إذهب فإذا قامتا على ثمن فخذهما عليّ ، فجئت بهما إلى ابن أخيه فقال:

(١) طبقات ابن سعد ٥/٤٠١ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/٢٠٨ .

(٢) القائل هو راوي الخبر أبو شيبان وهو الذي قدم بالرطب .

اذهب بهذه الواحدة إلى أمير المؤمنين ، وحبَس لنفسه واحدة، فأتيته بها فقال : ماهذا ؟ قلت : اشتراهما فلان ابن أخيك فبعث إليك بهذه وحبس لنفسه الأخرى ، قال: الآن طاب لي أكله (١) .

وهذا مثال دقيق على ورع عمر واهتمامه البالغ بالحلال والحرام فإن فكر المسلم العادي لايذهب إلى السؤال عن الدواب التي حُمل عليها الطعام ، وإنما قد يسأل عن الطعام نفسه من باب التحري، ومع أن البريد لم يأت من أجل ذلك التمر فإن عمر رده تورعا ، وأمر بجعل ثمنه علفًا لدواب البريد ، وحينما تصرف ابن أخيه ذلك التصرف الحسن فأهداه من ذلك التمر أكل منه طيبةً به نفسه، فما أعظم الإسلام متمثلاً في صدور السابقين بالخيرات الذين يميزون بين الحلال الخالص والشبهات التي قد توصل إلى الحرام !

رده أحد أملاكه من الإقطاع :

من مواقفه رحمه الله في الورع ماحدث به الإمام عبد الله ابن المبارك رحمه الله تعالى قال : قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم- وكان مزاحم مولاه وكان فاضلا - قال : إن هؤلاء القوم - يعني أهله- أقطعوني مالم يكن لي أن آخذه ولا لهم أن يعطوني ، وإني قد هممت بردها على أربابها قال فقال مزاحم : فكيف تصنع بولدك؟ قال: فَجَرَتْ دموعه على وجنته وجعل يمسحها بأصبعه الوسطى ويقول: أَكِلُهم إلى الله ، قال عبد الله : وكأن مزاحما - مع فضله-

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٩٤ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٣٣ .

لم يقنع بقوله : فخرج مزاحم فدخل على عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز ، فقال : إن أمير المؤمنين قد همَّ بأمر لَهُو أضرُّ عليك وعلى ولد أبيك من كذا وكذا ، إنه همَّ بردِّ السهلة - قال عبد الله : وهي باليمامة وهي أمر عظيم - قال : وكان عيش ولده منها ، قال عبد الملك : فماذا قلت له ؟ قال كذا وكذا ، قال : بئس لعمر الله وزير الخليفة أنت ، قال : ثم قام ليدخل على عمر بن عبد العزيز وقد تبوأ مقيله، قال : فاستأذن فقال له البواب : إنه قد تبوأ مقيله، قال : مامنه بد ، قال : سبحان الله ألا ترحمونه ! إنما هي ساعته، قال : فسمع عمر صوته فقال : عبد الملك ؟ قال : نعم ، قال : ادخل ، فدخل ، قال : ماجاء بك ؟ قال : إن مزاحما أخبرني بكذا وكذا ، قال : فما رأيك فإني أريد أن أقوم بالعشية ؟ قال: أرى أن تعجله فما تأمن أن يحدث الله بك حدثا ، قال: فرفع يديه وقال: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على ديني ، قال: ثم قام من ساعته فجمع الناس وأمر بردها [1] .

وهكذا لما علم أن تلك المزرعة التي باليمامة قد آلت إليه عن طريق الإقطاع من الولاة الذين سبقوه تحرج من بقائها في ملكه، لأنه ليس كل المسلمين نالوا مثل ذلك، فلم ير أن له حقّا في الاختصاص بملكها، فردها إلى بيت مال المسلمين، مع ماذُكر من أنها ملك عظيم وأن عيش أولاده منها، وهذا مثال على إحساسه الدقيق وورعه العميق.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٨٩ - ٩٠ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/١٧٩--١٨٠ .

وفي هذا الخبر يظهر عـبد الملك بن عمر بن عبدالعـزيز ورعا تقيا كأبيه، وبهـذا الإيمان القوي والسلوك العالي كان عبـد الملك عونا لأبيه في حمل الناس على الاستقامة، خاصة فما يتعلق بأسرته رحمهما الله تعالى.

مقدار مارده من ماله لبيت المال :

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من خـبر عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز قال: دعاني أبو جعفر [1] فقال : كم كانت غلة عمر حين أفضت إليه الخلافة ؟ قلت: خمـسون ألف دينار، فقال: كم كانت يوم مات ؟ قلت : مازال يردها حتى كـانت غلته مائتا دينار، ولو بقي لردها [2].

وإذا كانت غلة أملاكه خمسين ألف دينار فكم هي قيمتها ؟! إنها مبلغ كـبير ، ومع ذلك عفَّ عنه ورده إلى بيت مـال المسلمين، فخلَّد بذلك ذكره في الدنيا وحاز على الدرجات العُلَى في الآخرة .

مثل من تورعه عن مال المسلمين :

أخرج الحافظ ابن عساكر من خبر يزيد بن أبي حبيب قال: وقيل لعمر بن عبد العزيز : ياأمير المؤمنين لو أنك أخذت كما يأخذ عمر بن الخطاب، يأخذ درهمين كل يوم ، قال: إن عـمر لم يكن له مال، وأنا لي مال يغنيني عن ذلك، ورد عمر بن عبد العزيز في بيت المال ماكان أعطاه سليمان والخلفاء قبله [3].

---

(١) هو أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور .

(٢) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢١٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٥ / ٢١٢ .

استجابة دعائه في ابنه الصغير :

من مواقفه أيضًا في الورع رحمه الله ماقام به من رد أمواله التي شك في أصل اكتسابها إلى بيت مال المسلمين، وفي ذلك يقول: مامن شيء إلا وقد رددته في مال المسلمين إلا العينَ التي بالسويداء فإني عمدت إلى أرض براح ليس فيها لأحد من المسلمين ضربة سوط فعملتها من صلب عطائي الذي يُجمع لي مع جماعة المسلمين، فجاءته غلتها مائتا دينار ، وجراب فيه تمر صيحاني وتمر عجوة، فقال: هات اصببْ للقوم من هذه العجوة فهي أبرد وأصح .

وهكذا رد عمر أمواله إلى بيت مال المسلمين لاعتقاده بأن أصلها من مال المسلمين العام،وأن الولاة الذين سبقوه أعطوه إياها بغير حق لأنهم لم يعطوا سائر المسلمين مثلها ماعدا ذلك البستان الذي ذكر في السويداء حيث كان من عطائه الذي يأخذ مثله أي فرد من المسلمين، فأصبح يأكل من غلته القليلة وهو قرير العين لأن أصله حلال ليس فيه شبهة .

وجاء في سياق هذه الرواية « قال : وسمع النساء بمال قد قدم عليه فأرسلن إليه بابن له غلام ليعطيه من ذلك المال ، فلما جاء الغلام قال : احفنوا له من ذلك التمر ، فحفنوا له من ذلك، فخرج الغلام فرحًا حتى إذا انتهى إلى النساء فرأين التمر ضربن الغلام، ثم قلن له: اذهب فانثره بين يديه،فأقبل الغلام فنثره بين يديه وأهوى بيديه إلى الذهب ، فقال عمر للوليد بن هشام من آل أبي معيط :أمسك يديه ياوليد، فأمسك يديه الوليد ، ودعا عمر بدعاء له كثير،وكان من

دعائه اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، بَغِّض إلى هذا الغلام هذا الذهب كما حبَّبتها إلى فلان بن فلان ، أرسل يديه ياوليد، فارتعشت يداه فما مس منها ديناراً وانصرف ، فقال له رجل : لقد استجيبت لك ياأمير المؤمنين ، ثم قال عمر : أخرجوا زكاة هذه المائتي دينار [1] فقال الرسول : ياأمير المؤمنين لقد أُخِذ خرص هذا الحائط، قال : يابني ليس هذا من عملك ، قال: فأخرجوا خمسة دنانير ، ثم قال: دلوني على رجل أعمى ليس له قائد، قال: بينما القوم يتذاكرون، قال عمر: لقد وقعت عليه وقد ذكرته وهو الشيخ الجزري الأعمى، يأتي في الليلة المظلمة الماطرة ليس له قائد، أخرجوا له ثمن قائد، لاكبير يقهره ولاصغير يضعف عنه، قال: فأخرجوا له منها خمسة وثلاثين ديناراً قال: ثم دعا عمر بالذي يقوم على نفقة أهله فقال: خذ هذه الذهب فأنفقها على عيالنا إلى أن يخرج عطائي مع المسلمين أو يقضي الله قبل ذلك [2] .

وفي هذا الخبر رأينا فزع عمر حينما جاء ولده الصغير فرمى بالتمر وأخذ الذهب ودعا الله تعالى أن يبغِّض إليه الذهب فارتعشت يدا الولد ، ولم يمسَّ منها ديناراً ، وهكذا استجاب الله تعالى دعوة ذلك

---

(١) يعني غلة بستانه .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٤٧ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٩١ .

الإمـام العـادل في الحـال ، وهذا دليل على قـربه من الـله تعـالى وصلاحه.

ونجد عمر في هذا الخبر مع شدة احـتياجه للمال وقلة غلة بستانه ينفق منها خمسة وثلاثين ديناراً أجرة لقائدٍ خصصه لرجل أعمى .

فمـا أعظم عمـر بن عبـد العزيز ! وماأشـد إحسـاسه بحـاجات الناس!

أمثلة من تحريه في ملكية الجواري :

من ذلك خبـر الجارية التي أهدتهـا إليه زوجتـه فاطمة بنت عـبد الملك ، فـقـال للجـارية : لمن كنـت ؟ قـالت : وهبني عـبـد الملك لفـاطمة، قـال : فلمن كنت قبـل عبـد الملك ؟ قالت : كنت لقـوم بالبصرة فـأخذ عاملها أمـوالهم ، فكنت فيما أخـذه ، فبعث بي إلى عبدالملك فوهبني لفاطمة ، فدعا عمر بالبريد فكتب إلى عامل البصره فأمره بردها إلى أهلها [1] .

فهذا مثل من أمثلة بعده عن شـهوات الدنيا ، وتحريه عن مصادر الأموال ليعيد الحقوق إلى أصـحابها، فقد بحث عن أصل ملكية تلك الجارية حتى تبين له أنهاْ وصلت إلى فـاطمة بنت عبد الملك من طريق غير صحيح فأعادها إلي أهلها .

وأخرج الحافظ أبو نعيم الأصبـهاني من خبر إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى قال حدثني أبي عن جـدي. قال: كانت لفاطمة بنت

(١) سيرة عـمر بن عبد العزيز لابن عبـد الحكم / ٦٠ ، وانظر سيرة عمر بن عـبد العزيز لابن الجوزي / ٨٧ ، ١٣١ .

عبد الملك امرأة عمر جارية، فبعثت بها إليه وقالت إني قد كنت أعلم أنها تعجبك وقد وهبتها لك فتناول منها حاجتك. فقال لها عمر اجلسي ياجارية فو الله ماشيء من الدنيا كان أعجب إلي أن أناله منك، فأخبريني بقصتك وماكان من سبيك ؟ قالت : كنت جارية من البربر جنَى أبي جناية فهرب من موسى بن نصير عامل عبد الملك على أفريقية فأخذني موسى بن نصير فبعث بي إلى عبد الملك فوهبني عبد الملك لفاطمة فأرسلت بي إليك ، فقال: كدنا والله نفتضح، فجهزها وأرسل بها إلى أهلها (١).

وهكذا سما عمر بن عبد العزيز بإيمانه القوي ويقينه الراسخ على شهوات النفس ، مع أن الظاهر من الخبر أن تلك الجارية مباحة له بعد أن أهدتها إليه زوجته التي تملكها، ولكنه لم يكن في وقته متسع للنساء بعد أن شغل جُلَّ وقته بأمور الرعية ، ثم ألهمه الله تعالى إلى البحث عن أصل تلك الجارية فتبين له أنها وصلت بطريق غير مشروع فردها إلى أهلها لأنها لم تعُدْ جارية مملوكة بل حرة اغتصبت من أهلها، وهكذا يفتح الله تعالى على السابقين بالخيرات أنواراً من الفرقان يفرقون بها بين الحق والباطل .

تورعه عن مزارع خيبر :

ومن ذلك ماجاء في رواية لابن عبد الحكم قال: وكان عمر ابن عبد العزيز نظر في مزارعه فخرق سجلاتها حتى بقيت مزرعتا خيبر والسويداء فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه ؟ قيل : كانت في نِحَل

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٦٠ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ١٩٥ ، والبداية والنهاية ٩/ ٢٠١.

رسول الله ﷺ فتركها رسول الله ﷺ فيئا للمسلمين ثم صارت إلى مروان أبيك ، ثم أعطاكها أبوك ، فخرق عمر سجلها وقال : أتركها حيث تركها رسول الله ﷺ (١) .

فهذا مثل على ورع عمر بن عبد العزيز واحتياطه بالبعد عن الشبهات، فحيث علم أن أصل مزرعة خيبر قد جعلها رسول الله ﷺ فيئًا للمسلمين ، فإنه قد جعلها كذلك، مع أنه لم يبحث طريق وصولها إلى جده مروان .

تورعه عن حلي زوجته :

ومن ذلك خبر حُليٍّ زوجته فاطمة حيث قال لها : قد علمتِ حال هذا الجوهر ، وما صنع فيه أبوك ومن أين أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت ثم أطبع عليه وأجعله في أقصى بيت مال المسلمين ، وأنفق مادونه ، فإن خلُصْت إليه أنفقته، وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنَّه إليك، قالت له : افعل ماشئت ففعل ذلك، فمات رحمه الله ولم يصل إليه ، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبدالملك ، فامتنعت من أخذه ، وقالت : ماكنت لأتركه ثم آخذه، فقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه (٢) .

فهذا ابتلاء داخل بيت عمر حيث تذكَّر أن حلي زوجته فاطمة

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦١ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٩٠ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٢ .
وانظر الكامل لابن الأثير ٤/ ١٥٣ .

بنت عبد الملك قد أعطاه إياها أبوها ، ولعله كان من مال المسلمين العام، فلم يسعه أن يبقيه بيدها وقد أخذ على نفسه أن يعيد إلى بيت مال المسلمين كل ما أُخذ منه بغير حق .

وقد كانت له مطيعة بارة ، ثم تبين ورعها حين رد ذلك الحلي إليها أخوها يزيد فلم تأخذه .

لقد استطاع عمر بتوفيق الله تعالى أن يؤثر عليها وعلى بنيه، وأن يكوِّن أسرة عالية في الصلاح والتقوى رحمهم الله جميعا .

تورعه عن صرف شيء من المال العام في الحج :

ومثل آخر من ورعه وسمو هدفه في هذه الحياة، فقد قال لمولاه مزاحم : إني قد اشتهيت الحج فهل عندك شيء ؟ قال: بضعة عشر دينارا ، قال : وماتقع مني ؟ ثم مكث قليلا ، ثم قال له : ياأمير المؤمنين تجهز فقد جاء مال سبعة عشر ألف دينار من بعض مال بني مروان ، قال : اجعلها في بيت المال ، فإن تكن حلالا فقد أخذنا منها مايكفينا ، وإن تكن حراما فكفانا ماأصبنا منها .

فلما رأى عمر ثِقَل ذلك عليَّ قال: ويحك يامزاحم، لايكثُرنَّ عليك شيء صنعتُه لله ، فإن لي نفسا توَّاقة ، لم تتق إلى منزلة فنالتها إلا تاقت إلى ماهي أرفع منها ، حتى بلغت اليوم المنزلة التي ليس بعدها منزلة وإنها اليوم قد تاقت إلى الجنة (١) .

ففي هذا الخبر تورع عمر رحمه الله عن ذلك المال الذي لايدري

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٢ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٥٣ .

هل هو حلال أم حرام ؟ ولم يرض أن ينفق منه في الحج كما كان قبل ذلك لايرضى أن ينفق على نفسه من مال فيـه شبهة ، بل إن موضوع النفقة في العبادة أولى بالتحري والبعد عن الشبهات .

وفي آخر الخبر مـثل من سمو تفكيره وعلو مقـصده ، حيث ذكر وصوله إلى أعلى قمة في الحياة الدنـيا ، وأن نفسه قد تاقت إلى ماهو أعلى من ذلك بكثير وهو الظفر بنعيم الجنة، فأصبح يُسخِّر كل مابيده من سلطان للوصول إلى الجنة، ولذلك كان قويا في عدله، حازما في قراراته لأن هدفه الأعلى لايحصل له إلا بذلك .

أما الذين يجعـلون هدفهم منازل الحياة الدنيا فـإنهم يترددون في إصدار القـرارات ويتناقضـون فيـها بين الحين والآخر، لأنـهم يراعون أمور الدنيا ، وهي متقلبة بتقلب أبنائها .

تورعه عن دماء الناس وأموالهم :

هذا ومن نماذج تورعه عن دمـاء الناس وأموالهم ماجاء في كـتابه إلى عدي بن أرطأة ، عامله على البصرة حيث قـال فيه: أما بعد فقد جاءني كتابك تذكـر أن قِبَلَك عُمَّالاً قد ظهرت خـيانتهم، وتسألني أن آذن لك في عـذابهم، كـأنك ترى أنـي لك جُنَّة من دون الله ، فـإذا جاءك كتابي هذا فإن قامت عليـهم بينة فخذهم بذلك، وإلا فأحلفهم دُبُر صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو مـا اختانوا من مال المسلمين شيـئًا ، فـإن حلفوا فـخل سبـيلهم ، فإنما هو مـال المسلمين، وليس للشحـيح منهم إلا جهـد أيمانهم، ولعمـري لأن يلقوا الله بخـياناتهم

أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم ، والسلام (١) .

وهكذا كان عمر رحمه الله شديدًا في محاسبة الولاة ، حريصا على أموال المسلمين ، ولقد فهم والي البصرة أن مما يترتب على هذا المنهج أن يقوم بتعذيب العمال الذين ظهرت خيانتهم ، فاستأذن أمير المؤمنين عمر في ذلك، فكان جوابه جواب الرجل الذي يخشى الله تعالى في دماء المسلمين وأعراضهم .

وقد أشار إلى نقطة مهمة وهي أن كل وال مسئول عن عمله وعن كل مايقوم به من إحسان أو عقوبة، وأن صدور الأوامر من مسئول أعلى منه لايسوِّغ وقوعه في الخطأ والتجاوز لأن المسئول الأعلى قد لايعلم تفاصيل الأمر كما يعلمها هو .

ويبين في كتابه لذلك الوالي أنه إذا قامت البينة على مسئول بخيانة فيجب أخذه بذلك،وإن لم تقم عليه بينة فيكفي لبراءته ظاهرا أن يحلف بعد صلاة العصر بالله الذي لاإله إلا هو مااختان من مال المسلمين شيئًا .

ثم يختم عمر كتابه ببيانماينتظره وينتظر الولاة من الوقوف للحساب بين يدي الله تعالى فيما إذا وقع منهم ظلم للآخرين، وفي هذا تذكير للمسئولين بأن يراقبوا الله سبحانه، ويتذكروا وقوفهم بين يديه للحساب ، وهذا يجعلهم يترددون كثيرًا قبل أن يقدموا على ثواب أو عقاب .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٥ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٦٨ .

نماذج من تورعه عن المال العام :

ومن ذلك أنه وفد عليه بريد من بعض الآفاق، فانتهى إلى باب عمر ليلا فقرع الباب فخرج إليه البواب فقال : أعْلِم أمير المؤمنين أن بالباب رسولا من فلان عامله ، فدخل فأعلم عمر، وقد كان أراد أن ينام، فقعد وقال: إئذن له ، فدخل الرسول فدعا عمر بشمعة غليظة فأججت نارًا ، وأجلس الرسول، وجلس عمر فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد، وكيف سيرة العامل وكيف الأسعار ، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء السبيل والفقراء، وهل أعطى كل ذي حق حقه، وهل له شاك وهل ظلم أحدا ؟

فأنبأه بجميع ماعلم الرسول من أمر تلك المملكة، فلم يدع شيئًا إلا أنبأه به، كل ذلك يسأله فيحفي السؤال حتى إذا فرغ عمر من مسألته قال له : ياأمير المؤمنين كيف حالك في نفسك وبدنك؟ وكيف عيالك وجميع أهل خزانتك ومن تُعْنَى بشأنه ؟ قال : فنفخ عمر الشمعة فأطفأها بنفخته وقال: ياغلام عليَّ بسراج، فدعا بفتيلة لاتكاد تضيء فقال : سل عما أحببت ، فسأله عن حاله فأخبره عن حاله وحال ولده وعياله وأهل بيته ، فعجب البريد للشمعة وإطفائه إياها وقال: ياأمير المؤمنين رأيتك فعلت أمرًا مارأيتك فعلت مثله ، قال: وماهو ؟ قال : إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك عن حالك وشأنك.

فقال : ياعبد الله إن الشمعة التي رأيتني أطفأتها من مال الله ومال المسلمين وكنتُ أسألك عن حوائجهم وأمرهم فكانت تلك

الشمعة تَقِدُ بين يديَّ فيما يصلحهم وهي لهم : فلما صرتُ لشأني وأمر عيالي ونفسي أطفأت نار المسلمين (١) .

فهذا التصرف الذي قام به عمر بن عبد العزيز في غاية السمو من الورع ، وفيه ملاحظة في الفصل بين حق النفس وحق المسلمين .

ولو تصور أيّ مسئول هذا الأمر لأدرك أن القليل جداً من المسئولين يُحظَى بهذا التذكر السريع في أمر حقير كهذا، ثم القليل من هؤلاء الذي يتورع بهذه الدقة ، فيجتنب الاستفادة من حق المسلمين العام في مثل هذا الأمر الصغير .

ويشبه هذا في حياة المسئولين استعمال الورق والأقلام والظروف ونحوها لصالح المسئول الخاص مما كان خاصا بالعمل .

وقد يحتقر المسئول هذا الأمر ولايُلقي له بالاً لعدم ظهور النقص في الحق العام بشكل واضح ، ولكن المبدأ واحد في عدم جواز استخدام حق المسلمين العام في الشئون الخاصة ، سواء في أمر خطير أو في أمر حقير .

وأخرج محمد بن سعد من خبر جويرية بن أسماء قال: قال عمر يامزاحم بعني رَحْلاً لمصحفي، قال فأتاه برحْلٍ فأعجبه، قال: من أين أصبتَ هذا ؟ قال: ياأمير المؤمنين دخلتُ بعضِ الخزائن فوجدتُ هذه الخشبة فاتخذتُ منها رحْلاً . قال: انطلق فقوِّمْه في السوق. فانطلق فقوَّموه نصف دينار فرجع إلى عمر فأخبره ، قال: تُرانا إن وضعنا في بيت المال ديناراً أنسلم منه ؟ قال: إنّما قوَّموه نصف دينار. قال: ضَعْ في بيت المال دينارين .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٥٥ .

وأخرج أيضا من خبر عليّ بن مسعدة قال: حدثنا رياح بن عبيدة قال: أخرج مسك من الخزائن فلما وضع بين يدي عمر أمسك بأنفه مخافة أن يجد ريحه ، فقال له رجل من أصحابه : ياأمير المؤمنين ماضرّك أن وجدتَ ريحه ؟ فقال عمر : وهل يُبْتغى من هذا إلاّ ريحه؟

وأخرج أيضا من خبر فُرات بن مسلم قال: كنت أعرض على عمر بن عبد العزيز كتبي في كلّ جمعة فعرضتُها عليه فأخذ منها قرطاسًا قدر شبر أو أربع أصابع بقي فكتب فيه حاجة له ، فقلت: غفل أمير المؤمنين . فلمّا كان من الغد بعث إليّ أن تعالَ وجئ بكتبك، فجئته بها فبعثني في حاجة ، فلمّا جئت قال: مانال لنا أن ننظر في كتبك بعدُ ، قلتُ : لا إنّما نظرتَ فيها أمس . قال: خُذْها حتى أبعث إليك. فلمّا فتحتُ كتبي وجدتُ فيها قرطاسًا قدر قرطاسي الذي أخذ .

وأخرج أيضا من خبر وهُيب بن الورد قال: بلغنا أن عمر بن عبدالعزيز اتّخذ دار الطعام للمساكين والفقراء وابن السبيل. قال وتقدّم إلى أهله : إيّاكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئا من طعامها فإنّما هو للفقراء والمساكين وابن السبيل . فجاء يومًا فإذا مولاة له معها صحفة فيها غرفة من لبن فقال لها : ماهذا ؟ قالت: زوجتك فلانة حامل كما قد علمتَ واشتهت غرفةً من لبن ، والمرأة إذا كانت حاملاً فاشتهت شيئا فلم تُؤتَ به تخوّفت على مافي بطنها أن يسقط، فأخذتُ هذه الغرفة من هذه الدار . فأخذ عمر بيدها فتوجّه بها إلى زوجته وهو

عالي الصوت وهو يقول : إن لم يُمْسك مافي بطنها إلا طعامُ المساكين والفقراء فلا أمسكه الله . فدخل على زوجته فقالت له: مالك؟ قال: تزعم هذه أنّه لا يُمسك مافي بطنك إلا طعام المساكين والفقراء ، فإن لم يُمسكه إلا ذلك فلا أمسكه الله . قالت زوجته : رُدّيه ويحك ، والله لاأذوقه . قال : فردّته .

وأخرج من خبر عُبيد بن الوليد قال: سمعتُ أبي يذكر أنّ عمر ابن عبد العزيز كان يسخَّن له في مطبخ العامة ماء يتوضّأ به وهو لايعلم، ثمّ علم بعد ذلك فقال : كم لكم منذ أسختنموه ؟ فقالوا: شهر أو نحوه . قال فألقى في مطبخ العامة لذلك حطبًا (١).

وأخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر الحكيم بن عمر قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وأرسل غلامه يشوي بكبكبة من لحم، فعجل بها ، فقال : أسرعت بها ! قال : شويتها في نار المطبخ- وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم - فقال لغلامه : كُلْها يابني فإنك رُزقتها ولم أُرزقها (٢).

فهذه الأخبار تفيد تورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن الاستفادة من مال المسلمين العام، وهي تبين ورعه عن أشياء صغيرة جدا لاتلفت نظر أكثر الناس، لكنه لدقة إحساسه بالحرام والشبهات تنبه لها ، فقدم بذلك أمثلة رائعة للورع أصبحت عبرة

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٧ - ٣٧٩ ، ٣٩٩وانظر تاريخ دمشق ٤٥/٢١٤ - ٢١٩ .

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٩١ .

لأفراد الأمة من معاصريه والذين جاؤوا بعده رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

خوفه من الرياء والسمعة :

أخرج محمد بن سعد من خبر ميمون بن مهران قال: كنت في سمر عند عمر بن عبد العزيز ليلة فتكلم فوعظ، قال: ففطن لرجل خذف بدمعته فسكت ، فقلت : ياأمير المؤمنين عُدْ لمنطقك لعل الله أن ينفع بك من بلغه وسمعه ، فقال : ياميمون إن الكلام فتنة وإن الفعل أولى بالمرء من القول [1].

وهكذا سكت عن الوعظ حينما أحس بشيء من الإعجاب بالنفس لما رأى أن كلامه أبكى ذلك الرجل، وهذا يدل على كمال إخلاصه لله تعالى وقوة توحيده ، وقد ذكر لميمون بن مهران أن الكلام فتنة ، وذلك أن الإنسان قد يعجب بنفسه لما يرى من قوة تأثيره على الناس فيكون ذلك سببا في نقص إخلاصه ، حيث يتكلم ليراه الناس فيمدحوه ويتحدثوا عنه .

وفي هذا المعنى ماذكر الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من خبر سعيد بن عبد العزيز قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا خطب على المنبر فخاف فيه العجب قطع ، وإذا كتب كتابا فخاف فيه العجب مزقه ، ويقول : اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي [2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٧١ وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٢٩ وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٨٤ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٥١ .

وكذلك ماأخرجـه الحافظ ابن عساكر من خبر نـعيم بن عبد الله كاتب عمر بن عـبد العزيز أن عمر بن عبد العـزيز قال : إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة [1].

مثل من حرصه على إخفاء عمله الصالح :

ذكر الشيخ عمـر بن محمد الخضر الملاء من خبـر رجاء بن حَيْوة قال: لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده في الخـلافة ، أتاه عمـر بن الوليد بن عـبد الملك فقـال ليزيد : ياأميـر المؤمنين ! إن هذا المرائي - يعني عمـر بن عبـد العزيز - الذي مضى بـالأمس قد أخذ كل مـاقدر عليـه من جوهر ثمين وجـعله في بيتين، فأرسل يزيد إلى أختـه فاطمة وسألها عما أُخْـبر به. فقالت : والله يا أخي إن عـمر ماترك سـبدًا ولا لبدًا إلا مـافي هذا المنديل من الثياب. فَحلَّهُ فوجد فيه قميصًا مرقوعًا ورداءً غليظًا قشبًا، وجبَّة محشوة غليظة ذاهبة البطانة . قال: ليس عن هذا أسألك، إنما سألتك عن البيت المقفل . فقالت: والذي فجـعني بأمير المؤمنين مادخلت إلى ذلك البيت منذ وُلِّي عمـر الخلافة ، لعلمي أنَّه كـان يكره ذلك، وهذه مفاتيـحه فانظر مافيه، فإن كان مايقال لك حقّا فحوِّل مافيه إلى بيت المال .

فجاء يزيد ومعه عمر بن الولـيد والناس ففتحوا البيت الأول وإذا فيه كرسي من أَدم وأربع آجرّات مبسوطـات، وقمقم نصفه ماء. فقال عمر: استغفر الله .

ثم فتح البيت الثاني فوجد فيه مـسجدًا مفروشًا بالحصى وسلسلة

---

(١) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٢٩ .

معلقة بسقف البيت فيها كهيئة الطوق يدخل رأسه فيها - كان يجعله في رقبته إذا نعس في الصلاة - وصندوقًا مقفلاً . ففتح الصندوق فإذا فيه دراعة وثياب من شعر وعطاف من مسوح ، فبكى يزيد وبكى الناس. واستغفر عمر - أي ابن الوليد - الله تعالى [1].

تورعه عن البناء :

قال ابن عياش : كانت لعمر مِرْقاتان يرقى من صحن داره إلى قعر بيته عليهما ، فانقلعت إحدى المرقاتين فأتاها رجل من أهل بيته فأصلحها كراهية أن يشق على عمر، فلما جاء عمر ونظر إليها قال: من صنع هذا ؟ قالوا : فلان قال: عليَّ به فلما جاء قال: ويحك يافلان ، أنفست على عمر أن يخرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة؟ والله لولا أن يكون فساد بعد إصلاح لغيرتها إلى ماكانت عليه[2].

تورعه عن قبول الهدية :

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من خبر عمرو بن مهاجر قال: اشتهى عمر تفاحا فقال لو أن عندنا شيئا من تفاح فإنه طيب؟ فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحا، فلما جاء به الرسول قال: ماأطيبه وأطيب ريحه وأحسنه ، ارفع ياغلام واقرأ على فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب، قال عمرو بن مهاجر :

---

(١) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز / ٦٦٤ - ٦٦٥ ، وانظر البداية والنهاية ٢٢٣/١٠ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٥٤ .

فقلت له ياأمير المؤمنين ابن عمك رجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولايأكل الصدقة ، قال: إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية ، وهي لنا رشوة[1] .

مثل آخر من رده الهدية :

أخرج الحافظ ابن عساكر من خبر يعقوب قال : سمعت أبي يحدث أن عمر بن عبد العزيز جاءه ثلاثون ألف درهم من مال بالبحرين، فجاءه الذي كان يقوم على طعام أهله، فقال: ياأمير المؤمنين قد جاءك الله بنفقة ، قال: من أين ؟ قال: من مالك الذي بالبحرين، جاءتك ثلاثون ألفا ، قال: فاسترجع عمر وقال: ادع لي مُزاحما ، فلما جاءه مزاحم قال: أي مزاحم ، ماردِدتَ ذلك المال الذي جاءنا من البحرين في مال الله ! قال مزاحم : سقط عليّ ياأمير المؤمنين ، قال : فاردده وصل بهذا المال في بيت مال المسلمين. قال: فدخل عليه قَيّمُ ذلك المال فقال : ياأمير المؤمنين اعتق رقبتي من الرق أعتقك الله من النار ، قال: فنظر إليه ثم قال: إنّما أنت وذاك المال من مال الله فلا سبيل إلى عتقك، قال: ياأمير المؤمين جَرّة زنجبيل مُربَّت كنت أهديها لك كلّ عام وقد جئت بها، قال : ائت بها، قال: فأخرَج منه عودًا فوضعه على شفتيه ثم قال: مَهْ، إذا شككت في الشيء فدعه ، لاحاجة لي بجرتك [2].

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٤ ، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٢٠ .

(٢) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٢١ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ١٤٠ .

مثل من إجلاله رسول الله ﷺ :

أخرج الحافظ أبو نعيم من خبر عبد الله بن يونس قال: سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر بن عبد العزيز أُتِيَ بكاتب يخط بين يديه، وكان مسلما وكان أبوه كافراً نصرانيا أو غيره، فقال عمر للذي جاء به: لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين ! قال: فقال الكاتب: ماضرَّ رسول الله ﷺ كفر أبيه ، قال فقال عمر : وقد جعلته مثلا ! لاتخط بين يدي بقلم أبدا [1].

أمره والي المدينة بالاقتصاد في الوقود والورق :

ومن أمثلة اقتصاده وحفاظه على مال المسلمين العام ماجاء في كتابه لأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة وقد جاء فيه: أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن كان قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيئون به في مخرجهم، فابتليتُ بجوابك فيه، ولعمري لقد عهدتك ياابن أم حزم وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح، ولعمري أنت يومئذ خير منك اليوم، ولقد كان في فتائل أهلك مايغنيك والسلام.

وكتب إليه أيضًا : أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر أنه كان يُجري على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذا وكذا ، فابتليت بجوابك فيه، فإذا جاءك كتابي هذا فأَرِقَّ القلم، واجمع الخط ، واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة

(١) حلية الأولياء ٥/٢٨٣ - ٢٨٤ .

فإنه لاحاجة للمسلمين في فضل قول أضَرَّ ببيت مالهم، والسلام عليك [1] .

فهذان مثلان عاليان في الاقتصاد ، فالمسئول مؤتمن على أموال الدولة ، فلايجوز له أن يُسرف حتى في الأشياء الرخيصة الثمن كالورق والأقلام ونحوها ، لأن القليل مع القليل كثير ، وقبل ذلك لأن الذمة لاتبرأ إلا في الاقتصار على مايؤدي الغرض المطلوب.

وماأشار إليه عمر في هذين الكتابين يعتبر توجيها سديدا لكل مسئول،بحيث يكون في ذهنه لزوم الاقتصاد في أموال الدولة،من أجل أن تصرف على مستحقيها،بدلا من أن تضيع في معاملات طويلة تستنفد وقتا طويلا وتكاليف كثيرة وهي يمكن أن تؤدَّى في أقل من ذلك.

إن عدم الشعور بوجوب حفظ مال الدولة - الذي هو مال المسلمين العام - يعتبر نوعا من التفريط في الواجب ، وقد يقود صاحبه إلى أنواع من المآثم التي قد لايحسب لها حسابا .

أما إذا شعر بأن كل فرد من أفراد المسلمين له حق في ذلك المال الذي أصبح مسئولا عنه ،وأن الله تعالى سيحاسبه على القليل والكثير من ذلك إذا صرفه في غير حقه، فإن ذلك يجعله يفكر كثيراً في حفظ ذلك المال ، وعدم صرفه إلا في وجوهه المشروعة ، وأن يجتهد في الاقتصاد في ذلك ، بحيث يؤدي العمل الكثير بالانفاق القليل .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٤ - ٦٥ ، وانظر سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي /٦٦ ، وحلية الأولياء ٣٠٧/٥ .

وعظه مسلمة في الاقتصاد في المأكل :

ومن أمثلة زهده وتزهيده في الدنيا ماروُي عن مسلمة بن عبدالملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه فلايدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق تمر صيحاني - وكان يعجبه التمر - فرفع بكفيه فقال : يامسلمة أتُرى رجلا لو أكل هذا ثم شرب عليه من الماء - فإن الماء على التمر يطيب - أكان يُجزيه إلى الليل ؟ فقلت : نعم ياأمير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى مايبالي أن لا يذوق طعاما غيره، قال: فعلامَ تدخلُ النار ؟

قال مسلمة : فما وقعَتْ مني موعظة ماوقعت مني هذه (١) .

فهذه موعظة بليغة من عمر تأثر بها مسلمة بن عبد الملك، وإنما قصد عمر نهي مسلمة عن الإسراف في الطعام ، وكان ممن اشتهر بذلك.

والإسراف في الطعام قد نهى الله تعالى عنه وكذلك في اللباس ونحوه من متاع الدنيا ، كما قال تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢) .

حواره مع عمته في رد مخصصاتها :

ومن ذلك ماذكره ابن عبد الحكم رحمه الله قال: ولما ولي عمر ابن عبد العزيز أتت عمة له إلى فاطمة امرأته فقالت: إني أريد كلام

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم /١٥٧ ، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي /١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) سورة الأعراف /٣١ .

أمير المؤمنين ، قالت لها : اجلسي حتى يفرغ فجلست، فإذا بغلام قد أتى فأخذ سراجا .

فقالت لها فاطمة : إن كنت تريدينه فالآن ، إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع ، وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجه، فقامت فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح وزيت، وهو يتعشى ، فقالت : ياأمير الؤمنين أتيت بحاجة لي ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي .

قال : وماذاك ياعمة ؟ قالت : لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا، قال: ليس عندي ياعمة ، ولو كان عندي لفعلت، قالت: ياأمير المؤمنين كان عمك عبد الملك يُجري عليَّ كذا وكذا ، ثم كان أخوك الوليد فزادني ، ثم وليت أنت فقطعته عني .

قال : ياعمة إن عمي عبد الملك وأخي الوليد وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذلك المال لي فأعطيكه، ولكني أعطيك مالي إن شئت ، قالت: وماذاك ياأمير المؤمنين ؟ قال: عطائي مائتا دينار فهي لك ، قالت: ومايبلغ مني عطاؤك؟ قال: فليس أملك غيره ياعمة ، قالت(١) : فانصرفَتْ عنه (٢) .

في هذا الخبر مواقف إسلامية رائعة من عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فهو أولا يضرب مثلا عاليا في الورع حيث لايستعمل في

---

(١) يعني فاطمة بنت عبد الملك .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ٦٣ .

حوائجه الخاصة شيئًا من مال المسلمين العام ، وقد تقدم خبر يشابه ذلك .

وهو ثانيًا يضرب مثلا عاليا في الزهد حيث اكتفى بتلك النفقة القليلة والطعام الزهيد ، الذي أشفقت عليه منه عمته فبدأت بلومه على ذلك .

ثم هو ثالثًا يضرب مثلا عاليا في الحزم والقوة في تطبيق الحق وتنفيذ العدل حتى مع أقاربه الكبار حيث قطع عنهم المخصصات التي كانت تصرف لهم ، ولم يثنه عن عزمه في ذلك كثرة شكواهم وإلحاحهم عليه في الطلب .

ولقد أبدى لعمته استعداده لمنحها ماله الخاص مع أنه لايملك غيره، فهو الأمر الذي يوقن بأن الله تعالى لن يسأله عنه، أما مال المسلمين العام فإنه مسئول عنه أمام الله تعالى يوم القيامة ، فكيف يجامل أقاربه مهما كان حقهم وقدرهم ليواجه الحساب يوم القيامة ولاحجة له.

ولكن هذه المرأة - مع كبر سنها - زهدت في عطاء عمر لأنه لايساوي شيئًا يُذكر أمام مخصصها الذي قُطع ، مع أن هذا العطاء قد خُصِّص من أهل النظر لكفاية بيت من بيوت المسلمين، وذلك لأنها تعودت على نمط من الحياة لايغطي تكاليفه إلا المال الكثير .

وهكذا تكون طبيعة النفوس إذا ألفت على الإنفاق الكثير فإنها لاتستطيع أن تألف على القليل .

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

رفضه أن يوصي لأولاده بشيء :

ومن ذلك ماذكره أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله تعالى قال: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: ياأمير المؤمنين إنك قد أفغرت أفواه ولدك من هذا المال، فلو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم ! فلما سمع مقالته قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: قد سمعت مقالتك يامسلمة ، أما قولك : إني قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فو الله ماظلمتهم حقا هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم شيئًا لغيرهم، وأما ماقلت في الوصية فإن وصيِّي فيهم ﴿ **اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ١٩٦] ، وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله، ادعُ لي بَنيّ ، فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقال: بنفسي فتيةٌ تركتهم عالة لاشيء لهم- وبكى-: يابَنيّ إني قد تركت لكم خيراً كثيراً، لاتمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقا، يابَنِيَّ إني قد مَثُلتُ بين الأمرين : إما أن تستغنوا وأدخل النار ، أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة ، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إليّ ، قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله (١)

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١١٥ - ١١٦، وانظر تاريخ دمشق ٣٤٥/ ٢٥٢ ، وحلية الأولياء ٥/ ٣٣٣.

وقد جاء في إحدى الروايات أن الراوي قال: فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر [1] .

في هذا الخبر مثل من ورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حتى في وصيته لأولاده بعد موته، حيث لم يرض لنفسه أن يفارق الدنيا وقد حمَّل ذمته شيئًا لايدري على أي وضع يكون تنفيذه، فربما تصور أنه لو أوصى بهم أحد أقاربه لأعطاهم من مصدر لايحل ، فيلحقه بذلك شيء من الإثم، فلجأ إلى الله تعالى وفوض أمرهم إليه .

لقد تصور في معاملة أولاده وقوعه بين أمرين : أن يغنيهم في الحياة الدنيا ، وذلك بمنحهم شيئا من المال العام للمسلمين فيتعرض بذلك للفحات النار، أو أن يكتفي بالإنفاق عليهم من المورد القليل الحلال الخالي من الشبهات فيتعرض بذلك لنفحات الجنة ، فاختار الطريق الأخير مع ثقته بالله تعالى أنه لن يضيعهم ، وقد أشار إلى أنه ترك لهم السمعة العالية ، حيث سيكونون موضع احترام وعطف جميع المسلمين وأهل الذمة ، وأكرِمْ بذلك من تركة !!

إنها تركة عظيمة لاتقدر بها أموال الدنيا عند أصحاب الأفكار النيرة والعقول المبصرة .

وفي قوله « إنما ولد عمر بين أحد رجلين : إما رجل صالح فسيغنيه الله وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله » لفتة جليله إلى معية الله تعالى لأوليائه بالحفظ أخذًا من قول الله تعالى ﴿ **وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾ ، وإشارة إلى أن الأمر المهم أن

(١) هامش السيرة المذكورة / ١١٦ .

يبذل الوالد أقصى جهده في تربيـة أولاده على الصلاح ليحفظهم الله تعـالى ، وليس المهم أن يسـعى في جمع المال لهـم حتى يغـتنوا من بعده، لأنهم إن لم يكونوا صالحين فـسيكون ذلك المال عونا لهم على معصية الله تعالى .

وصيته لمسلمة بالتحري في الأموال :

ومن أمثلة تحري أمـير المؤمنين عمر بن عبد العـزيز الحلال وبعده عن الشبهات ماذكره ابن عبد الحكم قال: ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضـه الذي مات فيه، فأوصاه عمر بأن يحضر مـوته وأن يلي غسله وتكفينه ، وأن يمشي معـه إلى قبره، وأن يكون ممن يلي إدخاله في لحده ، ثم نظر إليه وقال: انظر يامسلمة بأي منزل تتركني ، وعلى أي حال أسلمْتني إليه الدنـيا، فقال له مسلمة: فأوص ياأمير المؤمنين ، قال : مالي من مال فأوصي فيه، قال مسلمة: هذه مائة ألف دينار فـأوصِ فيهـا بما أحببت ، قال: أوَخـير من ذلك يامسلمة ؟ أن تردها من حـيث أخذتها، قال مسـلمة : جزاك الله عنا خيرا ياأمير المؤمنين والله لقد ألَنْتَ لـنا قلوبا قاسية، وجعلت لنا ذكراً في الصالحين (١) .

ففي هذا الخبـر يوجه أمير المؤمنين عـمر بن عبد العـزيز ابن عمه مسلمـة بن عبـد الملك إلى التحـري في اكتسـاب المال ، ويبين له أن إنفاق المال بالصدقة أو الهدية لايجعله حلالا، بل لابد من التحري في كـسبه ، فـإذا لم يكن للإنسـان حق فـيـه وجب عليـه أن يرده إلى مستحقيه ، ولا يبرئ ساحته أن يتصدق به أو يهديه .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم / ١٢٢ - ١٢٣ .

اعتباره بزهد النبي ﷺ :

قال الحافظ ابن الجوزي : وعن عمرو بن مهاجر قال: كان متاع رسول الله ﷺ عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في بيت ينظر إليه كل يوم قال: وكان ربما اجتمعت إليه قريش فأدخلهم ذلك البيت ثم استقبل ذلك المتاع فيقول : هذا ميراث من أكرمكم الله وأعزكم به، قال وكان سريراً مرمولا بشريط ومرفقة من أدم محشوة بليف وجفنة وقدحا وقطيفة من صوف كأنها جرمقانية(١)، قال: ورَحَى وكنانة فيها أسهم وكان في القطيفة أثر وسخ رأسه ، فأصيب رجل فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ فيسعط به ، فذُكر ذلك لعمر فسُعط فبرأ(٢).

من أمثلة زهده :

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من خبر مسلمة بن عبدالملك قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة : اغسلوا قميص أمير المؤمنين فقالت: نفعل ذلك إن شاء الله ، ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت : يافاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ! فقالت: والله ماله قميص غيره (٣).

---

(١) نسبة إلى الجرامقه وهم من العجم يصنعون هذه القطائف .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٨٥ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢١١ .

تربيته أولاده على التقشف والزهد :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر يعقوب عن أبيه أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أتى إلى أبيه وهو خليفة يستكسي أباه، فقال: ياأبت اكسني ، فقال : اذهب إلى الخيار بن رياح البصري فإن لي عنده ثيابا فخذ منها مابدا لك ، قال : فذهبت إلى الخيار بن رياح فقلت: إني استكسيت أبي فأرسلني إليك وقال: إن لي عند الخيار بن رياح ثيابا ، فقال صدق أمير المؤمنين ، فأخرج إليه ثيابا سنبلانية أو قطرية ، فقال : هذا ما لأمير المؤمنين عندي فخذ منها مابدا لك ، قال عبد الله : ماهذا من ثيابي ولا من ثياب قومي، فقال: هذا مالأمير المؤمنين عندي، فرجع عبد الله إلى أبيه عمر فقال: ياأبتاه استكسيتك فأرسلتني إلى الخيار بن رياح فأخرج لي ثيابا ليست من ثيابي ولا من ثياب قومي . قال : فذاك مالنا عند الرجل، فانصرف عبد الله حتى إذا كاد يخرج ناداه فقال: هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ، قال : نعم ياأبتاه ، فأسلفه مائة درهم فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأُخذت منه (١).

موعظة المنصور بسيرة عمر المالية :

قال الحافظ ابن الجوزي : وبلغني أن المنصور قال لعبد الرحمن ابن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : عظني . قال: بما رأيت أو بما سمعت ؟ قال: بما رأيت قال : مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وخلَّف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٣٣٥ .

دينارا كُفِّن منها بخمسة دنانير واشتُري له موضع قبره بدينارين وقُسم الباقي على بنيه ، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهما، ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا ، فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف . ورأيت رجلا من ولد عمر ابن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله عز وجل ، ورأيت رجلا من ولد هشام يُتصدق عليه [1].

وإن في هذا الخبر لعبرة للمعتبرين ، حيث تحولت حال أبناء عمر ابن عبد العزيز الذين لايملك الواحد منهم عشرين درهما إلى أن ملكوا الألوف ، بينما تحولت حال أبناء هشام بن عبد الملك الذين يملك الواحد منهم مئات الألوف إلى أسوإ حال، وذلك من آثار صلاح عمر ابن عبد العزيز ومن بركة دعائه الصالح لأولاه، فإن صلاح الآباء يكون خيرا وبركة على أبنائهم في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فمن أدلة ذلك خبر الغلامين اللَّذَين حفظ الله تعالى لهما رزقهما بسبب صلاح أبيهما كما جاء في قوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٨٢] .

وأما في الآخرة فإن الله تعالى يُلحق بفضله وكرمه ذرية الصالحين بهم في الجنة كما جاء في قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا**

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٥٤ .

كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١] ، وإن في ذلك لبشرى لمن وُفقوا بآباء صالحين، وذلك مما يدفعهم إلى الاستقامة على ماكان عليه آباؤهم حتى يسعدوا في دنياهم وآخرتهم .

دقة موازنته بين الدنيا والآخرة :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر جزيمة أبي محمد بن العابد أن عمر بن عبد العزيز قال: ماأعطيت أحداً مالا إلا وأنا استقله، وإني لأستحي من الله عز وجل أن أسأل الجنة لأخ من إخواني وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل [1].

وهذا يدل على اهتمامه بالجنة وتعظيمه إياها وأنه يرى أن الدنيا لاتساوي شيئا عندها ، فلذلك يرى أن من تكرم على أخيه بسؤال الجنة له لاينبغي له أن يبخل عليه بالدنيا مهما كان حجم الطلب منها، وفي ذلك عبرة للمسلمين الذين يستهينون بطلب نعيم الآخرة الخالد، بينما يبدون اهتماما كبيرا بطلب متاع زائل .

أمثلة من زهده وإصلاحه :

ذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر الحكم بن عمر الرعيني قال: شهدت عمر حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمها. قال وكم هي ؟ قالوا هي كذا وكذا . قال أبعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد وأجعل أثمانها في مال الله عز وجل، تكفيني بغلتي هذه الشهباء ، وجاءه صاحب الرقيق يسأل أرزاقهم

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣٣ .

وكسوتهم ومايصلحهم ، فقال عمر : كم هم ؟ قالوا : هم كذا وكذا ألفا ، فكتب إلى أمصار الشام أن ارفعوا إليَّ كل أعمى في الديوان أو مقعد أو من به فالج أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فرفعوا إليه ، فأمر لكل أعمى بقائد وأمر لكل اثنين من الزَّمْنَى بخادم، وفَضُلَ من الرقيق فكتب : أن ارفعوا إليّ كل يتيم ومن لاأحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية (١).

فلينظر العقلاء وليوازنوا بين عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وعهود من قبله من الأمراء بالنسبة لهؤلاء المملوكين الذين خُصِّصوا للخدمة ونحو ذلك، كم هي نفقاتهم وهم قد بلغوا عدة آلاف؟ وكم هو النقص الذي يحصل على بيت مال المسلمين منهم ؟! ثم ليعتبروا بما قرره عمر بن عبد العزيز من التخلي عنهم وتوزيعهم على المسلمين من أصحاب العاهات واليتامى ليقوموا بخدمتهم ، فهو بهذا وفَّر نفقاتهم الكبيرة على بيت المال ، وفي الوقت نفسه نفع بهم أعداداً كثيرة من المسلمين هم بحاجة إليهم ، فهكذا تكون الاستقامة ، وهكذا تكون العدالة !!

مثل من خشيته وموقف لأبي قلابة :

أخرج الإمام أحمد من خبر حميد الطويل أبي عبيدة الخزاعي قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز بكى وقال: ياأبا قلابة هل

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ١٣٠ .

تخشى علي ؟ قلت : كيف حبك الدرهم ؟ قال: لاأحبه، قال: لاتخف إن الله عز وجل سيعينك [1].

فهذا فهم جيد من أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي رحمه الله تعالى ، فقد ذكر أهم أسباب الفتنة وهو حب المال، فإن حب المال يحمل صاحبه على اكتسابه من طريق الحرام والشبهات، وإذا وقع المسئول في ذلك سارع إلى منافسته ومحاولة احتوائه أمثاله من أهل الدنيا، فيضطر إلى إنفاق المال على الكبراء من هؤلاء الذين هم خبراء به لكيلا يفضحوه أمام الناس ، فيكون الجميع شركاء في نهب أموال الأمة وحرمان أصحاب الحقوق .

نهاية عمر بن عبد العزيز وما في ذلك من مواقف :

ذكر ابن سعد من خبر محمد بن قيس قال: حضرت أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أول مرضه ، اشتكى لهلال رجب سنة إحدى ومئة، فكان شكوه عشرين يوما ، فأرسل إلى ذمي ونحن بدير سمعان، فساومه موضع قبره ، فقال الذمي : ياأمير المؤمنين إنها لخيرة أن يكون قبرك في أرضي ، قد حللتك، فأبى عمر حتى ابتاعه منه بدينارين ، ثم دعا بالدينارين فدفعهما إليه [2].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: كان قد شدد على أقاربه وانتزع كثيراً مما في أيديهم فتبرموا وسموه، فروى معروف بن مشكان عن مجاهد قال قال لي عمر بن عبد

---

(١) الزهد / ٣٠١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠٦ .

العزيز: مـايقول الناس في؟ قلت: يقولون إنك مـسحور، قـال: ماأنا بمسحور، ثم دعـا غلاما له فقـال له ويحك ماحملك على أن سقـيتني السم؟ قال: ألف دينار أعطيتُها وعلى أن أعتق، قال: هات الألف، فجاء بها. فألقاها عمر في بيت المال. وقال: اذهب حيث لايراك أحد[1].

فهذا مـثل عجيب في العفو، حـيث عفا أميـر المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى عن غلامه الذي وضع له السم وتسبب في قتله وهو قـادر على أن يقتله شـر قتلة، ولكنه يوقن بأن مـاعند الله خير وأنه إن عفا عنه حصل له الثواب من الله تعالى على العفو، وإن انتصر منه فـأقام عليه الحد لم يأثم ولكنه لايحصل على أجـر العفو، ونظرًا إلى أن أغلى شيء عنده في هـذه الحيـاة أن يرتفع رصيـده من الحسنات فإنه قد فضل العفو على الانتصار للنفس.

ومما جرى منه في مرضه ماأخرجه محمد بن سعد من خبر أيوب السختـياني قال: قيل لعـمر بن عبد العزيز: ياأمـير المؤمنين لو أتيت المدينة فإن قضى الله مـوتا دُفنتَ في الموضع الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعـمر، قـال: والله لأن يعذبني الله بكل عـذاب إلا النار فإني لاصـبر لي عليه أحب إليَّ من أن يعلم اللـه تعالى من قلبي أني أُراني لذلك أهلا[2].

فهذا مثال على خشيته العظيـمة وتواضعه الكبير رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/١٢١.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٤٠٤، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي /١٤٨.

وذكر الحافظ ابن الجوزي من خبر أبي زيد الدمشقي قال: لما ثقل عمر بن عبد العزيز دُعي له طبيب فلما نظر إليه قال: الرجل قد سُقي السم ، ولا آمن عليه الموت . فرفع عمر بصره فقال: ولاتأمن الموت أيضا على من لم يسق السم ؟ قال الطبيب هل أحسست بذلك ياأمير المؤمنين ؟ قال : نعم قد عرفت حين وقع في بطني ، قال: فتعالج ياأمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك ، فقال ربي خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شفاي عند شحمة أذني مارفعت يدي إلى أذني فتناولته . اللهم خِرْ لعمر في لقائك ، قال: فلم يلبث أياما حتى مات(١).

وأخرج ابن سعد من خبر عمرو بن عثمان قال: مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، ومات بدير سمعان (٢).

سؤال الفقهاء عن حال عمر في بيته :

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من خبر وهيب بن الورد قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز لما توفي جاء الفقهاء إلى امرأته يعزّونها به فقالوا لها : جئناك لنعزيك بعمر، فقد عمت مصيبته الأمة، فأخبرينا يرحمك الله عن عمر، كيف كانت حاله في بيته؟ فإن أعلم الناس بالرجل أهله ، فقالت : والله ماكان بأكثركم صلاة

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز / ٢٣٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٥/٤٠٧ - ٤٠٨ .

ولاصياما ، ولكني والله مارأيت عبـدا لله قط كان أشد خوفا لله من عمـر ، والله إن كان ليكون في المكـان الذي ينتهى إليـه سرور الرجل بأهله ، بيني وبينه لحاف فيخطر على قلبـه الشيء من أمر الله فينتفض كما ينتفض طائر وقع في الماء ثم ينشج ، ثم يرتفع بكاؤه حتى أقول : والله لتخرجن نفسه التي بين جنبيه ، فأطرح اللحاف عني وعنه رحمة له ، وأنا أقول : ياليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين ، فوالله مارأينا سرورا منذ دخلنا فيها (١) .

من ثناء العلماء على عمر :

من ذلك ماأخـرجه ابن عـساكـر من خبر حـماد بن واقـد قال : سمعت مالك بن دينار يقـول : يقولون مالك بن دينار زاهد ! (٢) أيُّ زهد عند مالك وله جـبة وكساء !! إنمـا الزاهد عمر بن عبـد العزيز ، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها (٣) .

ثناء ملك الروم عليه :

أخرج الحافظ أبو نعيم من خـبر محمد بن معبد أن عـمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم فـفادى بهم أسارى من أسارى المسلمين ، قـال : فكنت إذا دخلـت على ملك الروم فـدخلَتْ عليـه عظماء الروم خرجت ، قال : فـدخلْتُ يوما فإذا هو جالس في الأرض مكتئـبًا حزينا ، فقلت : مـاشأن الملك ؟ قال : وماتدري مـاحدث ؟!

(١) تاريخ دمشق ٤٥/٢٣٥ - ٢٣٦ ، وأخرج نحوه الإمام أحمد في الزهد / ٢٩٩ .

(٢) يعني نفسه .

(٣) تاريخ دمشق ٤٥/٢٠٩ ، وانظر حلية الأولياء ٥/٢٥٧ .

قلت: وماحدث ؟ قال : مات الرجل الصالح، قلت: من ؟ قال: عمر بن عبد العزيز . قال: ثم قال ملك الروم : لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم عليه السلام لأحياهم عمر بن عبدالعزيز ، ثم قال: لست أعجب من الراهب أغلق بابه ورفض الدنيا وترهَّب وتعبَّد ، ولكن أتعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها ثم ترهب [1].

* * *

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٠ ، وأخرج نحوه ابن عساكر - تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٦١-٢٦٢، وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٢ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي / ٢٤٩.

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع : ١٩٩٧/٥٦٣٢

الترقيم الدولى

977 - 253 - 151 - 8

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

١ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

ت : ٤٩٠١٩١٤ - فاكس : ٥٩٥١٦٩٥

مكتب توزيع القاهرة ت : ٣٨٣٢٧٤٧

دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع

حي السلامة - شارع عبد الرحمن السديري - مركز الزومان التجاري

ص.ب : ٤٢٣٤٠ - جدة : ٢١٥٤١ هاتف / فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩

المملكة العربية السعودية